صَحِيحُ الأَخْبَارِ

عَمَّا فِي بِلَادِ العَرَبِ مِنَ الآثَارِ

تأليف
الشيخ محمّد بن عبد الله بن بليهد

الجزء الأول

الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ

مقدمة الطبعة الثانية

حظيت الجزيرة العربية باهتمام الباحثين والدارسين إذ أنها منبع الفصاحة ومصدر الإلهام لكثير من الشعراء الذين وقفوا على أطلالها وناجوا شعابها ووديانها وجبالها، وخلدوا في شعرهم كثيرا من معالمها.

غير أن كثيرا مما كتبه الأقدمون عنها كان لا يخلو من نقص بالإضافة إلى الأوهام الجمة التي تابع فيها بعض اللاحقين من سبقهم.

لذا فعندما قام والدي - رحمه الله - بإصدار كتابه "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" ذلك الكتاب الذي اعتمد فيه في تحديده للمواضع - بالإضافة إلى المؤلفين الثقات - على الدراسة الميدانية وذهب في التحقيق بعيدا مما كلفه الكثير من الجهد وهو جهد لا أسترسل في الحديث عنه وإنما أدع الحديث عنه لغيري.

أقول: للمنهج الذي سار عليه المؤلف رحمه الله استقبل الكتاب من القراء بتشجيع وإقبال كبيرين. ولم يمض إلا وقت يسير حتى نفدت الكمية المطبوعة وتوالت علينا الطلبات من القراء الكرام لاقتناء نسخ منه مما اضطرنا إلى إعطاء الكمية القليلة التي كنا قد احتفظنا بها لأنفسنا ثم لم نجد أخيرا بدا من الاعتذار.

ولقد كان ذلك الإقبال الذي نعتز به والتشجيع الذي نشكره ونقدره خير ثمن تقاضاه مؤلف الكتاب مقابل ما بذله من جهود في تأليفه.

منذ ذلك الحين عقدت العزم على أن أعيد طبع الكتاب تلبية لرغبة القراء الكرام ورأيت أن يزود بخرائط جغرافية تحدد المواضع الهامة التي يتناولها بجانب بعض الإضافات الأخرى ليكون النفع أعم والفائدة أشمل وأكبر.

ولكن ظروفا دراسية - آنذاك - وطبيعة العمل - بعد ذلك حالا بيني وبين

مَا أُرِيدُ ووَجَدْتُ أَنَّنِي أَمَامَ أَحدِ أَمْرَيْنِ :

فإمّا أنْ أُؤجّلَ صُدُورَ الطَّبعةِ الثانيةِ حتّى اسْتِكمالِ مَا نوّهْتُ عَنْهُ وهَذا قد يكونُ سَبَبًا فِي تأخُّرِهَا بعضَ الوقتِ ، وإمَّا أنْ نُعيدَ طَبْعَ الكِتَابِ كمَا هُوَ على أن يُنفَّذَ ما ارتأيْتُه مِن إضَافَاتٍ فِي الطَبعَةِ الثَالِثَة .

وَأخيرًا وَأمَامَ اهتِمامِ جَلالَةِ المَلِكِ المعَظّم - حَفِظَهُ الله - بإعَادَةِ طَبْعِ الكِتَاب ، وَأمَامَ الإهتِمَامِ الكَبيرِ مِنْ صَاحِبِ السُّمُوِّ المَلكي الأميرِ سَلمانَ بْنِ عَبدِ العَزيز أمِيرِ منطقَةِ الرّيَاض بذلكَ وَاسْتِجَابَةً للإلحَاحِ المُتَواصِلِ مِنَ القُرّاءِ الكِرَامِ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الإسْرَاعِ فِي طَبْعِ الكِتَابِ كمَا هُوَ .

وَإنَّنِي إذ أضَعُ الكِتَابَ فِي طَبعَتِهِ الثَانِيةِ بَيْنَ يَدَيِ القَارِئِ الكَرِيمِ لأُجَدِّدُ الوَعْدَ بتَنفِيذِ مَا نَوَّهْتُ عَنهُ مِن إضَافَاتٍ فِي الطَبعَةِ الثَالِثَة - إنْ شَاءَ الله - شَاكِرًا لِلقُرّاءِ الكِرَامِ اهْتِمَامَهُمْ وَتَشجِيعَهُم ، وَالله وَلِيُّ التَوفِيق .

عبدالله بن محمد بن بليهد



الحمد الله رب العـالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمـد وعلى آله وأصحابه والتابعين.. وبعد.

فإن من فضل الله على الإنسـان العـالم جعل تـراثـه العلمي للمعـرفـة الإنسـانيـة والاستفادة البشريـة مابقي للعلم طـالـب ينشد المعـرفة ويطلب الفـائدة العلمية، وذلك ما هو حاصل والحمد لله بالنسبة إلى مؤلفات والدي - رحمه الله -.

ولما كـان الطلب قـد تزايـد على كتـاب [صحيح الأخبار] عما في بـلاد العـرب من الآثار] بخاصة ومؤلفات الوالد بعامة.

ولما كانت جميع طبعات [صحيح الأخبار] قـد نفذت، والطلب متصل بإلحاح، فقد عزمت على إعادة نشر هذه المؤلفات بادئًا بهذا السفر الجليل [صحيح الأخبار].

وتمتاز هذه الطبعة الرابعة بخروجهـا في خمسة أجزاء على النحو الذي كان في الطبعة الأولى التي أشرف عليهـا المؤلف نفســه - رحمه الله - وكـانت أجـزائه في الطبعتين الثانية والثالثة مجموعة في مجلدين وجعلها في خمسة مما ييسر الأمر على القارئ.

وإني لأرجو من الله العون والتسديد، وأن يكون نشر هذا الكتاب مدعاة لأن يدعو القارئ الله بـالرحمة والمغفرة لمؤلف هـذا الكتاب النافع الفـريد في بابـه، وأن ينالني من طيب الدعاء ما يكون هونًا لي في هذه الدار، وزخرًا في الدار الأخرى.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

عبدالله بن محمد بن بليهد



مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد.

فإن من المعلوم لدي كل مثقف أن الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد كان أوّل من اهتم بتحديد الأماكن والبقاع في جزيرة العرب في عصرها الحديث.

وأنه أوّل من طُبق ما ورد من الأماكن والبقاع في الشعر العربي على أماكنها محدد بحدودها، مع بيان ما ناله منها شيء من تغيير، أو تحريف، مبينًا ما وهم فيه الأقدمون كال(منىٰ) الواردة في معلقة لبيد، وكا (عسيب) الوارد في قول إمرئ القيس:

ومزايا أخرى اتسمت بها مؤلفاته، ومنها هذا الكتاب [صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار] الأمر الذي جعل الباحثين يقبلون عليه حتى نفدت طبعاته الثلاث، فصار لزامًا عليَّ - وأنا ابن من خدم تراث الشيخ ابن بليهد - أن أتبنى نشر هـذا السفر الجليل بأمرًا وإذن من ابنه، الشيخ عبدالله بن محمد بن بليهد.

وكل مانرجوه أن نكون وفقنا لخدمة بلادنا من طريق خدمة تراث علمائها الذي خدموا به هذه البلاد موطنًا وفكرًا، وذلك بعض من حقهم وحق الوطن علينا.

أعاننا الله بالتوفيق والسداد وإصلاح الأعمال والأفعال والأقوال.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُ الله تعالى على نَعْمائه ، وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأحِبّائه .

أما بعد ؛ فإن الدوافع التى أثارت همتى إلى تصنيف هذا الكتاب ، والاصطبار على ما بذلت من جَهْد فى تحقيق مباحثه ، واحتمال العَناء المُضْنى والنَّصَب المبرِّح فى سبيله ؛ ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : أنه قد كان من سَوَالف الأقضية أنْ سافرَ مولاى حضرةُ صاحب السُّمُو الملكى الأميرُ المعظم فيصل آل سُعُود نائبُ مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ووزير خارجية المملكة السعودية ، إلى أمريكا لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو فى عام ١٩٤٥ الميلادى وهناك تشرف بالسلام على سموه كثيرٌ من رجالات الأدب العربى فى المَهْجَر ، ولما آنسوا من سموه صفاتِ العربى النبيل والحرصَ الشديد على مفاخر العرب ومآثرهم أَبْدَوْا لسموه — حفظه الله ! — مايشعرون به من حاجة مُلِحَّةٍ إلى معرفة ماورد فى الأشعار الجاهلية — وخاصة المعلقات — من الأودية والجبال والمياه والتلول والرمال والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقى منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعترى اسمه شىء من التغيير ، وذكروا أن فى هذه المعرفة عوناً للأديب الذى يتمرَّسُ بدراسة آثار أولئك الشعراء الخالدة آثارهم ، الباقية على الدهر أسماؤهم .

وإنما دعاهم إلى إبداء هذه الرغبة ما أدركوه من أن دراسة البيئة الطبيعية التى عاش فيها الشاعر أو الأديبُ أحَدُ العوامل التى تُعين على فَهْم شخصيته ، وعلى تَلَمُّس بعض دواعى القول الذى فاض على لسانه ، ثم ما قد يجر ذلك — إذا ماتوغَّل الباحثون فى الاستقصاء والتتبع — من معرفة شىء من خصائص لغات القبائل المختلفة ولهجاتها ، فإن لم يؤد هذا إلى تمييز تام بين لغات القبائل فقد يؤدى إلى نوع من التمييز يهون فى سبيله بذلُ الجهد والوقت والمال ، وإن بدا اليومَ هذا بعيدَ المنال فسيظهر بتتابع الجهود ميسوراً قريبَ الجَنَى ، إن شاء الله ، وإن لم يتيسر بادىء الأمر التمييز بين لغات القبائل المختلفة فى مفرداتها وتراكيبها جميعاً فلن يعدم البحث الدائب الظفر بأحد هذين ، ولو أن علماءنا الأوائل — رحمهم الله ! — قد جعلوا بعض عنايتهم مصروفاً إلى بيان ما كان من المفردات من لغة قوم دون قوم لكان ذلك أقرب إليهم وأدنى إلى اليُسْر ، ذلك بأنهم كانوا

يشافهون القبائل العربية فى مساكنها ؛ ولو أنهم فعلوا لـكانوا قدأسدَوْا يداً إلى العربية مشكورة ، ولـكنَّا قد حصلنا على مغنم أيِّ مغنم ، ولـكنهم لم يبالوا ذلك ولم يحفلوا به ؛ إذ كان أعظم وُكدهم أن يجمعوا المفردات العربية ، غير عابئين بمن تـكلم بها ، فاجتمع لنا تراث عظيم ، لـكنه كحبات اللؤلؤ الغالية القيمة ، لا يضمها نظام ، ولا يؤلف بين ماتشابه منها ثم ينخله فيميزه أنواعاً وفصائل عرفانٌ جوهريٌّ بارع ، وليس من المعقول عند أحد أن تـكون هذه الـكثرة الفائقة الحـد من المترادفات والأضداد ، وهذه الأنواع الـكثيرة من الاشتقاق والقلب والإبدال من لغة قبيلة واحدة . والله سبحانه المستعان .

ومن النقص الملموس في الأدب العربى أن تبقى مجهولة تلك الأماكنُ التى انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء ، وأن تظل مغمورة هذه الأجواء التى سَبَحَتْ فيها أخيِلَتُهم ، وسلس لهم فيها قياد القول ، وتفجرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم ، هذه الأماكن التى تـكوِّنُ البيئة الطبيعية التى دَرَجَ فيها العربى الأول : يُنَاغم كُثْبانها ، ويضرب فى صحاريهـا الفسيحة ، ويستظل بسمائها الصافية ، ويهتدى بنجومها الزاهرة ، راضياً بذلك ، قرير العين به ، صابراً على مايكابد من شَظَف العيش وقلة وجوه الاكتساب ، مكتفياً بأنه يعيش فى منازل آبائه وأجداده وفيها مجالس أنسهم ، ومَسَارِح لهوهم ، ومُعْترك حروبهم ، وفيهـا نواديهم التى كانوا يتنافرون فيهـا ويتفاخرون .

من النقص الملموس فى الأدب العربى أن تبقى تلك الأماكن مجهولة ، وما فيها مكان إلا له ذِكْرَيات تهز مشاعر العربى الصميم ، وتبعث فى نفسه ألواناً من البُطُولة والمغامرة والإقدام ؛ لأنها تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم ، والعربُ هم أولئك الذين نزل كتابُ الله تعالى بلغتهم ، وبُعث أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، فطافوا بأرجاء العالَم المعروفِ لهم يومئذ ، يحملون مشاعل النور رُسُلا للإنسانية ، وزعماء للإصلاح فى مختلف نواحى الحياة ، بما أوحى إليهم دينهم وما حباهم الله به من فطرة صَافيه ، ومنطق عَذْب ، وقوة دائبة يُبَاركها الإخلاصُ فى نشر ذلك المبدأ السَّامى العظيم ، حتى دانت لهم المَشَارق والمَغَارب ، وأحدثوا ذلك التطور الخطير المفاجىء فى العقيدة ، والتفـكير ، والاجتماع . قال عطاء بن أبى رباح فقيه الحجاز ، لما وفد على سليمان بن عبد الملك : «ياأمير المؤمنين ، إن أهل الحجاز ونَجْدٍ هم أصلُ العرب ، ومادَّة الإسلام ،

دَوَّخُوا الجبابرة ، وفتحوا الأمصار ، وأعز الله بهم الإسلام ، وأحِبُّ أن تضع صدقاتهم في فقرائهم » فأعطاه ذلك .

وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهدَ ناطقةً عَلَى مَاوَصلتْ إليه الأمم من تقدم فى الصناعة ، والذوقِ ، ومقاييس الحياة ، فيجدُر بنَا أن ننقب عن البيئات الطبيعية ــ بقدر الإمكان ــ بل نُشَاهِدهَا عِيَانًا ــ إذا استطعنا ذلك ــ لنقِفَ على مَدَى ماأثَّرَ فى الفكر العربى فى تلك العصور ، ولنكشف تلك المساتيرَ المغلَقَةَ ؛ فلا تظل مطويةً على تعاقُبِ الأجيال ، فقد نجدُ فى دراسة تلك البيئات ومشاهدتها واستيحائها ثروةً فكريةً لا يقدر قدرها ، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد ، يجد كل واحد منهما بغيته فى بحثها ، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها فى العصر الحاضر وقد اكتشف فى أحشائها من معادن مطمورة لَفَتَتْ إليها الأنظارَ بَعْدَ أن كانت لاتُثير من الناحيَة الاقتصَاديَّة أدنى اهتمام .

وقد اسْتَجَابَ مولاى سموُّ الأمير فيصل لرغبة أولئك الأدباء المهجريين ، فأمر ــ حفظه الله ! ــ أنْ أكتب فى هذا الموضوع ــ على صعوبته ــ مبيناً كل ماء ، أو جبل ، أو وادٍ ، أو كثيب ، وأبين مع ذلك ما كان منها باقياً باسمه القديم إلى اليوم ، وما تغيّر اسمه ؛ لكثرة تجوالى فى نجد ، ودراستى معالمها وآثارها دراسةً وافية ، وفى المثل السائر « قَتَلَ كُلَّ أرضٍ خَبيرُهَا » .

على أني لم أكتف بمعلوماتى الخاصة ، فقد أنشأت أسفارا جديدة ؛ حُبًّا في الوقوف على الحقيقة ، إلى بلاد مختلفة منها « الشَّمْراء » وهى بلدة متوسطة فى عالية نجدٍ ، يختلف إليها الأعراب من كل ناحية . وبلغ بى الأمر ــ إذا اشتبه عَلَيّ موضع لم أذهب إليه ــ أن أرسل بعضَ الأعرابِ الذين يعرفون البقاع فى بلاد العرب إلى المكان الذى أتحرى وجوده فيه ، ليبحثوا عنه ويأتونى بالخبر ، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبهم . وأضرب لذلك مثلا واحداً ، فقد أشكل عليّ اسم « رَاكِس » هل هو باقٍ بهذا الاسم أو دارس ؟ لأنه مقرون فى بعض الأشعار « بِرَحْرِحَان » ورحرحان معروف بهذا الاسم إلى عصرنا هذا ، فطلبت من بعض الأعراب أن يبحث عن ذلك ، وحَدَّدْتُ له الأرض التى تحرَّيْتُ وجوده فيها ؛ فركب راحلته ، وبعد شهر من ذلك وَصَلَ إلىَّ فأخبرنى أنه وجد جبلاً أسود ، قرب وادى الرمة ــ كما حَدَّدْتُ فى هذا الكتاب ــ وحوله كثيب من الرّمل يقال له الآن « أبرق راكس » والأبرق هو كثيب الرمل ، وراكس : هو الجبل .

الأمر الثانى : أنى رأيت كثيراً من الباحثين في الأدب والتاريخ ــ حينما يتعرضون للكلام على مواضع جزيرة العرب ــ يُخْطِئون فى تحديد بعض تلك المواضع . وعُذْرُهم فى ذلك واضح ؛

لأنهم يُعَوِّلُونَ على المعاجم العربيَّة القديمة ، وتلك المعاجم — مع احترامى لمؤلفيها ، واعترافى بفضلهم — لا تخلو من نقص ؛ لأن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا ما كتبوه عَنْ مُشَاهدةٍ ، بل عَنْ نقل .

ويستثنى من ذلك :

١ — الأصمعى فى كتابه (مياه جزيرة العرب) وهو كتاب مخطوط ، يوجد منه — فيما بلغنى — نسختان : إحداهما لدى الأستاذ «رشدى ملحس» والثانية فى مكتبة الشيخ «محمود الألوسيّ» رحمه الله !

٢ — رسالة عرام بن الإصبغ السلمى الأعرابى « جبال تهامة ومحالها » التى رواها عنه أبو الأشعث الكندى . وقد نقل عنها أبو عبيد عبد الله البكرى فى « معجم ما استعجم » كما نقل عنها ياقوت الحموى شيئًا كثيراً ، وتُوجَد قطعة من أصل تلك الرسالة فى إحدى مكاتب الهند ، استنسخ منها فضيلةُ الشيخ « محمد نصيف » نسخة ، وقد شرع فى طبعها الآن ، كما ذكر لى فضيلته .

٣ — كتاب محمد بن إدريس بن أبى حفصة اليَمَامى عن نجد ، وهو كتاب تدل النقول التى نقلها عنه ياقوت على تحقيق ، ومعرفةٍ جيدة ، ولم أطَّلع على أصل هذا الكتاب ، ولا عثرت له على ذكر فى المكاتب .

٤ — كتاب « صفة جزيرة العرب » للهَمْدَانى ، وهو كتاب جليل القدر ، مفيد جداً ، ولا سيما فى ذكر للواضع الجَنُوبية من الجزيرة ، وقد طبع الكتاب بمدينة بريل سنة ١٨٩١ م فى مجلد أضاف إليه طابعه المستشرق مُلر Müller مجلدًا ثانياً لفهارسه وغيرها

وأما بقية المعاجم العربية — كمعجم البلدان ، ومعجم أبى عبيد البكرى ، وأمثالها — فمع جلالة قدر مؤلفيها يحتاج الباحث إلى التثبت فى النقل منها .

وإنك لترى العجب العاجب حين ترى ما وقع فيه بعضُ رجالات الأدب العربى وتاريخ الحضارة العربية من أغاليط ، سببها الثقة البالغة بما سطَّره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع ، ولكم تملكنى العجبُ — كما تملك غيرى — عندما قرأت مقدمة كتاب « محاضرات الأمم الإسلامية » الذى دبَّجه يراع الأستاذ محمد الخضرى بك — رحمه الله تعالى ! — وكتاب « تاريخ الإسلام السياسى » الذى وضعه الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بك ، والبحثين الطريفين اللذين كتبهما الدكتور محمد صبرى بك عن امرىء القيس وذى الرمة ، وكتاب « مهد العرب » الذى صنفه الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وغير هذه الكتب مما يتوفر على إخراجه جماعة من زعماء الأدباء والمؤرخين .

والأمر الثالث : أن قوماً ممن أشرب الله قلوبهم حُبَّ العرب والعربية ما فتئوا يُثيرُونَ اهتمامي لهذا البحث ، ويتقاضونني الانقطاع له ، ومن هؤلاء الأماثل الأستاذ الفاضل « رشدى ملحس » فلقد كتب إلى كتاباً يقول فيه « يهمني جـداً معرفة حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقات العشر . وقد عنيت لأجل ذلك بجمع مانيسر تحقيقه ، وبمـا أنك من الخبيرين بمثل هذه الأمور جئت بكتابي هذا أرجوك مساعدتي في هذا البحث ، وأن تكتب إلى مطولاً عمـا لديك من التحقيقات عن هذه الأماكن ، مع بيان حدود كل منها ، وتعريفها تعريفاً وافياً » . وأرْفَقَ كتابه هذا بقائمة فيها أسماء المواضع التي أشكلت عليه من بقاع وجبال ومياه ، ووضع كل لفظ بين قوسين ، فبعثت إليه بما عندى من المعلومات عن ذلك .

وقد رأيت يومئذ أن من الخير أن أشرك القراء معنا في هذا البحث الذى أعتقد أن كل دارس للأدب العربي ـ وللشعر الجاهلي منه بصفة خاصة ـ لا يستغنى عنه ، فنشرت فصولاً من هذا البحث في جريدة « البلاد السعودية » الغراء التي تصدر بمكة المكرمة ، وفي أثناء تلك المدة التي نشرت فيها تلك الفصول وصلني كتاب من الأستاذ الكبير المرحوم جميل داود المسلمى المستشار للوزير المفوض للمملكة السعودية بلندن قال فيه : بعد السلام « اطَّلَعْتُ في جريدة البلاد السعودية على تلك الفصول الممتعة التي تناولتم فيها بالبحث المواضعَ الواردة في المعلقات ، وأرجو موالاة هذه البحوث النافعة ، فقد تهافت علينا كثير من المستشرقين وأدباء العرب الموجودين في لندن ، وسألونا : هل يجمع أمثال هذه البحوث كتاب مصنف ؟ فإن عزمت على تأليف كتاب على هذا النمط فأنا أول من يساهم في طبع ذلك الكتاب » .

ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان بطبعه على نفقته ، فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يداً كبيرة ، كشأن معاليه في المسارعة إلى كل مشروع نافع ، حفظ الله معاليه رائداً لنهضة البلاد ، وساعداً أيمن للعاملين في شتى مَيَادين الإصلاح ! .

وها أنذَا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير ـ بعد أن تَوَفَّرْتُ على كتابته سِنِينَ طِوَالاً ـ وأرجو أن أكون بهذا العمل قد سَدَدْتُ خَلَلاً كان ينبغي أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل ، فأكون بذلك قد أسْدَيْتُ إلى قومي اليدَ التي طالما تطلعوا إلى من يُسْدِيها إليهم . والله سبحانه المسئول أن يجعل هذا العمل نافعا ، وأن يكتبه لنا في سجل الحسنات ، آمين

تصدير

بذكر الأماكن التى طافَ بها أَصْحَاب المعلقات

من المعروف أن العربى الأول لم يكن يميل إلى استيطان موضع مُعَيَّن ؛ فقد اضطرته عوامل التكوين ، ومطالبُ العيش ، وظروفُ الحياة ، إلى أن ينزح من مكان إلى آخر انتجَاعاً لمواقع القَطْر ، ومنابت الكلأ ؛ لأنَّ عليها مَدَارَ مَعَاشه . والشاعر بصفةٍ خاصة من أكثر العرب تنقلاً فى البلاد ، فقد دأب أكثر الشعراء على أن يَفِد على الملوك وسادات القبائل ، مادحاً ومستجدياً ، لما للشاعر من مكانة فى نفوسهم ، وما يلقاه عندهم من الترحيب وجزيل المواهب .

وإذ كان موضوع بحثنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب بيان المواضع الواردة فى المعلقات فنلمع هنا موجزين إلى منازل أصحابها ، وإلى الأماكن التى طافوا بها فى حياتهم ، ليقف القارىء — قبل كل شىء — على إشارة عن منازلهم ، وتنقلاتهم ، تمهيداً للفصول التالية .

***

١ — امرؤ القيس

بلدته « ذوجرة » قرية بمخلاف « السكاسك » فى اليمن ، وهو رجل كان كثير التنقل فى أول شبابه ، ولذلك ورد فى شعره كثير من أسماء المواضع فى مختلف أنحاء الجزيرة ؛ فذكر مواضع من حضرموت ، كدَمُّون وعَنْدَل ، ومواضع فى شمال نجد كأُسَيْس والطها وتَيْمَاء السَّمَوْءَل ، ومواضع فى عالية نجد الشمالية ، كنْمِج وعَاقِلٍ ، ومواضع فى عالية نجد الجنوبية ، كالدَّخُول وحَوْمل وتُوضِح والمِقْرَاة .

ومن عادة الشعراء المتقدمين ذكر المواضع المتباعدة فى القصيدة الواحدة . بل فى البيت الواحد وقد وفد على قيصر ملك الروم ، وهو يقول فى هذه الرحلة :

بَكَى صَاحِبى لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيْقَنَ أنّا لاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

وإذا كان الحديث يجر بعضه بعضا فإنى أحب أن أشير إلى غلط وقع فيه كثير من الباحثين

فى المواضع ، وهو الاعتقاد بأن بلد الشاعر صاحب هذه المعلقة هى « مَراة » المعروفة فى الْوَشْم [١]

وأولُ من علمته وقع فى هذا الخطأ كاتب نشر في جريدة « أم القرى » منذ ثلاث وعشرين سنة تقريباً رحلة بعنوان « الرحلة السلطانية » . ثم أتى كاتبٌ آخر فنشر رحلة أخرى فى جريدة « صوت الحجاز » فى سنتها الأولى ، قال فيها إن « مراة » هى « المقراة » التى وردت فى شعر امرىء القيس ، ثم جاء كاتب ثالث فقال فى كتاب مطبوع معروف : إن امرأ القيس ولد فى « مراة » وآخر من علمته وقع فى ذلك الخطأ : الأستاذ أحمد حسين فى كتابه « مُشَاهداتى فى جزيرة العرب »

ومنشأ هذا الخطأ : أن « مراة » قد نسبت فى بعض مؤلفات القدامى إلى امرىء القيس ، ولكن اسم امرىء القيس اسمٌ شائع فى العهد الجاهلى ، واشتهر به كثير من الشعراء وغيرهم ، وللأستاذ حسن السندوبى بحث ممتع عن « الْمَرَاقِسة » طبعَه مع ديوان امرىء القيس ، وفى « المزهر » للسيوطي و « شعراء النصرانية » لليسوعى تفصيل عنهم . والذى وقع فى مؤلفات أسلافنا من العلماء صحيح . ولكن امرأ القيس الذى تنسب إليه « مراة » ليس هو امرؤ القيس بن حُجْر الكندى ، صاحب المعلقة ؛ فقد جاء هذا الخطأ من الاغترار بذكر « امرىء القيس » وإنما هو امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم ، وتميم هم سكان الوَشْم [١] فى العهد القديم . فمراة لبنى امرىء القيس ، وثرمداء لبني سعد ، وأثيفية لبنى يربوع من بنى حنظلة الذين منهم بلال الشاعر ، وذات غسل لبنى العنْبَر . وامرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور لم يسكن مراة المعروفة فى بلاد الوشم .

* * *

٢ — زُهَيْر بْنُ أَبِي سُلْمَى الْمُزَنِيُّ

ولد فى بلاد قومه « مُزَيْنَةَ » من نواحي المدينة ، وخرجَتْ به أمه بعد وفاة أبيه — وكان صغيراً إذ ذاك — إلى بلاد قومها بنى عبد الله بن غَطَفَان ، ونشأ فيها ، وتفتَّحَتْ شاعريته على مراتع الْمَهَا من رُبا نجد ، وقد أطنَبَ فى مدح رؤسائهم ، كهَرِم بن سِنان والحارث بن عَوْف .

وطَبَعِى أن يكثر فى قصائده ذكرُ المواطن التى نَشَأ فيها من بلاد غَطفَان ، وهى من

---

(١) الوشم — بفتح فسكون — موضع فى اليمامة يشتمل على قرى من أشهرها : مراة ، وثرمداء ، وأثيفية ، وذات غسل ، وهى بلد المصنف ، ونسبه فى بنى خالد . وستذكر قريبا .

القَصِيم إلى قرب المدينة ، فمن ذلك : غِمَارٌ ، والمَرَوْرَاة ، ونَخْل، والرَّسُّ ، والرَّسِيس ، والقَصِيم ، وجُرْثُم ، والمُتَثَلَّم ، والرَّقْمَتانِ ، وغيرها مما ذكرناهُ مفصلاً عند دراسَة أثر الشاعر .

قال أحد الشعراء يهجو زهيراً[١] .

وَأَنْتَ أمرؤ من أهل قُدْسٍ وآرَةٍ   أحَلَّتْكَ عَبْـدُ الله أكْنَـافَ مُبْهِلِ

أما « قُدْس[٢] وآرة » فهما فى بلاد مُزَيْنَةَ قرب المدينة يُعْرفان بهذا الاسم إلى عهدنا هذا . وأمّا مُبْهِل فهو وادٍ فى بلاد غطفان يَصُبُّ فى الجهة الجنوبية من وادى الرّمة .

* * *

٣ — طَرَفَةُ بن العَبْد البَكْرِيُّ

وُلد فى شمال الجزيرة فى بلاد ربيعة — وهى من العراق إلى خَيْبَر — وأكثر إقامته فيها ، وقد أكثر التجوال فى بقاع نجد ، وذكر فى معلقته المشهورة بقاعاً مترامية الأطراف : منها دِجْلَة فى شرق الجزيرة ، وحَوْمَل فى غربيها ، وثَهْمَدُ قرب نَفْيٍ فى وسط نجد ، وضَرْغَد الذى يسمى اليوم ضَرْغط يقع بين بلاد بنى أسد وبين بلاد طى في شمالى نجد الغربى ، ودَدٌ فى نواحي البحرين

ووفد على عمرو بن هند[٣] ملك الحيرة من قبل كسرى ، وحَظِىَ بالقرب منه ، ولكنّه مَلَّ حياته الرتيبة ، على ما فيها من مَنَاعم الحياة ، فهجاه هجاءً كثيرًا منه قوله :

فليت لنا مكان المَلْك عَمْرٍو   رَغوثاً حول قبّتنا تخور[٤]

---

(١) البيت لمزرد بن ضرار الغطفانى يهجو كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى .

(٢) قدس : بضم فسكون ، وآرة : بهمزة فألف فراء مهملة مفتوحة ، وفيهما يقول البعيث الجهنى ، وهو يدل على أنهما من مساكن مزينة :

ونحن وقعنـا فى مزينـة وقعة   غـداة التقينا بين غيق وعيهما
ونحـن جلبنـا يوم قدس وآرة   قنـابل خيل تترك الجـو أقتما

ووقع فى معجم ياقوت « يوم قدس أوارة » محرفا ، فإن أوارة من بلاد تميم في اليمامة ، وأين غانة من فرغانة ؟ .

(٣) هند أم عمرو : هى بنت الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور ، وهى عمة امرىء القيس بن حجر الكندى

(٤) الرغوث — بفتح الراء — كل مرضع ، وقيل : المرضع من النعاج خاصة ، وربما استعملت فى النوق ، وتخور : تصوت ، وأصل الخوار — بضم الخاء ، وفتح الواو مخففة — صوت البقر خاصة ، وربما استعمل فى الإبل وغيرها .

وانتهى الأمر بقتله على يد (المكعبر) عامل عمرو بن هند على البحرين فانتصر له ابن عمه عمرو بن كلثوم ، فقتل عمرو بن هِنْد .

***

٤ — لَبيد بن رَبيعة العَامِرِيّ

وُلد فى عالية نجد ، وكان كثير التَّجْوال فيها فى جاهليته ، و بعد إسلامه ، وله أشعار كثيرة ذكر فيها بقاعاً كثيرة : كمَنًى ، وغَوْل ، ورِجَام ، وتَدُوم ، ووَجْرَة ، وهى مواضع فى عالية نجد ، وكشِعْب جَبَلَةَ فى وسط نجد ، قال لبيد :

* ونحن غداة الشِعب حين تحالفت ـ البيت *

وفى هذا الشِّعْب يومٌ من أيام العرب انتصرت فيه بنو عامر على بنى أسد و بنى ذبيان و بنى تميم ، وقتل فى ذلك اليوم لَقيط بن زُرارَة سيدُ بنى تميم[١] :

ومن المواضع التى ورد ذكرها فى شعره بِيشَةُ[٢] وتَبَالة فى جنوبى الحجاز .

وقد وَفَد على النعمان بن المنذر فى الحيرة ـ وهو غلام ـ مَع رؤساء بنى عامر ، ونزل الكوفة بعد إسلامه .

***

٥ — عَمْرو بن كُلْثُومِ التَّغْلِبيّ

هو صاحب المعلقة المشهورة ، وأحَدُ فُتَّاك العرب ، ولد فى بلاد قومه بنى تَغْلب فى شمالى جزيرة العرب فى بلاد ربيعة . وَتجوّل فى تلك الناحية وفى الشّام والعراق ونجد . ويدل على ذلك ماذكره فى مُعلَّقته من الأماكن كدِمَشق وبَعلَبَك وقَاصِرين . وهذه الأماكن الثلاثة قريبٌ بعضُها من بعض ، وقد ذكر اليمامة ، وهى الجبل المشهور : طرفُه الشمالى قرب الفاط البلد

(١) انظر حديث يوم جبلة فى تاريخ ابن الأثير ٢٤٣/١ بولاق ، وفى معجم أبى عبيد البكرى ٣٦٥/٢ وفى معجم ياقوت ٥٢/٣ ويسمى أيضا «يوم تعطيش النوق» وكان فى العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) بين تبالة وبيشة يوم واحد ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين مكة ثمانية أيام ، وإليها ينسب أبو أيوب سليمان بن داود بن سالم بن زيد التبالى ، سمع منه أبو حاتم الرازى .

المشهور ، وطَرَفُه الجنوبى قرب وادى الدواسر ، ويقع فى الجهة الشرقية من نجد ، وقد حَدَّدته فى كتابنا هذا تحديداً شافياً على شرح هذا البيت :

فَأعْرَضَتِ اليَمَامَةَ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِى مُصْلِتِينَا

وقد ذكر خَزَاز ، وأشار فى ذكره إلى إيقاد ربيعة النارَ فى رأس ذلك الجبل ، وهو فى عالية نجد، وكان به يوم من أيام العرب بين العَدْنَانيين واليمانية[1] ، وهو أول يوم هَزَمَت فيه العدنانية اليمن ، ثم ذكر وراط ، وهو من أودية سُدَيْر الواقع فى اليمامة ، وذكر ذا طُلُوح الذى يقال له اليومَ « الطليحى » ، وذكر الشامات ، وهى : أكْثِبة بيضٌ يقال لها اليوم « شَامَاتُ زَرُود » تقع فى شمالى زَرُود فى شمالى نجد .

وقد وَفَد على عمرو بن هِنْد مع رؤساء قومه بَنِى تغلب .

* * *

٦ — عَنْتَرَةُ بن شَدَّادٍ العَبْسِىُّ

وُلد فى بلاد قومه غَطَفَانَ ، وهى — كما ذكرنا عند كلامنا على زُهَير — من القَصِيم إلى قرب المدينة غرباً ، يَحُدُّها من جهة الشمال بلادُ بنى أسد ، ومن جهة الجنوب بلاد بنى عامر بن صَعْصَعَة .

وقدْ طاف فى جميع أنحاء نجد ، وذكر فى قصيدته مواضعَ بعيدًا بعضُها من بعض كالجِوَاء الواقِع غربىَّ القَصِيم ، والحَزْن الذى يقال له اليوم « الحزل » شرق الدَّهْنَاء ، وذكر الصَّمَّان ؛ وهو شرق الدهناء ، والمُتَثَلَّم: جبل قرب الجِوَاء ؛ وذكر عُنَيْزَتَيْنِ[2] ، وهى بلدة « عنيزة » الآن ؛

(١) انظر بعض خبر يوم خزاز فى معجم أبى عبيد البكرى ٢/٤٩٦ ومعجم ياقوت ٣/٤٢٩ وفى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢١٣ قالوا « ولولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز » .

(٢) من عادة شعراء العرب أن يثنوا اسم البلد أو يجمعوه ، ويريدون بالتثنية جانبيه ، ويريدون بالجمع عدة أجزائه ، وذلك كثير فى كلامهم ، وقد ثنى الفرزدق المربد فى قوله :

* عشية سال المربدان كلاهما *

وجمع مطرود بن كعب غزة فى قوله :

ميت بردمان وميت بسلـــمان وميت عند غزات

فإذا اعتبرنا تثنية عنزة عنيزة من هذا القبيل فهى من البلاد الباقية على اسمها إلى اليوم . هذا ، =

وذكر الغَيْلَمَ ، وهو فى جنوبى اليمامة ؛ وذكر ذا المُشَيْرَةِ ؛ وهو جَو فى الصَّمَّان يقال له الآن « جو عشرى » وذكر الدُّخْرُضَيْنِ وهما دُخْرُض ووَشِيع مما يلى الخرج تفْصِل بينهما الدهناء ، وذكر الدَّيْلَمَ ، وهى الآن عاصمة الخرج ، ويقال لها الآن « الدلم » ، وذكر الرِّدَاعَ ، وهو فى عالية نجد .

***

٧ — الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِىُّ

وُلد فى بلاد قومه بنى يَشْكر فى بلاد ربيعة ، وتجوَّل فى بلاد قومه ، وفى عالية نجد وجنوبيها وشماليها ، وفى بلاد طيىء ، وبلاد بنى أسد ، وبلاد غَطَفان .

ذكر « الخَلْصَاء » وهى فى الدهناء و « بُرْقَة شَمَّاء » وهى فى حمى ضَرِية . وذكر « المُحَيَّاة » ويقال لها اليوم « مُحَيْوَة » جبل رفيع فى بلاد غَطَفان بالقرب من أبان ؛ وذكر « فُتُقَ »(١) وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد قربَ بلد حائل ، وذكر « رياض القَطَا » وهى قربَ الدَّهناء ، وذكر « الشُّعْبَتَين » وهى باقية بهذا الاسم فى بلاد بنى أسد ، فلما انقرضت بنو أسد نزلها قسم من قبيلة الأسلم من شَمَّر ؛ وذكر « أُبْلَى » وهى فى عالية بلاد بنى عبد الله بن غَطَفان ، وذكر « العَقِيق » وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد : أعلاه قرب عُشَيرة ، وينتهى بالقرب من المدينة ، وذكر « شَخْصَيْن » وهما جبلان فى شمالى جبل كَبْشِ المشهور ، وذكر « مُلْحَةَ » بالقرب من « بِيشَةَ » فى عالية نجد الجنوبية ، وذكر « الصَّاقِبَ » وهو جبل فى عالية نجد باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ،

= وفى عنيزة قتل مهلهل بن ربيعة جساس بن مرة قاتل أخيه كليب بن ربيعة ، وفى هذه الوقعة يقول مهلهل :

كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

(١) قد ورد بلفظ « فتاق » بزنة الـكتاب — فى شعر الحارث بن حلزة ، وفى قول الأعشى :

بكيت عرفاء مجمرة الخف ... غذتها عوانة وفتاق

وفى قوله أيضاً :

أتانى وغور الحوش بينى وبينه ... كرانس من جنبى فتاق فأبلقا

والفتق — بضم الفاء والتاء جميعا — جمع فتاق (وانظر الهامش رقم ٢ فى ص ١٠)

وذكر « البَحْرَيْنِ ، والحِسَاء » ، والبحرين يُطْلق على مقاطعة هَجَر ، إلى غير ذلك من المواضع التي سنذكرها مفصَّلة مع بيان حدودها عند ماتتعرض لقصيدة الشَّاعِر .

وقد وفد على عمرو بن هند بالحِيرة ، شاعراً لبكر ، وقِصَّته مع عمرو مشهورة .

* * *

٨ — الأعشى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ

صاحب المعلقة المشهورة ، وُلد في بلدة مَنْفُوحة قربَ مدينة الرياض ، وكان رَحَّالة كثير التجوال ، وَفَدَ على ملوك نَجْرَان بنى عبد المَدَان ، وعلى الغَسَّانيين بالشام ، وعلى اللَّخْميين بالعراق ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة دالية قال فيها :

فَآلَيْتُ لا آوى لهـا من كَلَالَةٍ … ولا من حَفًى حتّى تلاَقِى محمـدا

متى ما تُنَاخِى عند باب ابن هاشمٍ … تُرَاحِى وتَلْقَى من فَوَاضله نَدَى

فصَدَّته قريش ، ورجع إلى بلدته مَنْفُوحة ، ومات بها ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة قال « كاد أن يُسْلِم » .

ورد فى داليته ذكر « النُّجَير » ، وهو قصر فى اليمن لـكِنْدَةَ ، و « صَرْخَد » وهو من قرى الشام ، فانظر إلى هذا التباعد بَيْن الموضعين فى قوله :

وأبْتَذِلُ العِيسَ المَرَاقِيلَ تغتدى … مسافة ما بين النُّجيْرِ فصَرْخَدَا[1]

وذكر فى معلقته مواضع كثيرة « كرياض الحزن » ، ويقال لها اليوم الحزل ، وذكر « دُرْنَا »[2] ، وهى من قرى اليمامة ، وذكر « نُمَار » وهو فى أودية اليمامة ، وذكر « الخَالَ » وهو جبل واقع على وادى الدفينة ، وذكر « العَسْجَدِيَّة » وهى جبال فى جبل كَشْب المعروف ويقال لها اليوم « العسلجيات » ومفردُهَا عسلج ، وذكر « الأبلاء » وهى واقعة فى عالية بلاد بنى عبد الله بن غَطَفَان وذكر « الرِّجَل[3] » وهى كثيرة فى نجد ، وذكر « خِنزِيرا » وهو جبل فى عالية نجد

---

(١) العيس : الإبل ، واحدها أعيس أو عيساء ، والمراقيل : جمع مرقال ، وهى السريعة السير

(٢) وذكر « درنا » فى غير المعلقة أيضا ، فى قوله :

حل أهلى ما بين درنا فبادو … لى وحلت علوية بالسخال

(٣) الرجل — بكسر الراء وفتح الجيم — مسايل الماء ، واحدها رجلة .

الجنوبية ، وذكر « رَوْض القَطَا » وذكر « كثيب الغَيْنَة »[١] وهو فى شرق اليمامة يقال له فى هذا العهد : « عريق بيان » والغينَة هى القرية المسماة الآن « غيانة » وذكر « يوم الحِنْو »[٢] وهو فى شمالى الحَجَرة وكان يقال له « حنو قُرَاقر » ولا يزال له هذا الاسم إلى اليوم . وبه يوم من أيام العرب لربيعة على قسم من العرب والفرس ، وفى ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا هو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم ، وبي نُصِروا » .

* * *

٩ — النابغة الذُّبْيَانِيُّ

وُلد فى بلاد غَطَفَان ، وتنقَّل فى جميع بلاد العرب ، ووفد على الملوك اللَّخميِّينَ ، وآثره النعمانُ ابن المنذر على جميع الشعراء ، ولما غضب عليه وفد على الغَسَّانيين .

وذكر فى قصائده مواضع كثيرة فى نجد وغيرها : ذكر « الجليل »[٣] وهو جبل بالشام يمتد إلى قرب حِمْصَ ، وذكر « وَجْرَةَ » وهى فى عالية نجد ، وذكر « تَدْمُر » وذكر « تُوضِحَ » وهى أرض متسعة يقال لها اليوم « التوضحيات » بعالية نجد الجنوبية ، وذكر « جِاقّ » وهى دِمشْق ، وذكر « المِلْح » إشارة إلى أملاح عبد الله بن غطفان ، وهى فى عالية بلادهم ، وذكر « الأمرار » وهو الملح المذكور يقال لها فى هذا العهد « أملاح عبد الله » وذكر « حُسًا » ويعرف الآن « بِحِسِى عَليا » فى عالية نجد الشمالية ، وذكر « اصاف » وهو مَنْهَل باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذكر « ثَبْرَةَ » وتسمى فى هذا العهد « وبرة » ويقع الموضعان فى شرقى الصَّمَّان ، وذكر « لابَةَ ضَرْغَد » التى يقال لها اليوم « ضرغط » وغيرَ ذلك من المواضع المفصلة في هذا الكتاب .

---

(١) الغينة : يروى بكسر الغين وفتحها .

(٢) يوم الحنو : هو المشهور بيوم ذى قار (تاريخ ابن الأثير ١/١٩٦)، وفيه يقول الأعشى :

فصبحهم بالحنو حنو قراقر ... وذى قارها منها الجنود ففلت

على كل محبوك السراة كأنه ... عقاب سرت من مرقب إذ تدلت

(٣) وذكر « ذا الجليل » فى قوله :

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد

وأصل الجليل الثمام — بضم الثاء — وهو نبت يحشى بها خصاص البيوت ، وذكر صاحب اللسان أن ذا «الجليل» واد لبنى تميم ينبت الجليل الذى هو الثمام .

١٠ — عَبِيدُ بن الأبرصِ الأسَدِيُّ

وُلد فى بلاد قومه بنى أسد ، و يَحُدُّها بلادُ عبد الله بن غَطَفان جنو باً و بلاد طيء شمالاً .
وجبالُ بنى أسد : رَمَّان وَحَبَشِى ، وغِمَار الذي يقال له اليوم الغَمار .

ذكر « ملحوب » وهو فى بلاد بنى أسد يقال له اليوم « مكحول » قرب سَميراء[1] وذكر « القُطَبِيَّات »[2] وذكر أنها قرب جبل سُوَاج ، و يقع فى عالية نجد الشمالية ، وذكر « الذَّنوب » وهى باقية بهذا الاسم إلى عهدنا هذا ، وتقع فى عالية نجد بالقرب من الدفينة[3] ، وذكر « را كس » وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، و يقع فى شمالى نجد ، وذكر « ذات فرقين » وهو جبل له رأسان ، تراه إذا كنت فى بلدة نفى ، و يعد من جبال الخماس ، وذكر « ثعيلبات » و يقال له الآن « الثعيلبى » من مياه طى ، وذكر « عَرْدَة » وهى باقية بهذا الاسم إلا أنها ذكرت وثنيت ، فقيل لها « عردان » وتقع فى عالية نجد ، وذكر (حِبِرًّا) وهو جبل أسود فى عالية نجد الشمالية .

* * *

وهؤلاء الشعراء العشرة كلهم من نجد ، ما عدا امرأ القيس ، أربعة منهم من ربيعة وهم : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد ، والأعشى . وأربعة من قيس عيلان وهم : زهير بن أبى سلمى ، ولبيد بن ربيعة العامرى ، والنابغة الذبيانى ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعبيد بن الأبرص من بنى أسد ، وامرؤ القيس من اليمن ، وأكثر إقامته فى نجد .

---

(١) سميراء ـ بفتح فكسر ممدودا ـ وردت فى حديث طليحة الأسدى لما ادعى النبوة ، وذلك « أنه عسكر بسميراء » وقال مرة بن عياش الأسدى :

جلت عن سميراء الملوك ، وغادروا　　بها شر قن لا يضيف ولا يقرى

فأما الذين ذكر أنهم رحلوا عن سميراء فهم بنو حبيب بن أسامة من أسد ، وأما الذين ذكر أنهم استوطنوها فقبيلة من بنى نصر يقال لهم بنو حجران ، وهو يهجوهم بأنهم عبيد لا ينزلون الضيفان عندهم ، ولا يقرونهم إن طرقوهم .

(٢) فى اللسان ما معناه : أراد عبيد القطبية فجمع كأنه يعنى الماء وما حوله (وانظر الهامشة رقم ٢ ص ١٠)

(٣) وقد ورد الدفين أيضاً فى شعر عبيد مكرراً ، فمن ذلك قوله :

تغيرت الديار بذى الدفين　　فأودية اللوى فرمال لين

ومن ذلك قوله :

ليس رسم من الدفين ببال　　فلوى ذروة فجنبى ذيال

١

امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ

امرؤ القيس

مات سنة ٨٠ قبل الهجرة (٥٦٥ للميلاد) تقريبا

هو امرؤ القيس بن حُجْر ، نسبه فى بنى ثَوْر بن مُرْتِع بن كِنْدة من كَهْلَان [١] .

نذكر أولا : المواضع الواردة فى معلقته ، وهذا مطلعها :

١ ـ قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأماكن فنذكر أن أهل المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع فى اليمامة ، قال ياقوت فى معجمه [٢] : توضح والمقراة قريتان من قرى اليمامة ، وتبعهم حسن السندوبى فى شرحه لهذه القصيدة ، وذكر أن جميع هذه المواضع فى اليمامة .

ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها فى موضعها اليوم ، إلا عبارة واحدة وردت فى معجم البلدان أثناء ذكر الدَّخُول . قال : إن الدخول [٣] بئر ، ثم عزز هذا القول بقوله : حكى نصر أن الدَّخول موضع فى ديار بنى بكر بن كلاب .

سقط اللوى — سِقْطُ اللِّوَى : السقط لغةً : يطلق على طرف كل كثيب ، أما الذى عناه امرؤ القيس فى قصيدته ، فهو سناف يقال له اليوم مشرف ، واسمه فى الجاهلية شَرَاف ، كأنه كثيب من الأبارق والرمال طرفُه من جهة الغرب قريب حَوْمل ، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول ، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

الدخول — أما الدَّخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالىَّ الهضب المعروف بين وادى الدواسر ووادى رَنْيَة ، وذلك الماء تحت يد أبن نوير الشيبانى اليوم ؛ وفى شعر حذيفة بن أنس الهذلى :

فلو أَسْمَعَ القومَ الصراخُ لقوربت ... مصارعُهم بين الدخول وعَرْعَرَا

---

(١) لامرىء القيس بن حجر ترجمة فى الأغانى ٨/٦٢ وفى طبقات الجمحى ١٥ أوربة وفى خزانة الأدب ١ / ١٦٠ وفى طبقات الشعراء لابن قتيبة ٣٧ أوربه .

(٢) المعجم ٢ / ٤٣٠ — (٣) المعجم ٤ / ٤٥

وعرعر : ماء ببطن الهَضْب بينه و بين الدخول مرحلتان للإبل ، يسمى اليوم « عراعر » .

حومل — أما حومل : فهو جبل قريب من الدّخول فى جهته الغربيـة الجنوبية ، يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول .

المقراة — والمقراة : وادٍ ينصبُّ إلى جهة الجنوب بين الهضب والسوادة ، وقد حُرِّف اليوم إلى القمرا ، فهذا الوادى المذكور يسمى اليوم « القمرا » فى ألسُن جميعِ أهل نجد ؛ وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربةٌ .

توضح — وتوضح : أرض قريبة من الهَضْب يقال لها اليوم « التوضحيات » تقع عن جبل الحمل جنوبا ، والحمل : جبل يقع جنوبىَّ الهضب ، فجميعُ هذه المواضع بعضُها قريب من بعض : منها ما يبعد عن الثانى مرحلة ، ومنها مايبعد مرحلتين ، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التى يقال لها اليوم مُشْرف ، واسمها فى الجاهلية شَرَاف ، قال الشماخ فى شطر بيت : (١)

* مَرّتْ بِمَغْنَى شَرَافٍ وَهْىَ عاصِفَةٌ *

وقال زُمَيْل بن زامل الفَزَارى قاتلُ ابنِ دارة :

لقد عَضَّنى بالجو جو كُتَيْفَةٍ ... ويوم التقينا من وراء شَرَافِ (٢)
فصرت له الدعصى ليعرف نسبتى ... وأنبأته أنِّى ابنُ عبد مناف
رفعتُ له كفِّى بأبيضَ صارمٍ ... وقلت التَحِفْهُ دونَ كل لِحَافِ

وشراف هذا : هو الذى أشار إليه امرؤ القيس بقوله « بسقط اللوى » سِقْطُه : طرفُه ، واللوى : الأبارق منه أكثبة متراكمة ، والدخول وحومل والمقراة وتوضح : كلها تقع من جبل السوادة فى الجنوب الغربى ، بينها و بين الهضب الذى يقال له اليوم « هضب آل زايد » وآل زايد : الدواسر ، وتوضح يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع جنوبى جبل الحمل ، وموقعها من الهضب من جهة مطلع الشمس ، أما سبب تسمية الدخول فإنه واقع بين هَضْبتين والماء بينهما ، ولا يُدْخَلُ إليه

---

(١) هكذا رواه ياقوت (شراف) ونسبه للشماخ ، ولكنى بحثت ديوان الشماخ من أوله إلى آخره فلم أجده فيه .

(٢) هكذا رواه ياقوت ، ورواه صاحب اللسان (ش ر ف) « لقد غظنى بالحزم حزم كتيفة » وذكر أن شراف ماء لبنى أسد .

إلا من بين الهضبتين ، وفى هضبة من هضابه ماء ليس بالكثير فى عرض الهضبة يجتمع من الأمطار ، فلا ينقطع أبدا ، ولا يصل إليه الرجل إلا وهو جاث على ركبتيه ، فتسميه البادية اليوم « الدخل » أعنى هذا الرس الذي فى الهضبة نفسها ، قال سعيد بن عمرو الزبيدى يذكر هضاب الدخول :

وإن يَكُ ليلى طال بالنِّير أو سَجَا فقد كان بالجَمَّاء غير طويل (١)

ألا ليتنى بُدِّلْتُ سَعْيَا وأهلَه بدَمْخ وأضراب بهضب دخول

النِّير وسَجَا ودَمْخ كلها باقية بهذه الأسماء . سجا : ماء يحميه سمو الأمير فيصل لإبله وخيله ، وهو من أحسن مياه البادية ، والنِّير ودَمْخ : جبلان عظيمان فى عالية نجد ، فإن مرّ لهما ذكر فى إحدى القصائد زدناهما إيضاحا . سجا والنير ، ودمخ

أما هضب آل زايد فهو يقرب من الدخول مسافة يوم تقريبا ، ومن مياهه : الضبران ، والغُبَيَّة ، وسَقْمان ، وصلاصل (٢) ، ومشينه ، وعَرَاعر ، ومأسل ، ومُوَيسل .

فأما عراعر وصلاصل ومأسل ومويسل فهذه أسماؤها فى الجاهلية ، وما تغيرت إلى يومنا هذا ، غير أنهم جمعوا «عرعرا» على نهج أسلافهم فقالوا «عراعر» وقد قال امرؤ القيس فى ذكر عرعر :

سَمَا بك شوقٌ بعد ما كان أقصَرَا وحلَّتْ سليمى بطن قَوٍّ فعَرْعَرَا

وقال شاعر من بنى كلاب فى سقمان :

رعي القسورَ الجونِيَّ من حول أشْمُسٍ ومن بطن سَقْمان الدعادِعَ سِدْيَمَا (٣)

وقال تليد العبشمي على ذكر صلاصل :

(١) الجماء المذكورة فى هذا البيت : هى ماءة الجمانية المعروفة فى جهة النير فى غربيه الشمالى .

(٢) صلاصل : ماء لبنى أسمر من بنى عمرو بن حنظلة ، قاله البكرى فى شرح قول جرير :

عفا جو ، وكان لنا محلا ، إلى جوى صلاصل من لبينى

(٣) وقد أنشده ياقوت ولم ينسبه ، ووقع فى ياقوت « الدعادع ديما » ووقع فى لسان العرب « الدعادع سديما » وذكر عن ابن برى أنه أنشده « الدعاع » بدال واحدة بزنة الغراب « المديما » أى الذى جادته الديمة وهو المطر الدائم ، والدعادع فى الرواية الأخرى : نبت يكون فيه ماء فى الصيف ، وسديم : بزنة درهم وأصله السدم ، وهو الحريص على الشيء ، ويقال : فحل سدم ، إذا كان قد أرسل فى الإبل فهو يهدر بينها ، وفى شرح القاموس « أشمس : موضع ، وسديم : فحل » .

أتتنا بنو قيسٍ بجيش عَرَمْرَمٍ ... وشن وأبناء العمودِ الأكابرُ

إلى أن قال :

سقينـا القليل من سمير وجمون ... وأفلتنـا ربُّ الصلاصل عامِرُ

ربه : يعني راعيه الذي يسكنه ، وموقعه في الهضب ، والهضبُ في القديم لبني عامر بن صعصعة ، ومأسل : يأتي عنه الكلام إن شاء الله ، وفي مُوَيْسِلٍ يقول راجز من بني عقيل بن عامر :

ظَلَّتْ على مُويْسِلٍ حيَـامَى ... ظَلَّتْ عليـه تعلك الرماما

* * *

٢ — وقال امرؤ القيس :

كَدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

مأسل مأسل : ماء في الهضب مجاور لتلك المواقع التي تقدم ذكرها ، وهذا الاسمْ يطلق على ثلاثة مواضع في جهة نجد الجنوبية .

أحدها : في وسط الهضب ، وهو الذي عناه امرؤ القيس بقوله هذا .

والثاني : مأسل الجمح يقع شمالي عرض شَمَام .

والثالث : في حصاة آل عُلَيَّان بين الركا والسوادة ، وهي التي يقال اليوم الحصاة : حصاة[1] آل عليان ، وحصاة آل حويل ، والجميع : من قحطان ؛ حصاة آل حويل : جبال سود ، وحصاة آل عليان : جبال حمر ، وبينهن ريعان وطرق ؛ واسمها في الجاهلية : الحصَّاء ؛ لأن جبالها خالية من النبات والشجر ؛ فسميت الحصَّاء لذلك ، فإن كل شيء خالٍ من النبات يقال له : أحَصُّ ، وهي في ديار بكر بن كلاب ، وفيها يقول مَعْقل بن ريحان :

جَلَبْنَا من الحصَّاء كلَّ طِمِرَّة ... مُشَذَّبة فَرْجاء كالجذع جيدُها

وهي التي ذكرها أخو عطاء حين رثى أخاه ، وهو مولى لبني بكر بن كلاب :

(١) الحصاة : هي التي فيها الوادي المشهور الذي يسمى « خيم » وفيه بئر عذبة تسمى « خيم » وهي التي عناها جرير بقوله ، لما وفد على أمير من الأمراء في زمن عبد الملك بن مروان فقال :

أقبلن من ثهلان أو وادي خيم ... على قلاص مثل خيطان السلم

وخيم باقية بهذا الاسم إلى اليوم لم تتغير . ذكرها صاحب الأغاني في ترجمة جرير ج ٨ ص ٤١ بولاق

لَعَمْرُكَ إنى إذ عطاء مُجَاورى لزارٍ على دُنيا مقيمٍ نعيمُها

إلى أن قال :

أتته على الحصَّاء تهوى ، وأمسكت مصارع حُمَّى تصرعنه ومُومُها

فيا حبذا الحصاء والبرقُ والعُلَا وريح أتانا من هناك نسيمُهَا

و بلغنى أن فى جبلى طيئ ماءين يقال لأحدهما : مأسل ، وللثانى مُوَيسل :

* * *

٣ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لى مِنَ الْبِيضِ صَالِـحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

دارة جلجل — الداراتُ فى كلام العرب كثيرةٌ ، مضافةٌ وغيرُ مضافةٍ ، وأما دارة جلجل التى عناها امرؤ القيس فهى باقية إلى اليوم في بطن الهضب ، تقع فى جهته الجنوبية الشرقية ، و يقال لها اليوم « دارة جلاجل » وهو الموضع الذى عناه عمرو بن الخُثَارم البجلى بقوله :

وكنا كأنا أصل دارة جلجل مُدِلٌّ على أشْبَالِهِ يَتَهَمْهَمُ

وهى دارة عظيمة تحيط بها هَضَبات باقية على هذا الاسم ، وفى كتاب جزيرة العرب للأصمعى « دارة جلجل : من منازل حُجْر الكندى بنجد » وهذه العبارة صحيحة

* * *

٤ — وقال امرؤ القيس :

تَصُدُّ وَتُبْدِى عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَتَّقِى بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وجرة — وَجْرة : معروفة بكثرة الظباء ، وقد أطال الكلامَ عليها أهلُ المعاجم ، وهى ركبة الشمالية . وأما ركبة الجنوبية فهى التى يسلكها طريقُ السيارات من عُشَيرة إلى المويه ، ووجرة التى يسلكها اليومَ طريقُ السيارات من عشيرة إلى المهد هى التى يقول فيها جرير :

حييت لست غداً لهن بصاحب بحزيز وَجْرة إذ يَخِدْنَ عِجَالا

وقال بعض العشاق :

أرْوَاحَ نَعْمان هَلاَّ نسمة سَحَرا وماءَ وَجْرَةَ هلاَّ نَهْلة بِفَمِ

وقال أعرابى :

وفى الجيرة الغادين من بَطْن وَجْرة غزالٌ أَحَمُّ المقلتين رَبيبُ
فلا تحسبى أن الغريب الذى نأى ولكنَّ مَنْ تنأَيْنَ عنه غَرِيبُ

وقال بعض الأعراب :

أتبكى على نجد وريًّا ولن ترَى بعينيك ريًّا ما حييتَ ولا نجدا
ولا مشرفًا ما عِشْتَ أنقار وَجْرةٍ ولا واطئا من تُرْبِهنَّ ثَرًى جَعْدا[1]
ألم ترَ أن الليل يَقْصُرُ طولُه بنجد ، وتَزْداد الرياح به بردا

* * *

٥ — وقال امرؤ القيس لما ذكر البرق :

يُضِيء سَنَاهُ أو مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفَتَّلِ[2]
قَعَدْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ[3]

ضارج : جبل فى بلاد بنى أسد ، تغير اسمُه اليومَ عن هذا الاسم ، وقد اختص به بنو الصيداء وهم بطن من بنى أسد ، وقال الشاعر : ضارج

وقلت تَبيَّنْ هل ترى بين ضارجٍ ونِهْى الأكُفِّ صارخا غير أعْجَمَا

وهذا هو الذى عناه امرؤ القيس فى معلقته ، فأما ضارج الذى فى البيت الثانى من قوله :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّها وأن بياضا من فَرَائِصِهَا دَامِى[4]
تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عنـد ضَارِجٍ يَفِيء عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِى[5]

---

(١) الأنقار : جمع نقرة ، وهى الوهدة المستديرة فى الأرض .

(٢) السنا : الضوء ، والسليط : الزيت ، والذبال : جمع ذبالة وهى الفتيلة .

(٣) بعد : بضم الباء وسكون العين على أنه فعل دال على التعجب ، وأصله بعد — بوزن كرم — فنقلت ضمة العين للباء ، وكأنه قال : ما أبعد ما تأملت ، ويروى « بعد » بفتح الباء وسكون العين وهذه الرواية تحتمل أن الأصل كما فى الرواية الأولى إلا أنه حذف ضمة العين ولم ينقلها إلى الباء ، وتحتمل أن « بعد » ظرف ، وكأنه قال : نظرت إليه بعد أن تأملته .

(٤) البيتان فى وصف حمر وحشية ، والشريعة : مورد الماء ، وهمها : مقصدها .

(٥) تيممت:قصدت ، والعرمض — بفتح العين والميم جميعاً وبينهما راء مهملة ساكنة — الطحلب

فهو من جبال الحجاز .

العذيب فأما العذيب فإنه يطلق على ثلاثة مواضع : اثنان منها فى جهة العراق ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص « إذا كان يومُ كذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُذَيب الهجانات وعذيب القوادس ، وشَرِّقْ بالناس وغَرِّبْ بهم - إلخ » وهذا دليل على أن هناك عذيبين . والعذيب الثالث فى بلاد عُذْرَة ، وهو الذى عناه كُثَيِّر فى شعره حين قال :

خليلى إنْ أمُّ الحكيم تحملَتْ   وأخلت بِخَيْمَاتِ العذيب ظلالَهَا

فلا تَسْقِيانِى من تهامة بعدها   بلالاً ، وإنْ صَوْبُ الربيع أسالَهَا

وكنتم تَزِينون البلاد ففارقَتْ   عَشِيَّةَ بِنْتُم زينَهَا وجمالَهَا

وهناك عذيب رابع بئر جاهلية قديمة يقال لها العذيب من آبار أثيفية ، تقع فى جنو بيها عليها نخل ومزارع ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهم أهلُ الوشم .

وظنى أن امرأ القيس لم يَعْنِ فى قصيدته إلا عذيبا قد تغير اسمُه فى عالية نجد ؛ لأن المواضع التى ذكرها كلها فى عالية نجد !

* * *

٦ — وقال امرؤ القيس :

عَلاَ قَطَنًا بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ   وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ

علا : فعل ماض نَصَبَ قطنا .

قطن وقَطَنٌ : جبل معلوم قريب الفوّارة ، وهو جبل أحمر ، وعنده أكمة بيضاء يقال لها « خيمة قطن » لبياضها ، وهو فى بلاد غَطَفان ، يقع شمالىَّ وادى الرُّمَّة وغربىّ أبان الأسود ، وهو لبنى عبس فى الجاهلية [1] ، قال الشاعر :

أين أنتَهى يابن صُمَيْعَاء السَّنَنْ   ليس لعَبْسٍ جبلٌ غير قَطَنْ

وقال شاعر من الأعراب :

سَلِّم على قَطَنٍ إن كنتَ نازلَه   سلاَم مَنْ كان يَهْوَى مرةً قطَنَا

(١) ويسكنه اليوم بنو حرب ، على اختلاف بطونهم ، وحرب : قبيلة معروفة فى الجاهلية ، وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم .

أحبه والذى أرسى قواعدَه حبًّا إذا أعلنت آياته بطَنَا
ياليتنا لا نَرِيمُ الدهرَ ساحتَه وليته حين سرنا غربةً مَعَنَا
ما من غريبٍ وإن أبدى تجلُّدَه إلا تذكَّر عند الغربة الوطَنَا
أنظر وأنت بصيرٌ هَلْ ترى قطنا مِنْ رأس حَوْران ؟ مَنْ آتٍ لنا قَطَنا
ياوَيْحَها نظرةً لَيْسَتْ براجعةٍ خيرًا ، ولكنها من غيره قَمِنا

وقال كثير عزة[1] :

فإنَّكِ عَمْرِى هل أريك ظعائنا بصَحْن الشَّبَا كالدَّوْم من بطن تَرْيَمَا[2]
نظرت إليها وهى تنضو وتكتسى من القفر آلاء فما زال أقتَما
وقد جعلت أشْجَانَ برْكٍ يمينَها وذاتَ الشمالِ من مُرَيْخَةَ أشأما
مُوَلِّيَةً أيسارها قَطَنَ الحمى تَوَاعَدْنَ شِرْبًا من حمامة مُعْظَمَا

وهو باقٍ بهذا الاسم ، وغزوة قَطَن مشهورة ، قتل بها مسعودُ بن عروة ، وأميرُ جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمةُ بن عبدِ الأسديُّ ، وذكره فى المغازى كثير وفى أشعار العرب كذلك .

السِّتار — والستار : جبل فى حمى ضَرِيَّةَ يعرف بهذا الاسم إلى اليوم بين قرية ضَرِيَّة وبين شعبى الجبلِ المشهور فى حمي ضَرِية يقع فى جنوب مسكة الغربى ، ويوم الستار يوم عظيم بين بكر ابن وائل وبنى تميم ، قتل فيه قتادة بن سلمة الحنفى فارس بكر بن وائل ، قَتَله قيس بن عاصم ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

قتلْنَا قتادةَ يوم السِّتَارِ وزيدًا أسرنا لدى مُعْنق

وقال جرير :

إن كان طِبُّكم الدلاَلَ فإنه حَسَنٌ دلالُكِ يا أميمَ جَميلُ[3]

---

(١) هى أبيات فى ديوان كثير ١ / ١٦٥ وفى معجم ياقوت ٧ / ١٢٦

(٢) وقع فى ياقوت « بصحن الشتا » تحريف ، وصحن الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة وذكره ياقوت فى أبيات أخرى لكثير ٥ / ٢٢٥ على الصواب .

(٣) الطب : الدأب والعادة ، وقال فروة بن مسيك :

فما إن طبنا جبن ، ولكن منايانا ودولة آخرينا

أما الفؤاد فليس يَنْسَى حُبَّكم ... مادام يَهْتِفُ فى الأراك هَديلُ
أيقيم أهلك بالسِّتار وأصعدَتْ ... بين الوَرِيعَةِ والمَقادِ حُمُولُ

وهذا هو الذى عناه امرؤ القيس فى قصيدته ، وفى كتاب الأصمعى عن جزيرة العرب « الستار : أُجَيْل سود مُنقادة لبنى بكر بن كلاب » والستار الذى ذكره الأصمعى على اسمه إلى اليوم ، ما زال يقال له الستار لم يتغير ، وهو قريب من الدخول وحومل ، والستار الأول الواقع قريب مسكة هو الذى عناه امرؤ القيس ؛ لأنه — حين ذكره — ذكر قطنا معه ، وهو القريب من قطن ، وذلك أقرب للصواب ، وهو باق على اسمه إلى اليوم ؟

يذبل

يَذْبُل : جبل يعرف فى الزمن القديم بهذا الاسم ، ومَوقعه فى عالية نجد الجنوبية ، قال فى معجم البلدان[1] : « قال أبو زياد : يذبل جبل لباهلة » وهذا صواب ، وقال النابغة الجعدى وهو مخضرم :

مَرِختُ وأطراف الكلاليب تتقى ... فقد عَبَطَ الماء الحميمُ وأسهلا
فإن كنت تَلْجَاهُ لتنقلَ مجدَنا ... لسَبْرة فانقل ذا المناكب يَذْبُلا
وإنى لأرجو إن أردتَ انتقالَه ... بكفيك أن يأبى عليك ويَثْقُلا

أما اسم هذا الجبل فقد تغير ، ولم يعد يذكر بهذا الاسم ، وهو الذي يسمى اليوم « صبحا » وهو واقع بين الحصاة وعرض ابنى شمام ؛ وصبحا : جبل أحمر رفيع ، وتسميته صبحا تسمية حديثة ، حدثت عند توغُّل القبيلة التى يقال لها مطير فى نجد وهم علوى وبريه ، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحيةَ عند الجبل المسمى يذبل ، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر ، فكان فارسهم عند الطعان يقول : خَيَّال صبحا[2] جبلى ، ويُطْلِق هذا الاسم على يذبل ، وتكرر ذلك حتى نُسِىَ اسمه الأول وصار اسمه صبحا ، وقال شاعر من العرب :

إذا كنتَ فى الحصَّاء أو فى بجادَةٍ ... نظرتَ حُدوجَ الحى فى سَفْح يذبل

والحصاء : هى المعروفة اليوم بالحصاة ، والبجادة : جبل صغير منقطع من الحصاة ، وإذا كنت فى الحصاة فما بينك وبين صبحا إلا مَسافة قريبة ، وهى تبعد عن ثَنِية ابن عصام الباهلى حاجبِ النعمان بن المنذر مسافة يوم ونصف يوم ، ولا يوجد فى جميع المعاجم « صبحا » إلا أرض

(١) المعجم ٨ / ٥٠٢ . (٢) يريد أنا فارس صبحا الذى هو جبلى .

مسطحة ليس فيها جبال تقع شرقى وادى سدير ، وقد ذكروا أنها سميت صبحا باسم رجل من العماليق يقال له « صبح » هلك ودفن فيها فسميت صبحا باسمه ، فصبحا اليومَ هو الجبلُ المشهور فى عالية نجد الجنوبية ، والذى كان يسمى يذبل فيما سبق .

***

٧ - وقال امرؤ القيس :

وَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ　　يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنَهْبَلِ

كُتَيفة التى ذكرها امرؤ القيس فى هذا البيت : جبل صغير فى أعلى مُبْهِل ، ومبهل : واد لبنى عبد الله بن غطفان يصب فى وادى الرُّمَّة ، وهى تقع شمالى بقيعى اللهيب على مسافة ساعتين وجنوبى أبان الأحمر ، على مسافة يوم ، وهى التى عناها امرؤ القيس ، وهى واقعة من الستار المذكور على مسافة يوم فى جهته الشمالية الشرقية ، وكُتيفة أيضا : جبل صغير بين نَهْلان ودَمْخ ، فى منازل بنى عمرو بن كلاب ، قال أبو جابر الكلابى : كتيفة

أيا نخلتَىْ وادى كُتَيْفَةَ حَبَّذَا　　ظلالُكما لو كنت يوما أنالُهَا

وماؤُكما العذبُ الذى لو شربتُه　　شفاء لنفسٍ كان طال اعتلالُها[1]

مُعَنًى على طول الهيام غليلُه　　بذكر مياهٍ ماينَالُ زلالُها

***

٨ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الْجِوَاءِ غُدَيَّةً　　صُبِحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ

المَكاكى : نوع من الطير يطرب عند نزول المطر ، فتراه يصعد إلى السماء و ينزل إلى الأرض فى سرعة ، وله تغريد ، وهو المعروف بأم سالم ، واشتقاقه من المُكَاء ، وهو الصفير ، قال تعالى : (وما كان صَلَاتُهُمْ عند البيت إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) .

وقال الشنفرى :

ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كأنَّ فُؤَادَهُ　　يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يعلو ويَسْفُلُ

والجِواء : قطعة من القَصِيم تقع فى شماليه الغربى ، وكله واقع شمالىّ وادى الرُّمة . الجواء

(١) « كان » فى هذا البيت زائدة ، وجملة « طال اعتلالها » صفة لنفس .

والجواء : قرى ومزارع ونخيل وجبال ، وأغلب أسماء أماكنه اليوم هي الأسماء التي كانت لها في الجاهلية : فمن قراه المعمورة : وُثال ، والروض ، والعيون ، والقرعى ، والشقة ، والشيحية ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى اليوم ، فأما وثال فقال في معجم البلدان(١) : هو بضم أوله ، وأطال الكلام عليه ، ثم قال « هو منزلٌ للحاج بين البصرة ومكة » وقال « هو حصن في بلاد بني عبس بالقرب من بلاد بني أسد » وكلا القولين صحيح : أنه ينزله الحاج ، وأنه لعبس ، قال كثير :

أرمِي الفجاجَ إذا الفجاجُ تشابهَتْ أعلامُها بمهامــــه أغفــالِ
بركائب من بين كل نَجيبـةٍ مَرِحِ اليدين وبازلٍ شِمْلالِ
إذْ هُنَّ في غَلَسِ الظلامِ قوارب أعدادَ عينٍ من عيون أُثالِ

وقال مُتَمم بن نُوَيرة اليربوعي أخو مالك بن نويرة الذى قتله خالدُ بن الوليد رضي الله عنه على البطاح ، والبطاح باقٍ إلى الآن بهذا الاسم ، محاذٍ للجواء ، بينهما وادي الرُّمة ، قال متمم :

ولقد قطعت الوصلَ يومَ خِلاجِه وأخو الصَّريمة في الأمور المُزْمِـعُ
بمجدَّةٍ عَنْسٍ كأن سَراتها فَدَنٌ تطيفُ به النبيطُ مُرَفَّعُ
قاظَتْ أثالَ إلى الملا ، وتربَّعَتْ بالحَزْنِ عازبةً تُسَنُّ وتُودَعُ
حتى إذا لَقِحت وعُولِيَ فوقها قَرِدٌ يَهُمُّ به الغرابُ المُوقِـعُ
قَرَّبتُها للرحْـلِ لما اعتَدَني سَفَرٌ أهُمُّ به وأمرٌ مُجَمَّـعُ

هذا المتعلق بأثال وذكره ، فأما الروض المجاور لأثال فهو باقٍ على اسمه إلى اليوم ، وهو اسمه القديم ، قال النابغة الشيباني :

خرجوا إن رأوا مخيلَةَ غيثٍ من قصور إلى رياضِ أُثالِ

قال في معجم البلدان(٢) : « العيون : جمع عين الماء ، وهو في مواضع ؛ ومن أشهرها عند العرب الذي على طريق مكة إذا خرجوا من واسط فينزلون في طريقهم العيون » وعيون الجواء المذكورة هي هذه التي على طريق مكة . والقرعاء التابعة للجواء . قال في معجم البلدان(٣): «هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة » وذكر الخبراء عند ذكره القرعاء ، والخبراء باقية بهذا الاسم بين الجواء والقصيم ، وفي القرعاء ملازم ماء وركايا قديمة ، وكان بها وقعة بين بني دارم بن

---

(١) انظر المعجم ١ / ١٠٧ (٢) المعجم ٦ / ٢٥٩ . (٣) المعجم ٧ / ٥٥ .

مالك و بنى يربوع ، وهاج بعضهم على بعض عند الماء ، والشقة تسمى اليوم بهذا الاسم ، ومنهم من يقول لها « الشقة » ومنهم من يقول لها « الشقق » واسمها فى الجاهلية الشقوق قال فى المعجم[١] « هو منزل فى طريق مكة » وهى كما ذكر على طريق مكة . والشيحية باقية على اسمها إلى اليوم ، واسمها فى الجاهلية الشيحة قال فى المعجم[٢] « بينها و بين النباج أربع مراحل » وهذا صحيح . ثم قال « وقيل : الشيحة ببطن الرمة » وليست هى ببطن الرمة ، وإنما تقع شماليه .

أما جبال الجواء فهن : صارات ، وصارة ، وساق ، والأصابع ، والوشم ، وجميع هذه الأسماء التى كانت لها فى الجاهلية باقية إلى يوم الناس هذا ، وفى صارات يقول الصمة بن الحارث الجشمى[٣] :

ألا أبلغ بَنِيَّ ومَنْ يَليهم ... بأن بيان ما يَبغُون عندى

جَلَبْنَا الخيلَ من تَثْلِيثَ إنا ... أتينا آل صـــاراتٍ فَرَقْدِ

« صارة » قال فى معجم[٤] البلدان « هو جبل فى ديار بنى أسد » وهو كذلك ، قال لبيد ابن ربيعة العامرى :

فأجمادَ ذِى رَقد فأ كْنافَ ثادقٍ ... فصـارةَ توفى فوقَها فالأعابلا

وقال محمد بن عبد الله القفعسى[٥] :

سقَى اللهُ حيًّا بين صـارة والحِمَى ... حمى فَيْدَ صوبَ المُدْجنات المواطِرِ

أمِينَ وردَّ الله مَنْ كان منهمُ ... إليهم ووقَّاهم صروفَ المَقَادِرِ

كأنّى طريفُ العينِ يوم تطالعت ... بنا الرملَ سِلانُ القِلاص الضوامر

أقول لقمقام بن زَيد : أما ترى ... سَنَا البرقِ يَبْدُو للعيون النواظر

فإن تَبْكِ للوجد الذى هَيَّج الجَوى ... أُعِنْكَ ، وإن تصبر فلستُ بصابِرِ

و « ساق » باق بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى هضبة ملمومة شامخة إلى السماء ، وقد أكثر الشعراء من ذكره .

وقال ياقوت :[٦] « وساق الفريد فى قول الحطيئة :

---

(١) المعجم ٥ / ٢٨٣ . (٢) المعجم ٥ / ٣١٨ .

(٣ ، ٤ ، ٥) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

(٦) المعجم ٥ / ١٠ .

نظرت إلى فرت ضحيا وعبرتى لها من وكيف الرأس شَنٌّ وواشل

إلى العير تَحْدَى بين قَوٍ وضارج كما زال فى الصبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عينىَّ حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل

وساق الجواء : موضع آخر ، وساق الفروين : جبل فى أرض بنى أسد ، كأنه قرن ظبى ، ويقال له ساق الفروين ، وأنشد الحفصى :

أقفر من خولَة ساقُ فَرْوَيْنْ فالحضر فالركن من أبَانَيْنْ

وساق ، والحضر ، وأبانين : متقاربات منْ كان بأحدها يَرَى الآخر .

وأهل نجد يسمونه إلى اليوم ساق الجواء وشاهد هذا قول زهير بن أبى سلمى :

نشزنا من الدهناء يقطعن وسْطها شقائق رملٍ بينهن خمائل

فلما بدت ساق الجواء وصارةٌ وفرش وحمّاواتهن القوابل

الأصابع : آكام صِغار متفرقة ، وهى بهذا الاسم إلى اليوم ، فى أعلاها أحجار كالأصابع ، وهى التى عناها حسانُ بن ثابت رضى الله عنه في مطلع قصيدته التى قالها فى فتح مكة حين قال :

عفت ذاتُ الأصابع فالجِواء إلى عَذْراء منزلُها خلاء

ديار من بنى الحَسْحاس قَفْرٌ تُعفِّيها الروامسُ والسماء

ويضاف إلى الأصابع ماءة يقال لها اليوم « بقيعا أصبع » وتسمى فى الجاهلية بَقْعَاء ، قال جرير :

وقد كان فى بقعاء رِىٌّ لشائكم وتلعة والجوفاء يجري غديرها

وماؤها مُرٌّ ، وهى لبنى عبس ، وقد تزوجت امرأة من بنى عبس فى بنى أسد ، ونقَلها زوجُها إلى « لينة » الماء المعروف اليوم ، وماؤها عذب ، وكان زوجُها الأسدىُّ عِنّين ، ففركَتْه ، واجْتَوَتِ الماء ، فاختلعت منه ورجعت إلى بلادها ، وتزوجها رجل من أهل بقعاء ، فقالت :

فَمَنْ يُهْدِ لى من ماء بقعاء شربةً فإن له من ماء لينة أربَعا

لقد زادنى وجْدًا ببقعاء أننى وجَدْتُ مطايانا بلينة ظُلّعا

فمن مُبْلغ ترَبىَّ بالرمل أننى بكيت فلم أترك لعَيْنَىَّ مدمعا

وبقعاء المذكورة مُسَّماة اليومَ « بقيعا » وقد جهّز إليها أبو بكر رضى الله عنه جيوش المسلمين

لقتال أهل الردة ، وهى على طريق البِطاح من المدينة[1] فكانت بعد ذلك وقعةُ البطاح المشهورة .

الموشم : باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، واسمه في الجاهلية « موشوم » قال عبدُ الله بن الصمة :

أسقى الأجارع من نجد نخصُّ به سعدٌ فبطنُ بليّاتٍ فموشومُ

وقال جرير :

وابنَىْ شريكٍ شريكِ اللؤم إذ نزلا بالجزع أسفَلَ من أطواء موشوم

ياقبَّحَ الله عبدًا من بنى لجإ يأوِى إلى نسوة رُضعٍ مدَارِم

انتهينا من ذكر الجِواء مفصلا .

وأما لفظ « الجِواء » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، ولكنهم مختلفون ، وسنذكر ما جاء من الصواب فى ذكره ، قال عنترة :

وتحُلُّ عبلة بالجِوَاء وأهلُها بعُنَيزتين وأهلُنا بالغَيْلَمِ

وقال زهير بن أبى سُلْمى :

عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاء فيُمْنٌ فالقَوادم فالحِسَاء

وكان بالجِواء وقعةٌ بين المسلمين وأهل الردة من غَطَفان وهَوَازن فى أيام أبى بكر ، فقتلهم خالد بن الوليد شر قِتْلَة ، وقال أبو شَجَرَةَ :

ولو سألَتْ جُمْل غداةَ لقائنا كما كنتُ عنها سائلا لو نأيتها

نصبتُ لها صَدْرى وقدَّمت مُهرَتى على القوم حتى عاد وَرْدًا كُمَيتُها[2]

إذا هى حالت عن كَمِىٍّ أريده عدلت إليه صَدْرَها فهدَيتُها

لقيتُ بنى فهرٍ لِغِبِّ لقائنا غداةَ الجِواء ، حاجة فقَضَيتُها

* * *

(١) هى تلقاء نجد ، على أربعة وعشرين ميلا من المدينة ، وانظر تحديدها وما قيل فيها من الشعر فى المعجم ١ / ٢٥١ . وقد ذكر ياقوت أن أبا بكر — رضى الله عنه ! — خرج إليها ، لكن الذى فى كتب التاريخ أنه إنما خرج إلى بقعاء ذى القصة (كامل ابن الأثير ٢ / ١٤٣ بولاق) وهى غير هذه .

(٢) الورد — بفتح الواو وسكون الراء — الفرس الأحمر ، هنا . والكميت — بزنة التصغير — الفرس بين السواد والحمرة . يريد أن ما سال من دماء أقرانه كثير ، حتى إنه غير لون فرسه من السمرة إلى الحمرة ، يصف نفسه بالشجاعة .

٩ — وقال امرؤ القيس :

وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ   فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مُنْزَلِ (١)

القنان — القَنَان : جبل مشهور فى بلاد بنى أسد باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو مما يلى بلاد بنى عبد الله بن غطفان ، وهو واقع بين الجِواء وسميراء ، وكان لبنى فقعس قوم من قُطَّاع الطريق كانوا يلجئون إلى هذا الجبل مخافة أن يفتك بهم السلطان ، قال الشاعر :

ضَمِنَ القَنَانُ لفقعسٍ سوآتِها   إن القَنَان لفقعسٍ لَمُعَمَّرُ

* * *

١٠ — وقال امرؤ القيس :

وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ   وَلاَ أُطُمًا إِلاَّ مَشِيدًا بِجَنْدَلِ (٢)

تيماء السموأل — تيماء هذى : هى تيماء السموأل الواقعة فى القطعة الشمالية من نجد ، وهى بلدة قديمة جاهلية بهذا الاسم ، ولما بلغ أهلَ تيماء فى سنة تسع وطء النبى صلى الله عليه وسلم وادىَ القرى أرسلوا إليه وصالحوه على الجِزْية ، وأقاموا بيلادهم وأرضُهم بأيديهم ، فلما أجْلَى عمر رضى الله عنه اليهودَ عن جزيرة العرب أجلاهم معهم ، قال الأعشى :

ولا عَاديًا لَمْ يمنع الموتَ مالَهُ   ووَرْدٌ بتيماء اليهوديِّ أبْلَقُ

وقال بعض الأعراب :

إلى الله أشْكو ، لا إلى الناس ، أننى   بتَيْماء تيماء اليهودِ غريبُ
وأنى بتَهْبَاب الرياحِ مُوَكَّلٌ   طَرُوبٌ إذا هَبَّتْ علىَّ جنوب
وإن هَبَّ عُلْوِى الرياح وجَدْتَنِى   كأنى لعُلْوِى الرياح نَسِيبُ

* * *

(١) هذه رواية التبريزى ، وذكر أنه يروي « من كل منزل » بزنة مسجد ، ويروى الأصمعى صدره « وألقى ببيسان مع الليل بركه » وعليها شرح الأعلم .

(٢) الأطم — بزنة العنق — الحصن أو البيت المسقف ، وجمعه آطام ، ويروي « ولا أجما » — كعنق أيضا — وهو كالأطم وزنا ومعنى وجمعا .

١١ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ[١]

أبان : يثنى ويفرد ، وهما جبلان عظيمان ، يقال لأحدهما وهو الشمالي : أبان الأسود ، ويقال للآخر : أبان الأحمر ، وهو الجنوبي ، ومجرى وادي الرُّمة بينهما ، يقال لذلك المسلك « الخنق » وهما في الجاهلية لبني عبس وبني فزارة[٢] ، وقرية النَّبْهَانية تحت أبان الأسود ، وكان بعضُ الأعراب يقطع الطريق فَحَبسه والي اليمامة ، فحنَّ إلى وطنه ، فقال : أبان

أقول لبوابَيَّ والسِّجْنُ مُغْلَقٌ وقد لاح برق : ما الذي تَرَيَانِ ؟
فقالا : نرى برقًا يلوح ، وما الذي يَشُوقُكَ من بَرْقٍ يلوح يمانِي ؟
فقلت : افتحا لي البابَ أنظُرُ ساعةً لعلي أرى البرق الذي تَرَيَانِ
فقالا : أُمِرْنَا بالوثاق ، وما لَنَا بمعصية السلطان فيك يدَانِ
فلا تَحْسِبَا سجنَ اليمامة دائمًا كما لم يَدُمْ عيش لنا بأبانِ

وقال بشر بن أبي خازم وقد ذكرهما بالتثنية :

ألا بان الخليطُ ولم يُزَارُوا وقلبُكَ في الظَّعائن مستعار
أسائِلُ صـــاحبي ولقد أراني بصيراً بالظّعائن حيث صارُوا
تؤم بها الحداةُ مياهَ نَخْلٍ وفيها عن أبانَيْنَ ازْوِرَارُ

وأبان : هو حَدُّ القرى المعمورة من مقاطعة القَصيم مما يلي الغرب على وادي الرُّمَّةِ :

* * *

١٢ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ[٣]

(١) يروى « كأن أبانا في أفانين وبله » .

(٢) قال ياقوت « أبان الأبيض ، وأبان الأسود ، فأبان الأبيض شرقي الحاجر فيه نخل وماء يقال له أكرة ، وهو العلم ، لبني فزارة وعبس ، وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة ، وبينه وبين الأبيض ميلان » .

(٣) الذرى : الأعالي ، واحدها ذروة ، ويروى « من السيل والأغثاء » على أن الأغثاء جمع غثاء ، وقال أبو جعفر النحاس : « من رواه من السيل والأغثاء فقد أخطأ ، لأن جمع الغثاء الأغثية =

الجيمر المُجَيمر : على اسمه إلى اليوم لم يتغير ، جبيل أسود صغير فى أعلى مُبْهِل ، ومبهل : يصبُّ فى وادى الرمة ، يقع فى بلاد غطفان ، ويقال له اليوم « الجيمير » قال عباد بن عَوْف المالكى ، ثم الأسدى :

لمن ديار عَفَتْ بالجزع من رمم إلى قُصَائرة فالجفر فالهدَم
إلى المجيمرِ والوَادِى إلى قَطَن كما يُخَطَّ بياضُ الرَّقِّ بالقلمِ

***

١٣ — وقال امرؤ القيس :

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ الْيَمَانِى ذِى الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ

صحراء الغبيط صحراء الغبيط : معلومة فى بلاد بنى يَرْبوع ، والصحراء : المستوية من الأرض ، وقال « صحراء الغبيط » لأنها منخفضة الوسط وطرفها مرتفع كالغَبيط الذى هو من مراكب نساء البادية و بين قَطَن ووادى الرمة أرض يقال لها اليوم « الصحراء » وهي التي عناها شاعرٌ من بنى عبس بقوله :

تبدَّلْتَ بؤسًا من صُحَيْر وأهلِهِ ومن بُرَقِ التينين نَوْطَ الأجاولِ

وأما « صحراء الغبيط » فهى واقعة جنوبى وادى الرُّمة فى بلاد بنى يَرْبوع ، ويومُ الغبيط[١] : من أيام العرب بين تميم وربيعة ، قال جرير :

ولا شهدَتْ يومَ الغبيط مُجاشِع ولا نَقَلانَ الخَيْلِ من قُلَّتَىْ نَسْرِ

وهذا اليوم الذى أسر فيه عُتَيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى بسطامَ بن قيس ففدي نفسه ثم أطلقه وجز ناصيته ، فقال الشاعر :

رَجَعْنَ بهانِئٍ وأَصَبْنَ بِشْرًا وَبِسْطَامٌ تَعَضُّ بِهِ الكُبُولُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

فإن امرأً يرجو الفَلَاحَ وقد رأى سَوَامًا وحَيًّا بالإفاقة جاهلُ
غداة غَدَوا منها وآسر سربهم مَوَاكِبُ يُحْدَى بالغَبيط وحاملُ

= وإنما يكون أفعال جمع المقصور نحو رحى وأرحاء » اهـ ويروى « كأن قليعة المجيمر » ويروى : « كأن طمية المجيمر » .

(١) انظر يوم الغبيط فى ياقوت ٦/٢٦٨ واللسان (غ ب ط) وكامل ابن الأثير ١/٢٥٠ بولاق

وصحراء الغبيط لا تعرف اليوم بهذا الاسم فى نجـد ، ولـكنا إذا تتبعنا أقوال الشعراء فيها وأردنا تحديدها تبين أنها تقع بين الخامر ووادى الرمة ، وتكون من القَصِيم فى جهة الجنوب الغربية

انتهى ماورد فى معلقة امرىء القيس من أسماء البقاع ، وقد وضحنا كل شيء على قدر الإمكان ونبتدىء الآن فى قصائد امرىء القيس الأخرى ، وما ورد فيها من البقاع والجبـال والمياه والتلول ، وسنوضح الذى يظهر لنا توضيحه وتحديده فى جهته .

* * *

١٤ — قال امرؤ القيس :

سَالَتْ بِهِنَّ نَطَاعِ فِى رَأْدِ الضُّحَى وَالأَمْعَزَانِ وَسَالَتِ الْأَوْدَاء

نطاع — نَطَاعِ : ماء معروف إلى اليوم بهذا الاسم فى بلاد عبد القيس ، لم يتغير . وهو واقع فى مياه الطف بين الدَّهْناء وساحل البحر ، جميعُ أهل نجدٍ يعلمون اسمه ومكانه .

الأوداء — والأوداء ـ بالمد ـ ماء لبنى تَيْم الله بن ثَعْلبة بن عُـكابة ، قاله ياقوت[1] ، وأنا لا أعلم موقع هذا الموضع اليوم .

أود — وأود ـ بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة ـ موضـع فى بلاد بنى تميم ، ثم لبنى يربوع منهم ، بنجد فى أرض الحزن . قال بعضهم :

وأعرَضَ عنى قعنبٌ فـكأنما يرى أهل أودَ من ضَدَاء وسَلْهَمَا

وقال ابن مقبل :

للمازنيَّةِ مُصْطاف ومُرْتَبـع مما رأتْ أودُ فالمِقْرَاةُ فالجَرَع[2]

وقال آخر :

كأنها ظبية بِـكر أطَاعَ لها من حَوْمَلٍ تلعاتُ الجوِّ أو أُودَا

ولا أعلم لهذا الاسم أيضا ذكرا فى بلاد العرب اليوم ، ولـكن الذى يظهر لى أن «أودَ» واقع فى شرقى اليمامة ، وأن اسمه قد تغير ، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه فى عالية نجد .

فأما قول امرىء القيس فى بيتـه « وسالت الأوداء » فالذى يظهر لى أن الأوداء : ماء بنى تيم يقع شرقىّ اليمامة ، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم . وأنت ترى ابن مقبل قد ذكر « أود » وقَرَنه بالمِقراة ، وكذلك ترى صاحب البيت الذى بعده قرنه بحَوْمَل ، والمقراة وحومل فى عالية نجد الجنوبية ، ولا شك أن « أود » قريب منهن ، ولـكنى لا أعرفه بهذا الاسم .

---

(١) المعجم ١/٣٦٨ (٢) رأت ، ههنا : أى قابلت .

١٥ — وقال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

خَلِيلَىَّ مُرَّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ ... لِتُقْضِيَ لُبَانَاتُ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

قال :

تَبَصَّرْ خَلِيلِى هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... سَوَالِكَ نَقْبًا بَيْنَ حَزْمَىْ شَعَبْعَبِ

النَّقْب : يطلق على كل ثَنِية سُلِكت أو لم تسلك .

شعبعب — شَعَبْعَب : موضع باليمامة بين وادى نساح ووادى الحائر لبنى قُشَيْر ، ولكن هذا الاسم قد درس ولم يبق اليوم منه شىء ، وقد قال الصمة بن عبد الله القُشَيْرى يذكر شعبعب وهو بالسند ، وهى قصيدة طويلة قال فيها :

طَوَالِع الخَيْلِ من تِبْرَاكَ مصعدة ... كما تتابع قَيْدامُ مِنَ السُّفُنِ

ياليت شعرىَ والأقدار غالبة ... والعين تَذْرِفُ أحياناً من الحَزَنِ

هل أجْعَلَنَّ يدى للخدِّ مِرْفَقَـة ... على شعبعبَ بين الحوض والعَطَنِ (١)

وتبراك الذى ذكره فى هذه الأبيات : يقع من المواضع التى ذكرنا أن شعبعب يقع عندها فى شمالها الغربى ، ، بينها و بينه كثيب جو اليمامة على مسافة يوم ونصف للإبل التى تحمل الأثقال وهناك موضع بين وادى نساح ووادى الحائر يقال له « الحويض » اليوم ، ويمكن أن يكون هو الحوض الذى قرنه الصمة بن عبد الله بشعبعب ، ويكون شعبعب قد تغير اسمه ، ولكنه فى تلك الناحية التى فيها تبراكُ والحويضُ ؛ بدليل أنهما قرنا به .

***

١٦ — وقال امرؤ القيس :

فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تفرُّقٍ ... أَشَتَّ وَأَنْأَى مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ... وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

يعلم القارىء أن العرب فى الجاهليــة وفى صدر الإسلام إذا نفَرت من مِنًى نزلت المُحَصَّبَ ، وطرفُهُ الذى يلى مكة فى طرف جبل الخندمة الشرقى الذى أمام بيت سمو الأمير فيصل ، وتسميه العرب « المُنْحَنَى » لانحناء الطريق عنده إلى منى ، وطرفُه الثانى على حدود منى ، وكانت العرب تجتمع فيه يوم النَّفْر من منًى ، وتبيت هناك حتى تنتهى من مناسك حجها وغيره ،

(١) قد عثرنا على بئر فى تلك الناحية قرب العقبة التى يقال لها « أبو القد » يقال لتلك البئر : « العطينة » ولاشك أنها هى التى يقول فيها الشاعر « بين الحوض والعطن » لأنها مجاورة لتلك المواضع

ثم ينصرفون إلى أوطانهم ، قال كُثَيِّر عزة :

فلما قَضَيْنَا من مِنًى كلَّ حاجة ومسَّح بالأركان مَنْ هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالَتْ بأعناق المَطِيِّ الأباطِحُ
وَجَدْتُ بها وَجْدَ المُضِلِّ رِكابَهُ بمكة والركبانُ غَادٍ وَرَائحُ

فالذاهبة من الإبل لايظفر بها صاحبُها إذا تفرق الناس .

ومن قال : إن المحصب فى منى واستدل لما ذهب إليه بقول عمر بن أبى ربيعة :

نظرتُ إليها فى المُحَصَّب من مِنًى ولى نَظَر لولا التحرجُ عارِمُ

فقد أخطأ الفهم ، ولم يفرق بين اسم المكان المعين ، واسم المكان الذى يراد به المعنى الاشتقاق

المحصب — أما المحصب الذى ذكره امرؤ القيس فهو الواقع بين منى ومكة ، ويسمى المحصب إلى اليوم ، وأما الذى ذكره عمر بن أبى ربيعة فهو لم يقصد مكانا بعينه ، وإنما هو رجل رأى معشوقته ترمى الجمار ، والعربُ تسمى الجمار والحجارةَ الصغارَ : الحَصْبَاء ، فإذا رمى أحدٌ بالحجارة الصغار قالوا : حَصَبَ بالحجارة ، فالمحصَّب فى كلامه اسمُ مكان مشتق من التحصيب أى رمى الحصباء ، وكأنه قال : نظرت إليها فى المكان الذى ترمى فيه الجمار من منى .

بطن نخلة — بطن نخلة فى الطريق السالك إلى نجد ، وهما نخلتان : نخلة اليمانية ، ونخلة الشامية .

أما نخلة اليمانية فتبتديء من الزَّيْمَة وتنتهى على حد بهيتة .

وأما نخلة الشامية فتبتديء من عين المضيق ، وتنتهى فى أرض واسعة يقال لها مكة ، وسيول نخلة اليمانية أعلاها من وادى قرن ، وتجتمع جميع الأودية فى ذلك الوادي وتصب فيه ، وتأتى عن طريق بطن نخلة اليمانية ، وسيولُ نخلة الشامية تأتِى من أودية الضريبة ، وتسلك بطن نخلة الشامية ، وسيولُ الواديين تجتمع فى بستان ابن عامر ، هذا اسمه القديم ، وهو اليوم موقع عين الجديدة ، وإذا اجتمعا سلكا وادى مَر ، المسمى اليوم وادي فاطمة ، حتى يصب فى البحر الأحمر ، قال جرير :

كم دون مية من مستعمل قُذُفٍ ومن بلاد بها تُسْتَوْدَعُ العِيسُ
حَنَّتْ إلى نَخْلَةَ القُصْوَى فقلت لها بَسْلٌ حَرَام ألاَ تلك الدهاريسُ
أمِّى شآميةً إذ لا عِرَاق لنا قومًا نَوَدُّهُمُ إذ قومُنا شُوسُ

وقال كثير عزة فى نخلة الشامية :

حلفت برب المُوضِعِينَ عشيةً وغيطَانُ فَلْجٍ دونَهم والشقائقُ

يحثون صبحَ الحر خُوصًا كأنهـا بنخلةَ من دون الوَحيف المطارقُ
لقد لَقِيتَنا أُمُّ عمرٍو بصادقٍ من الصَّرْم أو ضاقت عليها الخلائقُ

وقال ذو الرمة :

أما والذى حَجَّ المُلَبُّونَ بيتَـه شِلالاً وموليَ كلِّ باقٍ وهالك
وربِّ قلاصِ الخوصِ تَدْمَى أنوفُها بنَخْلَةَ والداعين عندَ المناسِكِ
لقد كنت أهوى الأرضَ مايستفِزُّني لهـا الشوقُ إلا أنها من دِيَارِكِ

وفى بطن نخلة يوم من أيام الفِجَـار بين قيس عَيْلان وقريش ، وفيه انهزمت قريش حتى دخلت الحرم ، وفى ذلك يقول ابن زهير ، هكذا قالوا ، وهو خداش بن زهير شاعر من هوازن :

يا شَدَّةً ما شَدَدْنَا غير كاذبةٍ على سَخِينَةَ لولا الليلُ والحَرَم

قال فى معجم البلدان[1] فى الكلام على نخلة اليمانية : وادٍ يصب فيه يَدْعَانُ ، وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه عسكرت هوازنُ يوم حُنَين . ويدعانُ لم يتغير اسمه إلى اليوم إلا أن جميع أهل الحجاز ونجد أبدلوا ياءه جيما فقالوا « جدعان »[2]

ونخلة اليمانية التى طريقها على قرن المنازل هى مسلك حجاج أهل نجد فى الجنوب ، وأخصُّ من نجد القطعةَ الجنوبية ، والحساء وعُمان واليمن .

فأما نخلة الشامية النافذة إلى ذات عِرْقٍ فيسلكها حاجُّ العراق وحاجُّ القسم الشمالى من نجد ، وسكان أهل نخلتين هم : هُذَيل من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا .

كبكب وكبكب : هو الجبل المطلُّ على عرفة ، من جهته الشرقية ، ونَجْدُهُ : الأرضُ المرتفعة المحيطة به قال ساعدةُ بن جُؤَيَّةَ الهُذَلى ، وهو من سكان تلك الناحية :

كِيدُوا جميعا بآناسٍ كأنهمُ أفنادُ كَبْكَبَ ذات الشثِّ والخزَم

الأفناد : جمع فند ــ بالكسر ــ وهو الشمراخ من شماريخ الجبل ، والشث والخزم : من نبات أرض الحجاز .

والمحصَّبُ ونخلةُ وكبكب كلها باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا

---

(١) المعجم ٨ / ٢٧٥ .

(٢) وليس ذلك بعجيب ، بل إن فى لغة أسلافهم العرب الذين يحتج بكلامهم إبدال الجيم ياء ، فقد قالوا فى شجرة وشجرات : شيرة وشيرات ، وقال الشاعر :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

١٧ — وقال امرؤ القيس :

عُجْفُرَةٍ حَرْفٍ كأَنَّ قُتُودَهَا   عَلَى أَبْلَقِ الكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرِبِ
أَقَبَّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَايَةٍ   يَمُجُّ لُعَاعَ البَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ
عَظِيمٍ طَوِيلٍ مُطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ   بِأَسْفَلِ ذِي مَاوَانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ

قد اختلف أهل المعاجم والأخبار في ذكر الجبال والمياه ، وقد ذكرت طرفا من ذلك فى أول كتابنا هذا ، وقد اختلفوا فى عَمَايَة ؛ منهم من قال : إنها بالبحرين ، ومنهم من قال : إنها فى عالية نجد فى سواد باهلة ، والروايتان كلتاهما مجانبــة للصواب ، فعماية وعلية جبلان عظيمان فى عارض اليمامة .

أما علية فهى باقية بهذا الاسم إلى اليوم ، وذكرها صاحب المعجم بهذا الاسم .

وعماية وحدها جبل ذو هضبات متقاربة كان ذؤبان العرب فى الزمن القديم يأوون إليها ، فإذا دخل أحدهم عماية عمى خَبَرُه ، ومسالكها منيمة ، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى ، فمن هنا سميت عماية ، وقد زال اسمها اليوم فلم يبق منه شيء ، وهى تثنى وتفرد ، قال جرير فى تثنيتها : عماية

لو أن عُصْمَ عَمَايَتَيْنِ ويذبل   سمعَتْ حديثَكَ أنزل الأوعالا

وأفردها جرير فى قوله لما توعده الحجاج ودخلها :

وَخِفْتُكَ حتى استنزلَتْنِي مَخَافَتِي   وقد حَالَ دونى من عماية نِيقُ
يُسِرُّ لك البغضاء كلُّ منافقٍ   كما كل ذى دين عليك شَفِيقُ

وقال القَتَّال الكلابى واسمُهُ عبد الله بن مجيب ، وكان كثير القتل والفتك بالناس ، فهرب ودخل عماية :

جزى اللهُ خيرا والجزاء بكفه   عمايةَ عنــا أمَّ كلِّ طريدِ
فلا يَزْدَهِيها القومُ إن نزلُوا بها   وإن أرسل السلطانُ كلَّ بريد
حمَتْنِيَ منها كلُّ عَيْطاء عَيْطَل   وكلُّ صفًا جَمٍّ القلات كؤودِ

وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وكذلك أهل الأخبار ، وهى جبل فى عارض اليمامة الواقعة عن وادى بريك جنوبا ، يقسمها وادى برك قسمين : ما كان بين بريك و برك يقال له : عماية ، وكذلك الذى بين برك والأفلاج يقال له : عماية ، فسميت عمايتين ، أخذْتُ هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن فى بلد الحوطة الواقعة فى وادى برك .

ماوان وأما ماوان فقد غلط فيه أناس كثير ، قال حسن السندوبى عن ابن السكيت : هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة ، وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة ، وفيه يقول عروة بن الورد العبسى :

وقلت لقومى فى الكنيف تَرَوَّحُوا عشية بتنا دون ماوان رُزَّحِ
تنَالُوا الغنى أو تبلغُوا بنُفُوسِكم إلى مُسْتَراح من حمام مبرح
ومن يك مثلى ذا عيال ومُقْتِرًا من المال يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ
ليبلُغَ عُذْرًا أو ينال رَغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجِحِ

ولقد أخطأ فى بعض ذلك وأصاب فى بعض : أخطأ فى استشهاده بهذه الأبيات على بيت امرىء القيس ؛ لأن ماوان الذى عناه امرؤ القيس غير « ماوان » المذكور في هذه القصيدة ، وأصاب فى ذكر ماوان ، أما « ماوان » الذى ذكره عروة بن الورد فإني أعرفه وأعرف الذى ذكره امرؤ القيس مثلما أعرف منازل بيتى ، والذي أعرف أنه جبل واقع بين بلاد بنى عبس و بلاد بنى أسد ، ويقال له « ماوان » إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود مرتفع عن الأرض ، ليس بالكبير ، عنده ماءة يقال لها : الماوية ، أضيفت إلى هذا الجبل ، تقع شمالىَّ بلغة الماء المعروف على مسافة نصف يوم ، وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية من النقرة على مسافة يوم أو أقل .

وأما « ماوان » الذى ذكره امرؤ القيس فهو وادٍ عظيم فى وسَط علية الجبلِ المشهور فى عارض اليمامة ، وهو من أمنع جبال نجد ، ومما يجرى على لسان العامة إذا كان على أحد جُرْم والتجأ إلى بعض الرؤساء وعزم على حمايته قال له « كأنك فى رأس علية » وهى واقعة بين بريك ونساح ، وفى ماوان قصور ومزارع ، وفى كلام أهل نجد مما يجرى مجرى المثل « لعل ماوان يكفى أهله » وسيولُه مع سيول علية تنصبُّ إلى جهة الخرج ، ووادى بريك يحد العلية جنوبا ، ونساح يحدها شمالا ، ومن قراه المعمورة : الحريق ، والمفيجر ، ونعام .

قال شاعر من بنى عقيل :

فما يَخْفَى علىَّ طريقُ برك وإن صَعَّدْتَ فى وادى نعام

وهو لبنى هَزَّان فى الجاهلية ، وفيه بقايا منهم إلى هذا اليوم ، قال شاعر جاهلى من بنى جُشَم :

أتتك هَزَّانُكَ من نعامها ومن عليّة ومن آكامها

وفى بريك ــ غيرَ الحريق والمفيجر ونعام ــ قسمٌ من قرى الحوطة المعمورة .

وأما « برك » فهو أعظم من بريك ، وهو من أكبر أودية عارض اليمامة ، وغلط فيه كثير

من أهل المعاجم ، قال ياقوت لما ذكر « بَرْكَ الغماد » ، وذكر « برك » بغير إضافة ، وقال : هو ناحية باليمن ، وقال[1] في عبارته « و برك أيضا ماء لبني عقيل بنجد » هذا كلام ياقوت . قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم [2] « برك ونعام : موضعان في أطراف اليمن » وهذا خطأ .

وبرك ينصبُّ من الغرب إلى جهة الشرق في جنوبي وادي بريك ، وفيه قسم عظيم من قرى الحوطة حوطَةِ بني تميم ، وفيه مدينتهم وفيه : الحلوة ، والقويع ، والعطيان ، وقُرًى كثيرة . لا تحضرني أسماؤها ساعة كتابة هذا .

وفي برك و بريك من النخيل والمزارع والآبار شيء لا يحصيه إلا الله ، وقد سئل رجل من أهل الحوطة : كم فيها من بني تميم ؟ وكم سكانها ؟ فقال : فيها أربعة آلاف بئر كل بئر فيها أربعة نفرٍ من الموالي للأعمال ليسوا من بني تميم ، فعدد العُمَّال ستةَ عَشَرَ ألف نفر غير سكانها وغير أهلها التميميين ، وسيولُ الأودية تنصبُّ إلى بلد الخرج .

و برك هذا هو الذي عناه أوس بن حجر في قوله [3] :

تنكَّرَ بعدي من أُمَيْمَةَ صائفُ ... فبِرْكٌ فأعلى تَوْلَبٍ فالمَخَالفُ

فبطْنُ السُّلَيِّ فالسِّخَالُ تعذرت ... فمَعْقَلَة إلى مُطَارٍ فواحفُ

فَقَوٌّ فرَهْبَى فالسليل فعاذب ... مطافيلُ عوذُ الوحشِ فيها عواطفُ

قد ذكر في ثلاثة الأبيات هذه مواضعَ باقيةً على أسمائها إلى يومنا هذا : برك هو الوادي المشهور ، بطن السُّلَي : موضع يقال له السلي بينه و بين الرياض أقل من نصف يوم ، وهو في جهته الشرقية ، ولا يزال باقياً بهذا الاسم ، ومَعْقَلة : ملزم ماء في أدنى الصَّمان يقال له اليوم « معقلي » والسليل : بلد عظيم معمور في أسفل وادي الدواسر . وأما رهْبَى وعاذب ومطار وواحف فلها ذكر في الأشعار القديمة ، وأغلبُها ملازم ماء في جهة الصَّمان .

* * *

١٨ — وقال امرؤ القيس في وصف فَرَسِه :

وَأَسْحَمَ رَيَّانِ العَسِيبِ كأَنَّهُ ... عَثَاكِيلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيحَةَ مُرْطِبِ

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ١٥٠ ، ١٥١ وبرك في هذه العبارة بكسر الباء .

(٢) انظر معجم ماستعجم ١ / ٢٤٤ وفيه ذكر برك ونعام أنهما بأطراف اليمن .

(٣) ثلاثة الأبيات في معجم ما استعجم (١ / ٢٤٤) وذكر أن المواضع التي ذكرت فيها من بلاد بني تميم .

سميحة

سميحة : بئر قديمة فى المدينة عليها نخل ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال كثير[1] :

كأن دموع العين لما تخللت ۞ مخارمَ بيضاً من تمنّى جمالُها

قبلن غُروباً من سُميحة أنزعت ۞ بهنّ السوانى واستدار محالُها

وقد أجابه علقمة بن عَبْدَةَ التميمى على هذه القصيدة ، وهو رجل جاهلى ، وكلمته مذكورة فى ديوان امرىء القيس ، وقد عزمنا إن وجدنا بها شيئاً من المواضع أن نورده فى كتابنا هذا .

* * *

١ — قال علقمة بن عَبْدَةَ :

لَيَالِيَ لا تبلى نصيحةُ بيننـــا ۞ لَيَالِيَ حَلُّوا فى السِّتار فغُرَّبِ

الستار وغرب

أما الستار : فقد مضي الكلام عليه فى معلقة امريء القيس[2] . وأما غرب فهو اسم مشترك يقع على مواضع كثيرة فى بلاد العرب ، والذى عناه الشاعر أقرب ما يكون لبلاد تميم واقع بين حقيل وجمران ، وهى خمس أكمات صغار سود ، ووصفت بالسواد نسبة إلى سواد الغُرَاب ؛ فسميت غرّبَ ، وهى على اسمها إلى اليوم ، وقال مالك بن الرّيْبِ المازنى :

عليّ دماء البُدن إن لم تُفَارق ۞ أبا حَرْدب يوما وأصحاب حَرْدَب

سَرَت فى دُجى ليلٍ فأصبح دونها ۞ مفاوز جمران الشريف فغُرَّبِ

تطالع من وادى الكلاب كأنها ۞ وقد أنجدت منه فريدةُ رَبْرَب

أما وادى الكلاب الذى ذكره مالك فسنبينه إن شاء الله فى موضعه .

وأما جمران الذى ذكرت عنده غرّب في أبيات مالك بن الريب فهو جبل صغير أسود مرتفع يقع بين غُرّب وجبلة ، وجمران باقٍ باسمه الأول إلى يومنا هذا .

وقد أكثر الشعراء من ذكر جمران ، قال ربيعة بن مَقْروم :

أمِنْ آلِ هندٍ عرفْتَ الرسوما ۞ بجمران قفْراً أبت أنْ تَرِيمَا

وكان يوم من أيام العرب فى وادى النشاش الذى يقع غربى جمران على مسافة نصف يوم ، والنشاش : اسم جاهلى وهو باق بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ويوم النشاش كان بين بنى عقيل وبنى حنيفة ، فمرت حنيفة بجمران وهى منهزمة فقال شاعر بنى عقيل :

ولو سُئِلت عنا حنيفة أخبرت ۞ بما لقيت منا بجمران صِيدُهَا

(١) البيتان فى معجم البلدان ٥ / ١٣٤ وديوان كثير ١ / ٢٤١

(٢) انظره فى ص ٢٣ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٦

وحقيل المذكور : هو جبل[1] أشقر منقطع من جبال السر يقال له اليوم « حقيل » أيضاً فهو باق على اسمه الجاهلى ، وفيه يقول الراعى :

جَمَعُوا قُوًى مما تضمُّ رحالهم ... شتّى النِّجار ترى بهن وُصُولاَ
فَسَقَوْا صوادىَ يسمعون عشيّةً ... للماء فى أجوافهن صَليلاَ
حتى إذا برد السجال لهَاتَها ... وجعلن خلف عروضهن ثَمِيلاَ
وأفَضْنَ بعد كظومهنّ بجرّةٍ ... من ذى الأبارق إذ رَعَيْنَ حقيلا[2]

* * *

٢ – قال علقمة بن عَبَدَةَ :

وَمَا أَنْتَ أم ما ذِكْرُهَا رَبَعِيَّةً ... تحل بإِيرٍ أو بأَكْنافِ شُرْبُبِ

إير : هو جبل فى بلاد غَطَفان ، وله ذكر فى أشعار العرب ، وبه وقعة ، قال الشماخ[3] : إير

على أصلاب أحقَبَ أخدرِيٍّ ... من اللائى تَضَمَّنَهُنَّ إيرُ

وإير : يسمى الآن عيرا ، وعير : جبيل فى بلاد غطفان فى أعلاها شمالىَّ وادى الرمة ، وقال زهير بن أبى سُلْمى ، وهو من سكان تلك الناحية وشعرائها :

ألا أبلغ لديك بنى سبيع ... وأيامُ النوائب قد تَدُورُ
فإن تَكُ صِرْمة أخِذَتْ جِهاراً ... لغَرْس النخل أَزَّرَهُ الشَّكِيرُ[4]
فإن لكم مآقِطَ عاسِياتٍ ... كيوم أضَرَّ بالرؤساء إيرُ

وأما شُربُبُ فلم أجد له ذكراً فى هذا العصر ، ولكنَّ بقرب الطائف وادياً يقال له شَرِبٌ ينصب سيلُه إلى عُكَاظ ، وفيه حدثت وقعة الفِجار العظمى ، وفى هذا اليوم قَيَّدَ حربٌ وسفيانُ وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كيلا يفروا ، فَسُمُّوا العَنَابس ، وحضر هذه الوقعةَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل ، قال ابن هَرْمَةَ : شربب

(١) ذكر ياقوت (المعجم ٣ / ٣٠٧) أن حقيلا واد فى ديار بنى عكل بين جبال من الحلة وأنشد عليه أبيات الراعى هذه ، ونحن نتكلم عن عيان ومشاهدة ، وما راء كمن سمعا .

(٢) فى ياقوت عن ثعلب أن ذا الأبارق وحقيلا اسمان لموضع واحد ، وأطال فى تخريج هذا البيت

(٣) البيت فى معجم البلدان ١ / ٣٨٨ وفى ديوان الشماخ ٣٥ « على أصلاب جأب أخدرى » والجأب : حمار الوحش ، والأخدرى : الأسود .

(٤) الأبيات فى المعجم ١ / ٣٨٨ وديوان زهير ٣٣٧ ، ووقع فى ياقوت « أرزه الشكير » وأثبتنا ما فى الديوان .

عهدى بهم وسَرابُ البيض منصدع عنهم وقد نزلوا ذا لُجَّةٍ صَخِبَا
مُشمِّرًا بارز الساقَين منكمِتا كأنه خَافَ من أعدائه طَلَبَا
وقد رَمَوْا بهضاب الحَزْن ذا يَسَرٍ وخَلَّفوا بعد من أيمانهم شَربَا

وثمة موضع آخر يقال له شِرْب بكسر الشين وسكون الراء وفيه يقول ابن مقبل :

قد فَرَّقَ الدهرُ بين الحى بالظَّعَنِ وبين أثناء شِرْبٍ يوم ذى يَقَنَ
تَفْرِيق غير اجتماع ما مَشَى رجل كما تفرق بين الشام واليمن

وشُرْبُبٌ الذى ذكره علقمة : هو — فيما ذكر ياقوت(١) — وادٍ فى ديار بنى سُلَيم ، وفيه يقول أرطاة بن سُهَيَّة :

أَجْلَيْتُ أهلَ البِرك من أوطانهم والخَس من شُعَبى وأهل الشربب

ولست أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الشربب ، إلا أن يكون نائياً عنا لم نحط به علماً .

* * *

٣ — وقال علقمة :

فَفَاءَتْ كَمَا فاءَتْ مِنَ الأُدْمِ مُغْزِلٌ بِبِيشَةَ تَرْعَى فِى أَرَاكٍ وَحُلَّبِ

بيشة : يأتى الكلام عليها إن شاء الله فى معلقة لبيد .

* * *

٤ — وقال علقمة :

كأن بحاذَيْها إذا ما تَشَذَّرَتْ عَثاكِيلَ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ

سميحة : تقدم عليها الكلام فى قصيدة امرىء القيس(٢)

انتهت قصيدة علقمة بن عبدة الفحل .

---

١٩ —قال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أرانا مُوضِعِينَ لأمر غَيْبٍ ونُسْحَر بالطَّعام وبالشَّراب

إلى أن قال :

وقد طَوَّفْتُ فى الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

إلى أن قال :

---

(١) المعجم ٥ /٢٤٨ .
(٢) انظر ص ٤٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ١٨ .

أبَعْدَ الحارثِ الملك ابنِ عمرو   وبَعْدَ الخَيْرِ حُجْرٍ ذى القِباب
وأعلمِ أننى عَمَّـا قليلٍ   سأنشب فى شَبَا ظفُرٍ وناب
كمَا لاَقَى أبِى حُجْرٌ وجَدِّى   وَلاَ أنْسى قَتِيلاً بالكُلاَبِ

قد اختلف أهل التاريخ وأهل المعاجم فى موضع وادى الـكلاَب ؛ قال صاحب معجم البلدان [1] « قال أبو زياد : الكلاب : واد يسلك بين ظهرى ثهلاَن ، وثَهلاَن : جبل فى بلاد بنى نُمَير » اﻫ والمكانُ الذى يقارب اسمه هذا الاسم وادٍ يقال له اليوم « وادى الـكلبة » وهو واقع بين ثهلان ومجيرة ، ينصبُّ سَيْلُه فى وادى الشعراء ، وتحفه سيولها بجبل ثهلان من جهته الشرقية ، ويتفرع سيله من حذُنَّة ، وحذنّة : جبل أسود صغير رفيع يقع فى جهة مطلع الشمس من بلد الشعراء على مسافة ساعة ونصف ساعة بالسير على الأقدام ، ويليه هضباتٌ حمر فى جهته الشرقية يقال لها اليوم مجيرة ، وحذنة يقال لها اليوم : الحذنى ، وكلا الجبلين حذنة ومجيرة باقيان بهذا الاسم من العصر الجاهلى إلى يومنا هذا . قال محرز بن المكعبر الضبى :

دارت رَحَانا قليلاً ثم صَبَّحهم   ضربٌ تَصَيَّحُ منه جلّةُ الهامِ
ظلت ضباع مُجيراتٍ يَلُذْنَ بهم   والحوهُنّ منهم أىَّ إلحامِ
حتى حُذُنَّة لم تترك بها ضَبُعًا   إلا لها جَزَر من شلوِ مِقْدامِ

أما وادى الـكُلاَب فأغلبُ الظن أن اسمه فى العصر القديم قبل أيام الـكلاب شىء غير هذا الاسم ، وأن هذا الاسم لم يطلق عليه إلا بعد تلك المعارك التى وقعت بين العرب وكانت به ، وأنهم إنما سموه بذلك لما لقُوا فيه من التكالب والشر ، والذى نعتقده أن اسمه الذى كان قبل ذلك « وادى قحقح » ووادى قحقح باقٍ إلى اليوم بهذا الاسم .

ومما يؤيد هذا أنهم ذكروا فى أخبار أيام العرب فى اليوم الأخير من أيام الـكلاب أن مسعود بن القُرَيم فارسَ بكر بن وائل قُتِلَ فى وادى الـكلاَب الذى كانت به الوقعة قتله خُشَيْش بن نمران ، وقد قال الشاعر :

وَنحنُ تركنا ابن القُرَيم بقُحْقُحٍ   صريعًا مكبًّا لليدين وللفم

فإذا قَرَنت هذا البيت بما ذكروه فى أخبارهم تبين لك أن وادى الكلاب الذى كانت الوقائع به هو وادى قحقح ، وهذا الاسم باقٍ إلى يومنا هذا ، وعلى هذا يكون كل ما ذكر من الشعر فى وادى الكلاب إنما حقيقته أنه فى وادى قحقح .

---

(١) معجم البلدان ٧/٢٦٩

ويدل لذلك أيضا أنهم قالوا : إنه يبعد عن طرفِ نهلان الجنوبي مسافةَ يوم أو أقل ، وأن سيل وادي الكلاب يصب في وادي السرة ثم يندفع إلى وادي الركى ، ووادى قحقح هو الذى ينطبق عليه هذا التحديد ، قال لبيد بن ربيعة :

لاقى الكلاب البَدِيّ فاعتلجا سيل أتيهما لمن غلبا
فدعـدعا سرة الركاء كما دعدع ساقي الأعاجم الغربا

ووجه ثالث يؤيد ما ذهبنا إليه ، وذلك أنهم ذكروا أن وادى الكلاب تقاتَلَ العربُ فيه وهم يشربون ماء العويند ، والعويند باق إلى اليوم بهـذا الاسم ، وهو ماء كثير الجم يقع بين كثيبين ، وأهل قُحْقُح اليوم قاطنون على ماء العويند وهم يرعون إبلهم في وادى قحقح .

هذا ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان العويند ، وذكر العويند الذى بأرض اليمامة ، وكلا الماءين لم تتغير أسماؤهما إلى يومنا هذا .

يوم الكلاب الأول

أما وادى الكلاب فكانت به وقعتان في الجاهليـة : الوقعة الأولى [1] بين شرحبيل بن الحارث الكندى وأخيه سلمة بن الحارث الكندى ، ومع شرحبيل من قبائل العرب : ضبة ، والرباب كلها ، وبنو يربوع ، وبكر بن وائل ، ومع سلمة من قبائل العرب : تغلب ، والنمر ، وبهراء ، ومن تبعهم من بنى مالك بن حَنْظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير ، وإنما كان افتراق القبيلتين بكر بن وائل وتغلبَ لعداوة قديمة كانت بينهم ، فدارت معركة كبيرة بين الفريقين ، وانتهت بقتل شرحبيل بن الحارث الكندى ، وانهزم أصحابه ، قتله عُصَيم بن النعمان بن مالك الجشمى ، وانتهى إلى عصيم أن سلمة بن الحارث يسأل عنه ليكافئه عن قتل أخيه شرحبيل ، ففطن عصيم إلى أنه إنما يريد قتله ، فهرب ، وعصيم هذا يدعى أبا حنش ، فلما بلغ سلمةَ أنه هرب قال :

ألا أبلغ أبا حَنَشٍ رسولاً فما لَكَ لا تجىء إلى الثواب
لتعلم أن خير الناس طُرًّا قتيلٌ بين أحجار الكُلاب
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر وأسلمه جعاسيسُ الرباب

ويروى أن أبا حنش أجابه بقوله :

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو حباء أبيك يوم صُنَيْبِعَات
وكانت غدرة شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممـات

(١) انظر في يوم الكلاب الأول تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٢٦ وما بعدها .

وقال جابر بن حُنَى التغلبي والعرب تعيّر تغلب بالنصارى :

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماحُ نصارى لا تَخُوض إلى الدم
فيومَ الـكُلَاب قد أزالت رماحُنا شرَحْبِيلَ إذ آلى أليّـةَ مُقْسِم
لينزعنـا أرماحَنَـا فأزاله أبو حَنَش عن ظهر شقاء صلدِم

وفى قتل عصيم بن النعمان لشرحبيل يقول الأخطلُ وهو يخاطب جريرا :

أبنى كُلَيب إنّ عمى اللّذا قَتَلاَ الملوك وفككا الأغلالا [1]

وذكر هذه الوقعة طويل فى أخبار المؤرخين .

أما الحارث بن عمرو أبو شرحبيل فإنه مات ببطن عاقل ودفن هناك ، وعاقل : وادٍ قريبٌ من الرس ولا يزال بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، غير أنه يقال له العاقلى ، وفيه يقول زهير :

لمن طَلَل كالوحى عافٍ منازلُهْ عَفَا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقلُهْ

يوم الـكلاب الثانى

وأما يوم الـكلاب الثانى [2] فكان بين سعد والرباب ، ورآسة بنى سعد لمقاعس ، ورآسة الرباب لتيم ، فرأس الناسَ فى آخر ذلك اليوم قيسُ بن عاصم المنقرى ، وهو اليوم الذى قتل فيه عبد يغوث بن وقاص الحارثى بعد أن أسر ، فقال وهو مأسور قصيدتَه المشهورة التى منها :

أيا راكبًا إما عَرَضْتَ فبلغَنْ ندامای من نَجْرَان ألا تَلاَقيا
أبا كرب والأيهمين كلاهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
وتضحك منى شَيْخَة عَبْشَمِية كأن لم تَرَىْ قبلى أسيراً يمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة : أمَعْشَرَ تيم أطلقوا لى لسانيـا

وماء العويند وما يليه من وادى الـكُلَاب نعده خَبْرَاء [3] من الدم ؛ لما جرى فيه من الوقائع العظام ، وقد قدمنا ذكر وقعتين على الاختصار ، وقد حدث عنده من الوقائع الحديثة ثلاثُ وقائع عظام : أما الأولى : فهى بين هادى بن قرملة رئيس قَحْطان فى زمنه ، وقحطان جُنْدُه ، وبين الحيدى الدويش رئيسِ مطير ، فكانت معركةً عظيمة انهزمت فيها مطير ، وأما الوقعة الثانية

---

(١) اللذا : أراد اللذان ، فحذف النون استخفافا لطول الموصول بالصلة ، ونظيره كثير فى شعر العرب ، ومنه قول الأشهب بن رميلة وقد حذف نون « الذين » :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد .

(٢) انظر خبر يوم الـكلاب الثانى فى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٦٠ .

(٣) الخبراء فى الأصل : الأرض التى تمسك الماء ، والـكلام هنا على الاستعارة .

فكانت بين محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان و بين تركي بن حميد ومعه رؤساء من عتيبة ، وكانت الهزيمة فى ذلك اليوم على قحطان ، وقد دامت المعارك دائرة بينهم خمسة أيام ، وأما الوقعة الثالثة فكانت بين تركى بن حميد ومعه من رؤساء عتيبة الهيظل وابن جامع وجندهم عتيبة ، و بين الدويش رئيس مطير ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير بعد قتال عظيم ، وهناك شجرة أعرفها بينها و بين ماء العويند كثيب الماء الذي يحيط بماء العويند ، و يقال لها شجرة أبى صفرة ، أضيفت إلى أبى صفرة لأنه قتل عندها ، وهو من رؤساء مطير .

وقد أشار ابنُ بشر مؤرخ نجد فى تاريخه إلى هذه الوقائع الأخيرة الواقعة قربَ العويند (١)

(١) قال لى بعض أصحابنا — حين ذكرنا وادى الكلاب ، ووادى قحقح ، وذكرنا أنه هو وادى البدى ، وذكرنا وادى الجلة ، وذكرنا العويند — قال : إن ابن بشر ذكر العويند فى تاريخه ونحن أشرنا إلى ما ذكره ابن بشر ، ولكن صاحبنا لم يتثبت ، فتتبعت تاريخ ابن بشر ، فلم أجد للعويند ذكرا ، ولكنى ذكرت فى كتابى هذا أن قليلا من المواضع الذى حدث فيه يوم من أيام العرب الأقدمين أو المتأخرين ثم لم يحدث فيه يوم آخر ، وقد أشرنا إلى مواضع فى كتابنا هذا تكررت الأيام فيها ، وهذه عبارة من عبارات ابن بشر فى تاريخه ، قال فى سنة ١١٦٦ هـ ، وذكر بعض الحوادث ، ثم قال : وفيها وقعة « السبلة » وهو موضع معروف بين بلد الزلفى وبين الدهنا ، وهذه الواقعة بين الظفير وبين بنى خالد ، وذلك أن بنى خالد ساروا إليهم وقائدهم : عبد الله بن تركى بن محمد ابن حسين آل حميد ، فواقعوهم ، وصارت على الظفير هزيمة ، وأخذوا عليهم نعما كثيرة ، وقيل : إنها بعد دخول السابعة بعد الستين ، وكان فى السنة السابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف وقعة « السبلة » أيضاً وهى مشهورة بين جلالة الملك وبين قوم من عتيبة وغيرهم : خرجوا عن الطاعة ، وخالفوا الجماعة ، واستباحوا الدماء والأموال ، فشمر جلالة الملك لمناجزتهم ، والتقوا فى السبلة الموضع الذى التقى فيه بنو خالد والظفير ، وهى بين الزلفى وبلد الأرطاوية ، فانهزم البغاة ، وقتلوا قتلا ذريعا فى المعركة ، ولكن جلالة الملك — حفظه الله ! — أمر ألا يتبع المدبر ؛ وكف الفرسان عن أثرهم .

وانظر عجيبة أخرى من عجائب التاريخ ، الفئة التى قاتلها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى جهة النهروان كان قتاله إياهم فى اليوم التاسع عشر من شوال سنة ٣٧ من الهجرة ، واليوم الذى ناجز فيه جلالة الملك هؤلاء هو التاسع عشر من شوال سنة ١٣٤٧ هـ ، فهذا تصادف عجيب : تاسع عشر شوال ، وسنة سبع وكذا من الهجرة ، كلا الوقعتين اجتمعت فى هذا اليوم ، واليوم الذى بين بنى خالد وبين الظفير فى هذا الموضع صادف السنة السابعة أيضاً .

التصادف الثانى : قال ابن بشر فى تاريخه : ثم دخلت السنة ١١٨٧ ، وفيها كانت الوقعة المشهورة على حماد المديهم ومن معه من السعيد والظفير ، سار إليهم عبد العزيز رحمه الله تعالى ومعه غزو أهل الرياض مع دواس بن دهام ، فأغار عليهم وهم على جراب ماء معروف بين سدير والدهنا ، فاستأصل =

أما وادى الـكلاب فقد بينا أنه هو الوادى الذى يقال له اليوم قُحْقُح — بضم القافين — واسمه جاهلى ، وبينا أنه أضيف إلى الـكُلاب فى فترة من الزمن لـكثرة القتال والتـكالب فيه بين العرب ، ثم زال عنه هذا الاسم ، ورجع إليه اسمه الأول القديم ، وما زال ماء العويند باقياً باسمه إلى اليوم .

* * *

٢٠ — وقال امرؤ القيس :

سَقَى وَارِدَاتٍ وَالْقَلِيبَ ولَعْلَعًا مُلِثٌّ سِمَاكِيٌّ فَهَضْبَةَ أَيْهَبَا
فَمَرَّ عَلَى الْخَبْتَيْنِ خَبْتَيْ عُنَيْزَةٍ فَذَاتِ النِّقَاعِ فَانْتَحَى وَتَصَوَّبَا
فَلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أَعَالِى طَمِيَّةٍ أَبَسَّتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فَتَحَلَّبَا

واردات واردات : تقع بهذا الاسم فى ثلاثة مواضع : الأول : قريب نفى فى جهته الشمالية الشرقية ، وهى هضبات سود تبعد عن نفى مسافة نصف يوم ، وهى التى كان بهـا اليوم المعروف بين بكر وتغلب قُتل فيه بُجَير بن الحارث بن عُباد بن مرة ، فقال مهلهل :

فَإِنْ يكُ بالذّنائب طال ليلى فقد أبـكِى من الليـل القصيرِ
فإنى قد تركـت بواردات بُجَيْراً فى دمٍ مثل العَبير

= جميع أموالهم ، وقتل منهم نحو الثلاثين رجلا ، وفى سنة ١٣٣٢ الوقعة المشهورة على جراب الماء الذى كانت الوقعة عليه بين عرب نجد ، ودارت فيه معارك عظيمة بين الفئتين ، وتـكرار الوقائع فى البقاع فى نجد لا يحصى .

قال ابن بشر فى تاريخه : ثم دخلت سنة ١٢٤٧ هـ وفى صفر منها سـار فيصل بن تركى بشوكة المسلمين من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ومعهم أخلاط من أعراب سبيع والسهول والعجمان وبنى حسين ، فقصدوا عالية نجد ، فشنوا الغارة على أعراب مجتمعة على طلال الماء المعروف فى عالية نجد من عتيبة وغيرهم ورئيسهم سلطان بن ربيعان ، فانهزم الأعراب ؛ فسار المسلمون فى ساقتهم يقتلون ويغنمون ، إلى آخر عبارة ابن بشر ، وبعد مضى سنين تقرب من ثلاثين سنة ، وقد مات الإمام رحمه الله ؛ اجتمعت الأعراب على هذا الماء المعروف الذى مر ذكره طلال والأعراب القاطنون عليه برأسهم أخو الرئيس الأول مصلط بن ربيعان ، وجاءهم ابن الرئيس الأول سعود بن فيصل ، فشن الغارة عليهم كما شنها عليهم والده ، فـكانت معركة عظيمـة بين الفريقين ، انظر تـكرار المعارك فى هذه البقاع ، بل نحن نقول : إن المواضع التى تـكون فيها معارك فى العصر الجاهلى ثم لا تـكون فيها معارك أخرى فى العصر الحديث أقل من المواضع التى تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث .

وقال ابن مُقْبل :

وَنَحْنُ القائدون بواردات ضباب الموت حَتَّى يَنْجلينا

وواردات الثانية : جبال سمر قريب سميراء معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

وواردات الثالثة : هَضَبات تقع عن وادى رنية شمالا ، مسافة نصف يوم .

وكلها معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ؛ فواردات الأولى : فى بلاد غَنِى بن أعصر ، وواردات الثانية : فى بلاد بنى أسد ، وواردات الثالثة : فى بلاد عقيل بن عامر .

القليب وأما القليب فمعروفة عند العرب ، وقد يضاف إليها فيقال « هضب القليب [1] » وهى تقع عن جبل كشب فى جهته الشمالية الشرقية فى أعلى الشربّة والقليبُ هذه هى التى أُجْرِيَتْ فيها داحسٌ والغبراء ، وكانت الحربُ بين بنى فَزَارة و بنى عبس بعد ذلك ، قال الأعشى :

من ديار بالهَضْبِ هضبِ القليب فاض ماء السرور فَيْضَ الغُرُوبِ [2]

وقال مطير بن الأشيم الأسدى :

أبا نصٍّ من هَضْب القليب أمرتنى هنيدةُ ؟ لا يرضى بذاكَ المجيِّب

وهضب القليب بهذا الاسم قد درس ، والباقى من اسمه يقال له « هضب الشرار » وليس للقليب فيه ذكر .

لعلع ولعلع : وادٍ فيه مزارع ومياه فى عرض ابنى شمام ، باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هـذا ، وفيه قصور ومزارع . قال المسيب بن عَلَس الضُّبَعى :

بان الخليط ورُفِّع الخُرُقُ فؤاده فى الحى مُمْتَلِقُ

منعوا كلامَهُمُ ونائِلَهُمْ يومَ الفراق ، ورَهْنُهم غَلِقُ

قَطَعوا المَزاهِرَ واستتبَّ بهم يوم الرحيلِ لِلَعْلَع طُرُقُ

هضبة أيهب هضبة أيهب : مضافة إلى أيهب ، ذكره الشعراء فى بلاد بنى أسد ، و يقرن فى الأشعار والأخبار بشَرْج ، وشرج : معروف إلى اليوم بهذا الاسم وهو قريب جبل رمان ، قال النابغة [3] :

كأن قُتُودي والنُّسُوعَ جرى بها مصلٌّ يبارى الجَوْن جَابٌ مُعَقْرَبُ

رَعَى الروضَ حتى نشت الغُدْر والتوَتْ بدجلاتها قيمانُ شَرْجٍ وأَيْهَبُ

الخبث أما الخَبْت : فهو المستوى من الأرض المنخفضة ، وعنيزة : هى عنيزة الموجودة اليوم الواقعة

(١) وربما سموا القليب « ذات الإصاد » .

(٢) الغروب : جمع غرب ؛ وهو الدلو . (٣) المعجم ٣٩٧/١ والديوان ٢٠

عنيزة

فى شرق القَصيم الجنوبى ، وهى التى ذكرها امرؤ القيس فى قوله :

تَرَاءتْ لنا يَوْماً بسَفْحِ عُنَيزة ... وقد حان منها رِحْلَة وقُلُوصُ

قال أبو عبيدة [١] السكونى : استخرج عنيزةَ محمدُ بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وهو أمير على البصرة . وقيل : بل بعث الحجاجُ رجلا يحفر المياهَ فى الشجا بين البصرة ومكة . فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، يعنى امرأ القيس ، حين قال :

تراءتْ لنا بين النَّقَا وعُنَيْزة ... وبين الشَّجَا مما أحال على الوادى

وقال جرير :

أمسى خليطُكَ قد أجَدَّ فِراقا ... هاج الحزينَ وهَيَّجَ الأشواقا

إلى أن قال :

إن الفؤاد مع الذين تَحَمَّلُوا ... لم ينظروا بعنيزة الإشراقا [٢]

وقال كليب أخو مهلهل :

غداة كأننا وبنى أبينا ... بجنب عُنَيزة رَحَيَا مُدِيرِ

وقال رجل من الأعراب وأدخل عليها الألف واللام :

لعمرى لَضَبٌّ بالعنيزة صائف ... تَضَحَّى عرادا فهو ينفخ كالقرم

أحب إلينا أن يجــاور أهلها ... من السمك الجِرِّيثِ والسُّلْجم الوخم [٣]

والصحيح : أن الذى اكتشفها هو عبد الله بن عامر بن كريز الذى اكتشف النباج المسماة اليوم الأسياح .

النقاع

النقاع : قال فى معجم البلدان [٤] النقايع : جمع نقيعة ، وهو الموضع الذى يجتمع فيه المـاء ، وهى خبارى فى بلاد بنى تميم . والباقى بهذا الاسم إلى اليوم « النقيعة » وهى : روضة تمسك الماء ، وفيها قصر ومزارع ، وهى واقعة بين ضَرَمَى [٥] وبين طريف الحبل ، وقد كان لها هذا الاسم قديماً ، قال جرير :

خليلى هِيجَــا عبرةً وقفا بنا ... على منزل بين النَّقيعة فالحبل

---

(١) معجم البلدان ٦ / ٢٣٤ . (٢) لم ينظروا : معناه هنا لم ينتظروا .

(٣) فى معجم البلدان « من السمك الحريت والسلجم الوخم » وهو تحريف ما أثبتناه ، والجريث : نوع من السمك . (٤) المعجم ٨ / ٣٠٦ .

(٥) ضرمى يقال لها فى العهد الجاهلى قرما انظر المعجم (ص ٦١ ج ٧) .

والنقيع : هو النقيع المجاور للمدينة ، قال عبد الرحمن بن حسان فى قاع النقيع :

أرقتُ لبرقٍ مستطيرٍ كأنه   مصابيحُ تَخْبُو ساعةً ثم تلمحُ
يضيء سناه لى شَرَوْرَى ، ودونه   بقاعُ النقيعِ أوسَنَا البرق أنزح

وقال أبو صخر الهذلى :

قُضَاعية أدنى ديارٍ تحلّها   قناة ، وأنّى من قناةَ المحصَّبِ ؟
ومن دونها قاعُ النقيع فأسقف   فبطن العقيق فالخبيتُ فعنبَب

ونقيع المدينة ، ونقيعة اليمامة : كلها باقية بهذه الأسماء لم تتغير إلى يومنا هذا .

طمية

وأما طمية فهضبة رفيعة فى بلاد بنى أسد، باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ويليها جبل يقال له « عكاش » وفى أخبار الأقدمين ـ إذا تزوج الرجل امرأة ، ودامت عشرتهما ـ قالوا : تزوج عكاشٌ طميةَ ، وعكاش وطمية : باقيان بهذا الاسم قريب الحاجر والنقرة ، قال الشاعر :

تزوج عكاش طميةَ بعدما   تأيَّم عكاشٌ وكاد يشيب

وقال السمهرى اللص :

أعِنّى على برق أريك وميضَه   يشوق إذا استوضحت برقًا عنانيا
أرِقْتُ له والبرقُ دونَ طَميةٍ   وذى نجب ، ما بعده من مكانيا !

وقال الشاعر :

أتَيْنَ على طميةَ ، والمطايا   إذا اسْتُحْثِثْنَ أتعبن الجرورا

وقال عمرو بن لَجَأ :

تأوبنى ذِكْرٌ لزَوْلَةَ كالخَبْلِ   وما حيث يلقى بالكثيب ولا السهل
تَحُلُّ وركْنٌ من طميةَ حَزْنُهَا   وجرفاه مما قد يَحُلُّ به أهلى
تريدين أن أرضى وأنتِ بخيلةٌ   ومن ذا الذى يُرْضِى الأخلاء بالبخل

وطمية وعكاش : واقعان فى رَبْوة مرتفعة شمالىَّ وادى الرمة .

قال مصنف هذا الكتاب : إنى قد مررت بهما كثيرا فى أسفارى وتجولاتى فى نجد .

* * *

٢١ — وقال امرؤ القيس :

وهى من أحسن قصائده لكنها خالية من المطلوب الذى نحن فيه :

قد أشهَدُ الغارةَ الشّعْواء تحملنى   جَرْدَاء مَعْرُوقَة اللَّحْيَيْن سُرْحُوب

كأن صاحبها إذ قام يُلجمها ... مَعْدٌ على بكرة زوراء منصوبُ (١)
إذا تبصَّرَها الراؤون مقبلةً ... لاحت لهم غُرّةٌ منها وتَجْبيبُ (٢)

إلى أن قال :

كأنها حين فَاضَ الماء واحتفلَتْ ... صَقْعَاء لاح لها فى المرقب الذِّيبُ (٣)
صُبَّتْ عليه وما تَنْصَبّ من أمَمٍ ... إن البَلاَء على الأشْقَيْنَ مصبوبُ
كالدلو بُتّتْ عُرَاها وَهْىَ مثقَلَةٌ ... إذ خانها وَذَمٌ منها وتكريب (٤)

والذى دعانا إلى إيراد هذه الأبيات أن الدلو وعراها ووذَمها والتكريبَ وجميعَ هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرىء القيس إلى يومنا هذا ، والوذَم : حبيلات تُشَدّ بهـا عراقى الدلو ، والكرَب : حبل فى العراقى يجعل فيه الرشاء .

* * *

٢٢ — قال امرؤ القيس :

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكَرَاتِ ... فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةِ الْعِيَرَاتِ
فَغُولٍ فَحِلِّيتٍ فَأَكْنَافِ مَنْعِجٍ ... إِلَى عَاقِلٍ فَالْجُبِّ ذِى الْأَمَرَاتِ (٥)

أما البكَرات وعارِمة والعِيرَات ، فكلها متقاربة ، وهى باقية على أسمائهـا إلى يومنا هذا فى جهة الوشم .

البكرات — والبَكَرَات : بين القصب وثادق من بلدان الوَشم وهى هَضَبات سود ، قال جرير :

هل رام جو سُوَيقتين مكانَه ... أو أبكُرُ البَكَرات أو تِعْشَارُ (٦)

وأعظم البكرات : هضبة يقال لها : الغرابة ، وهى سوداء .

عارمة — وأما عارمة : فهى طرف العرمة الواقع على طارف العلك مما يلى البَكَرات ، وقد أكثر الشعراء

(١) المغد — بالفتح — الدلو العظيمة .

(٢) التجبيب : ارتفاع البياض حتى يصل إلى جنب الفرس .

(٣) الصقعاء : العقاب .

(٤) الوذم — بالتحريك — السيور تكون بين آذان الدلو .

(٥) رواية الديوان « فغول فحليت فأكناف منعج » وفى معجم ياقوت « فغول فحليت فنفى فمنعج » .

(٦) رام مكانه : تحول عنه .

من ذكرها فى الأشعار ، قال الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيرى :

أقول لعيَّاشٍ صحبتنـا وجابرٍ وقد حال دونى هَضْبُ عارمةَ الفَرْدُ
قِفَا فانظُرا نحو الحِمَى اليومَ نظرةً فإن غداة اليوم من عُهْدة العهد
فلما رأينـا قُلَّةَ البِشْرِ أعرضت لنا وجبالَ الحَزْن غَيَّبها البُعْدُ
أصـاب جهول القوم تَتَيُّم ما به فحَنَّ ولم يملـكْهُ ذو القوة الجَلْدُ

برقة العيرات — وأما بُرْقَةُ العِيرَات : فهى واقعة فى الـكثيب الواقع بين بلدان الوشم ، ويقال له اليوم « أبرق العيرة » وهذه المواقع التي سبق ذكرها باقية على أسمائها إلى يومنا هذا ، فإذا قلنا : إن الشـاعر لم يقصدها بقوله ؛ لأنه عطف على البكرات وعارمة وبرقة العيرات نَفْيا وحِلِّيتا وأكناف مَنْعِج ثم قال « إلى عاقل فالجب ذى الأمرات » قلنا : لا ، بل ذلك مما يؤيد أنه أرادها ، وهذا الذى ذكره امرؤ القيس فى أبياته المذكورة تحديد متقارب جميل ، أما البَكَرَات فهى البكرات المشهورة فى حدود الحمى فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تقع من ضريَّة على مسافة يوم مما يلى مطلع الشمس ، وهى هضبات حُمْر فيها بياض ، ويقال لها اليوم « البـكرى » يعرفها بهذا الاسم اليومَ جميعُ أهل نجد .

نفى — وأما نفى فهو وادٍ مشهورٌ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمه فى الجاهلية ، وهو واقع بين جبلة وواردات ، وفيه يقول خالد بن سعيد :

كأنى بالأجزَّة بين نَفْيٍ وبين مِنًى على كتفَىْ عُقَابِ

وأما منًى : فهى هضبة حَمْراء طويلة تقع من نفى على مسافة يوم من الجهة الغربية ، وبها بئر عذبة يأتى الـكلام عليها فى معلقة لبيد ، ونَفْى امتدَّ إليه الحِمَى فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان به عين عظيمة فى ذلك الزمن فدفنتها غنى بن أعصر فى زمن ابن الزبير أيام الاختلاف وهى على دَفْنها إلى يومنا هذا .

حليت — وأما حِلِّيت : فهو جبال سُود تقع من نَفْى على مسافة يوم فى جهته الغربية الجنوبية ، وبه معدن فى جبل أسود يقال له « الغرابى » قال الراعى :

* بحِلِّيتَ أقوت منهمُ وتبدلت *

وحليتُ باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ومن مياهه الأرطاوى يقع فى شرقيه .

منعج — وأما مَنْعِج ، فهى جبال « دخنة » البلدِ المشهورة اليوم بأيدى حَرْب ، ولـكن هذا الاسمَ قد

تغير اليوم ، ويومُ مَنْعِج [١] : من أيام العرب لبنى يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم على بنى كلاب ، وفى منعج يقول جرير وقد ضم إليه عاقلا :

لعمرك لا أنسى ليالىَ مَنْعِجٍ ولا عاقلاً إذ مَنْزِلُ الحى عاقلُ

عاقل

وأما عاقل : فهو وادٍ يصب فى وادى الرمة يُنَاوح «دخنة» التى ذكرنا أنها منعج ، وعاقل باق على اسمه إلى اليوم ، ولكنه يقال له «العاقلى» وقالت حُمْلُ لما ذهبت الفزر بإبلها تشجِّع قومها [٢] :

بنى الفزر ماذا تأمرون بهَجْمَة تلائد لم تخلط بحيث نصابها
تَظَلُّ لأبناء السبيل مُنَاخـةً على الماء يعطى درُّها ورقابُهَا
أقول وقد وَلَّوْا بنَهْب كأنه قداميسُ حَوْضَى رملُها وهضابُها
ألَهْفِى على يوم كيوم سُوَيْقَةٍ شَفَى غُلَّ أكبادٍ فساغ شرابُهَا
فإن لها بالَّليث حَوْلَ ضَرِيَّةٍ كتائبَ لا يخفى عليه مصابُهَا
إذا سمعـوا بالفزر قالوا غنيمة وعوذة ذل لا يُخَاف انتصابُهَا
بنى عامر ، لاسلْمَ للفزر بعـدها ولا أَمْنَ ما حنَّتْ لسفر ركابُهَا
فكيف اختلابُ الفزرشَوْلِى وصبيتى أرامِلُ هَزْلَى ؟ لا يحلُّ احتلابها
وأربابُهَا بين الوَحيد ومَنْعِج عُـكُوفا تراءى سربُهَا وقبابها
ألم تعلمى يا فزر كم من مُصَابة أهِينَ بهـا الأعداء ناب منابها
وكُلُّ دِلَاصٍ ذات نِيرَيْنِ أحكمت على مرة العافين يجرى حبابها
وأنْ رُبَّ جارٍ قد حَمَيْنَا وراءه بأسيافنا والحرب يَشْرَى ذُبَابُهَا

وقال النابغة :

كأنى شددت الكورَ حين شددته على قارح مما تَضَمَّنَ عاقِلُ

وقال مالك بن حطان السليطى :

وليتهمُ لم يركبوا فى ركوبنا وليت سليطا دونها كان عاقلُ

وقال جرير :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأنعم كالوَحْى فى وَرَق الزَّبُور الأعجم

وقال رجل من المعمرين :

(١) انظر أخبار يوم منعج فى تاريخ ابن الأثير ١ / ٢٣٠ وفى مجمع الأمثـال ٢ / ٢٦٨ وفى الأغانى ١٠ / ٩ وما بعدها . (٢) ذكر هذه الأبيات ياقوت فى معجم البلدان ٨ / ١٨٠ .

وأعقل حُجْراً ذا أُوَار بعاقلٍ   وأيامَ بكرٍ إذ تعادَتْ وتغلبِ

وقال زهير:

لمن طَلَل كالوحى عافٍ منازلُهْ   عفا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقِلُهْ

وقال عميرة بن طارق اليربوعى:

وإنى أحب الرمث من أرض عاقل   وصوتَ القَطَا فى الطَّلِّ والمطر الضرب

وإن أكُ فى نجدٍ - سقى اللهُ أهلَه   بمَنَّانة منه ا- فقلبى على قرب

وقال لبيد بن ربيعة:

تمَنّى ابنتاىَ أن يعيش أبوهما   وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ

ونائحتانِ تَنْدُبان بعَاقِلٍ   أخا ثقةٍ لا عين منه ولا أثر

وهذه أشعار متقدمة فى ذكر عاقل الذى يسمي اليوم «العاقلى».

الجب ذو الأمرات

وأما الجبُّ ذو الأمَرَات فهو بئر يقع فى طرف «إمرة» لأن الجب يطلق على البئر، وإمّرة هى التى ذكرها امرؤ القيس باسم ذى الأمرات يقال لها «امرة» بهذا الاسم إلى يومنا هذا. قال فى معجم البلدان [1]: «وإمرة: منزل من منازل الحاج فى طريق مكه من البصرة، وهى بعد رامة» وهذا صحيح أنها بعد رامة للقاصد مكة، قال الشاعر:

ألا هَلْ إلى عيش بإمّرة الحى   وتكليمِ ليلي ما حييتُ سبيلُ

وقال الراعى [2] وقد خَفَّف الميم لضرورة الشعر:

قُبٌّ سماوية ظَلَتْ مُحَلَّأَةً   برِجْلَةِ الدار فالرَّوحاء فالأَمَر

كانت مَذَانبها خُضْراً فقد يبست   وأخلفتها رياضُ الصيف بالغُدُر

وإمَّرة: هضبة يكنفها أبارقُ بالقرب من سواج الجبلِ المشهور فى الجاهلية بهذا الاسم، وفى بطنه مياه كثيرة، وقد غرس به أهل الشبيكية بلد الذويبى الحربى نخيلاً كثيرةً مشرعة فى الماء، وهو واقع من إمرة فى الشمال الغربى على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم.

وقال شاعر أيام الفتوحات فى صدر الإسلام:

أقبلنَ من نير وَمِنْ سُوَاجِ   والقومُ قد مَلُّوا من الإدلاج

---

(١) المعجم ١ / ٣٣٥ وضبط إمرة هذه بكسر الهمزة وفتح الميم مشددة بعدها راء مهملة.

(٢) جعل ياقوت شعر الراعى فى موضع اسمه «أمر» بفتح الهمزة والميم جميعاً وذكر أنه موضع بالشام.

وقال تميم بن أبيّ بن مقبل :

وحلّتْ سُوَاجا حلة فكأنما بحزْم سُواجٍ وَشْمُ كف مقرح

قال فى معجم[1] البلدان ، ومنهم من يقول : سواج طخفة ، وقال على ذكر سواج : النائمان جبلان بين أبان وسواج طخفة ، وهذا تحديد صحيح ، والنائمان باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، يقال لأحدهما « النائم » وللآخر « النويم » وهما بين أبان وسُوَاج ، وقال جرير :

إنّ العدوّ إذا رمَوْكَ رميتهم بذُرَى عَماية أو بهَضْب سُواج

والأشعار فيه كثيرة .

وجميعُ المواضع الذى ذكرها امرؤ القيس فى أبياته المتقدمة — وهى : البَكَرات ، ونَفْى ، وحلِّيت ، ومَنْعِج ، وعاقل ، والأمَرَات — كلها باقية بهذه الأسماء إلى يومنا هذا ، أقصاها مما يلى القَصيم عاقل الذى يقال له اليوم « العاقلى » وأعلاها مما يلى جنوبىّ الحِمَى « البكرات » التى يقال لها اليوم « البكرى » والتى هى هضاب حمر يغشاها بياض ، وهى واقعة فى هضبات سود عنها جنوبىّ كبشات وغيرها ، وهضابُ حلِّيت سودٌ كأنها غربان ، وما كان من البَكَرات شمالا لجباله حمر كغول وطخفة ومنى التى يقال لها اليوم « منية » يطوف الراكب المجدُّ على هذه المواضع فى يومين ، و بقية المواضع المذكورة فى هذه الأبيات واقعة بين البَكَرات وعاقل ، وأما عارمة و برقة العيرات فوضعها كما تقدم ذكره .

* * *

٢٣ — وقال امرؤ القيس ، وهو فى بلاد الروم فى قصيدة هذا مطلعها :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرو وَأَبْلغْ ذَلِكَ الْحَيَّ الْجَدِيدَا
بأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بأَرْضِ قَوْمٍ بَعِيدًا مِنْ دِيَارِكُم بَعِيدَا
وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْض قَوْمِي لَقُلْتُ الْمَوْتُ حَقٌّ ،لاَ خُلُودَا
وَلَوْ صَادَفْتُهُنَّ عَلَى أُسَيْسٍ وَعَاقَةَ إِذْ وَرَدْنَ بِنَا وُرُودَا
عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَزِمَّتُهُنَّ مَا يَعْدُونَ عُودَا

أما أُسَيْسٌ فقد قال فى معجم البلدان :[2] أسيس فى بلاد بنى عامر بن صعصعة ، واستشهد ببيت امرىء القيس هذا ، وأنا لا أعلم فى بلاد بنى عامر موضعاً بهذا الاسم ، ثم قال فى المعجم عن أسيس

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ١٥٨ .

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٢٥٠

ابن السكيت : إنه فى شرقىّ دمشق ، قال هذا فى تفسير قول عدى بن الرقاع :

قد حَبَانى الوليدُ يومَ أسيسٍ بعِشارٍ فيها غِنىً وبَهاءُ

وظنى أن « أسيس » كما ذكر ابن السكيت فى شرقى دمشق ، وأنا لا أعرف مياه تلك الناحية فإذا صح أن أسيس فى شرقى دمشق فالصواب فى إنشاد البيت « حافة » فى موضع « حاقة » لأنه قال فى معجم[1] البلدان : الحفة — بالفتح والتشديد — كورة فى غربى حلب فيها عدة قرى ، وقيل : إن الثياب الحفية تنسب إليها ، فتكون رواية البيت :

ولو صادفتهن على أسيس وحافةَ إذ وردن بنا ورودا

قال أبو عبيدٍ البكرىُّ فى معجم ما استعجم[2] : إن أسيس : قريب دمشق ، واستشهد بقول عدى بن الرقاع العاملى .

ويعلم القارىء أنا نجد بعض أبيات من الشعر تنسب لشعراء الجاهلية — كامرىء القيس وغيره — وليست من شعر الجاهلية ، فإن بينها وبين أشعار الجاهلية فرقا شاسعاً فى المعنى ، والعهدة فى ذلك على من رواها منسوبة إلى هؤلاء الشعراء ، ولذلك أمثلة كثيرة ليس هذا محل الإفاضة فى ذكرها.

* * *

٢٤ — وقال امرء القيس :

لِلّهِ زَبْدَانُ أَمْسَى قَرْقَرًا جَلَدًا وَكَانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمَّ مَنْضُودَا

زبدان — يعنى بذلك الزَّبدانىَّ الكورةَ المعروفة بين دمشق وبعلبك[3] ، ومنها يخرج نهر دمشق وقد سكن الباء وحذف الياء لأجل ضرورة الشعر .

* * *

٢٥ — وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَا مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِى

النقا والشجا — وقد تقدم الكلام على عنيزة[4] والنقا : من الأكثبة المتراكمة على جانبها الغربى ، فأما الشجا : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٢٦ — قال امرؤ القيس فى قصيدته التى قالها وهو فى طريقه إلى قيصر ملك الروم :

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٠٢ (٢) انظر معجم ما استعجم ١ / ١٥٢

(٣) معجم البلدان ٤ / ٣٧٤ (٤) انظر ما ذكرناه عنها فى ص ٤٨ ومابعدها من هذا الجزء .

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا
كِنَانِيَّةٌ بَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ وُدُّهَا مُجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَعْمُرَا
بِعَيْنَيَّ ظُعْنَ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمُرَا

عرعر : هو ماء فى الهَضْب الواقع فى القطعة الجنوبية من نَجْد ، يقال لهذا الهضب اليوم « هضب آل زايد » والماء يقال له « عراعر » معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد ، وهو واقع فى الجهات التى ذكرها امرؤ القيس فى أول[1] معلقته ، وقال شاعر من بنى عميرة ، ذكره صاحب التكملة لما ذكر عراعر وأنها أرض سَبخة : عرعر

وَلاَ تُنبت المرعَى سباخ عراعر ولو غُسِلَتْ بالماء ستةَ أشهر

الأفلاج : أودية معروفة بهذا الاسم إلى اليوم فيها نخيلٌ وقُصور ومزارع ، وهى معمورة ، قال فى معجم[2] البلدان : الأفلاج تقع فى العارض فى جهة مطلع الشمس ، وقد أصاب فى هذا التحديد ، فما كان فى العارض الجنوبى من برك إلى وادى الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج ، وهى بلد الحرو . والهدار ، والستارة ، والخرفة ، وليلى — وهى عاصمة تلك الناحية — والسيح ، والغيل ، والعمار ، وحراضة ، وواسط ، ووسيلا ، ومروان ، والزريقية ، والروضة ، والبديعة ، وسويدان ، جميعُ هذه القُرَى يقال لها الأفلاج ، ولا تزال معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد إلى يومنا هذا . وقد أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان ، وذكرها ذكراً وافياً ، وأكثره أصاب فيه ، وقال رجل من بنى هَزّان : الأفلاج

سلوا فَلَجَ الأفلاج عنا وعنكم وأكْمَة إذ سالت سَرَارتُها دما
عشيةَ لو شئنا سَبَيْنَا نساءكم ولكن صَفَحنا عِزَّةً وتكرما
عشية جاءت من عقيل عِصابةٌ تَقَدَّمَ من أبطالها مَنْ تقدما

وقال القُحَيْف العقيلى :

بدأنا فقلنا أثأب البحرُ واكتست أسافله حتى ارجَحَنَّ وأوَّدَا
أم التين فى قُرْيانه ثمَّ نبتُه خضيد ولولا لينُه ما تَخَضَّدا
أم النخلُ من وادى القُرَى انحرفَتْ له يمانيةٌ هزَّ القَنَا فتأودا
سقى فَلَجَ الأفلاج من كل همة ذِهَابٌ ترويه دماثا وقودا

(١) انظر ما ذكرناه عنها فى ص ١٨ من هذا الجزء .
(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٣٠٦ وانظر أيضا ٦ / ٣٩٢ برسم « فلج » .

به نجد الصّيد الغريب ، ومنظراً أنيقاً ، ورَخْصَاتِ الأنامل خرّدا

وقال الجعدى وتلك الناحية لبنى جَعْدة وقُشَير وعقيل :

نحن بنو جعدة أرباب الفَلَجْ نحن منعنا سَيْلَه حتى اعتلج

ويوم فلج لبنى عامر على بنى حنيفة ، قال القحيف العقيلى ، وقد جمع يوم النشاش ويوم فلج فى كلا البيتين :

تركنا على النشاش بَـكْرَ بن وائل وقد نهلَتْ منها السيوفُ فعلتِ

وبالفلج العادىّ قتلى إذا التقَتْ عليها ضباع الغيل باتت وظلت

والغيل المذكورة فى هذا البيت هى من قُرَى الأفلاج المذكورة بهذا الاسم .

قيمر وقَيْمُر : لم يبق منها اليوم شىء بهذا الاسم إلا موضعاً يقع من الأفلاج فى الجهة الجنوبية الشرقية ، جبل فيه أبارق يقال له الجنبة ، وأرض يقال لها الأجمر فيهما مياه ، وهى قريب من الجنبة بين الأفلاج ووادى الدواسر ، وهى التى عناها امرؤ القيس بقوله : « لَدَى جانبِ الأفلاج من بطن قَيْمُرَا » .

* * *

٢٧ — وقال امرؤ القيس فى ذكر الظعينة :

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمَّا تَـكَمَّشُوا حَدَائِق دَوْمٍ أَوْ سَفِيناً مُقَيَّرَا

أَوِ الْمَـكْرَعاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينَ الْمُشَقَّرَا

الصفا أما الصفا : فهو اليوم قَصَبة المبرز الواقعةُ فى بلد الأحساء ، ولا يزال بهـذا الاسم على تحديد الرواة وأهل المعاجم ، قال لبيد بن ربيعة [١] :

سُحُقٌ بمَنْسعة الصَّفَا وسريةٌ عُمٌّ نواعِمُ بينهن كُرُومُ

وقال لبيد أيضاً :

فَرُحْنَ كأن الناديات عن الصَّفَا مذارعها والـكارعات الحواملا

بذي شطب أحْدَاجُهم إذ تحملوا وحث الحُدَاةُ الناجيات الذَّوَامِلاَ

قال فى معجم البلدان[١] عن ابن الفقيه : الصفا : قصبة هَجَر ، ويوم الصفا من أيامهم .

قال جرير :

تركتم بوادى رَحْرَحَان نساءكم ويومَ الصفا لاقَيْتُمُ الشِّعْبَ أوعرا

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٦٥ .

والصفا الذى ذكره امرؤ القيس فى هذه القصيدة لا أشك في أنه فى نَوَاحى هجر ، لكن لم يهتدِ إليه أحد ، ولا يُعْرف اليوم موقعه بهذا الاسم .

والمُشَقَّر : فى هَجَر ، ولا يعرف اليوم بهذا الاسم ، وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر ابن الجارود رئيسَ عبدِ القيس فى هجر ، وكان قد أجارَهُ فَخَفَر عبيدُ الله بن زياد جوارَه ، وأخذهُ منه فنكل به ، فقال ابن مفرغ يهجو المنذر [1] : المشقر

تَرَكْتُ قريشا أن أجاورَ فيهمُ ... وجاوَرْتُ عبدَ القيس أهلَ المشقَّرِ
أناسا أجارونا فكان جوارهُمْ ... أعاصيرَ من فَسْو العراق المُبَذَّرِ
فهلا بنى الأَفَّاء كنتم بنى أُسْتِهَا ... فَعَلْتُم فعالَ العامرىِّ ابن جعفر
حَمَى جارَهُ بشر بن عمرو بن مرثدٍ ... بألفِ كَمِيٍّ فى الحديد مُكَفَّرِ

وكانت هَجَر فى القديم من الزمان لإياد ، ولما قدمت عبدُ القيس البحرين أخرجوا إيادا منها قهراً ، ونزلوا فاستقروا بها إلى الآن ، وقال عمرو بن أسوى العَبْقَسى :

ألا أبلغَا عمرو بن قَيْسٍ رِسالَةً ... فلا تجْزَعَنْ من نائب الدهر واُصْبِرِ
شحطنا إيادا عن وقاع وقلصت ... وبكرا نَفَيْنَا عن حياض المُشَقَّرِ

ولا يُعلم فى جهات هَجَر اليوم موضعٌ بهذا الاسم ، وأما المُشَقَّر الذي ذكره أبو ذُؤَيب الهُذَلى فى قصيدته العينية :

حتى كأنّى للحَوَادِث مَرْوَةٌ ... بصَفَا المشقَّرِ كل يوم تُقْرَعُ

فهو جبل فى بلاد هُذَيل بهذا الاسم .

* * *

٢٨ — وقال أمرؤ القيس :

كَأَنَّ دُمًى سَقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ ... كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْيًا مُصَوَّرَا

أما سَقْف [2] فهو ماء معروف فى جبل صغير منقطع من جَبَل رمان الواقع فى بلادِ طيء أعرفه ، وقد وردتُه ، يعد من مياه رمان الجبل المشهور ، ورمَّان طرفُه الجنوبِيُّ محاذ لبلاد بنى أسد سقف

(١) انظر هذه الأبيات في معجم البلدان ٨ / ٦٥ .

(٢) يضبطه قوم بفتح السين ويضبطه آخرون بضمها ، وذكر ياقوت (المعجم ٥ / ٩٤) عن نصر أن سقفا جبل فى ديارطيء ، وقال بعد ذلك « وقيل : ماء لطيء بإزاء سميراء عن يسار المصعد إلى مكة من الكوفة » اهـ .

وطرفُه الشمالى واقعٌ في بلاد طيىء ، وسقفٌ : فى طرفِ رمان الشمالى الغربى مما يلى القرية التى يقال لها الغزالة ، ولم أر للغزالة ذكراً فى كتب المعاجم ، إلا رواية عن الأصمعى على ذكر «الغزايل» فى معجم البلدان ، قال : هو ماء بنَجد لعبادة خاصة يقال له « ذو غزايل » .

الساجوم أما الساجوم : فقد غلط فيه كثير من الشراح ، حيث زعموا أنه موضع قريبُ سقف ، ولكنه فى هذا البيت بعينه نوعٌ من ألوان الصبغ ، وقد قال فى القاموس « والساجوم : صِبْغٌ »

* * *

٢٩ — قال امرؤ القيس :

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ … عَلَى خَمَلَي خُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجَرَا

فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ وَالآلُ دُونَهَا … نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا

تَقَطَّعُ أَسْبَابُ اللُّبَانَةِ وَالْهَوَى … عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا

خملى أما نجد : فلا أعلم فيها موضعاً يقال له خَمَلَى ، ووجدت موضعاً فى معجم[1] البلدان يقال له « خميل » واستشهد بقول جرير :

ألا حَيِّ الديار وإن تَعَفَّتْ … وقد ذَكَّرْنَ عهدك بالخميل

وكم لكَ بالمُجَيْمِرِ من محلٍّ … وبالعزاف من طَلَلٍ مُحِيلِ

أوجر أما أوجر فلا أعلمه فى بلاد العرب ، لكن قال فى معجم[2] البلدان : أوجار قرية في البحرين لبنى عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو ، وارتفع بهذا النسب إلى عبد القيس .

حوران وأما حَوْران : فهو كُورة واسعة من أعمال دمشق ، مشهورة بهذا الاسم ، سكنتها العرب بعد الفتوحات ، و بقيت فيها إلى يومنا هذا ، وتقع حَوْران من دمشق في جهتها الجنوبية أمام المصلى بدمشق المتجه إلى بيت الله الحرام ، قاعدتها بُصْرِي ، وفيها قُرًى ومزارع ، وفيها جبل الدروز ، قال جرير :

هَبَّتْ شَمالاً فذكرى ما ذكرتُكُمْ … عند الصفاة التى شرقيَّ حَوْرَانا

هل يرجعنَّ ، وليس الدهرُ مرتجعاً ، … عيشٌ بنا طالَمَا احْلَوْلَى وما لانا

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ولى علقمةَ بن عُلاثة حَوْران ، فقصده الحطيئةُ الشاعر ، فوصل حوران وقد انصرفوا عن قبره ، فقال عند ذلك :

لعمرى لنعم المرء من آل جَعْفَرٍ … بحَوْرَان أمسى أقصدتهُ الحبائلُ

(١) المعجم ٣ / ٤٦٦ (٢) المعجم ١ / ٣٦٨ .

لقد أقصدَتْ مجداً وجُوداً وسُودداً وحلما أصيلاً خالفَتْه المجَاهلُ
وما كان بيني لو لقيتُكَ سالمـــا وبين الغِنَى إلا ليَالٍ قلائل
فإن تَحْيَ لم أملكْ حياتى ، وإن تمت فما فى حياتي بعد مَوْتِكَ طائلُ

وقد افتتحت حوران صلحا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تجد ذلك فى كتب التاريخ على ذكر بصرى .

حماة وشيزر

وأما حَماة وشَيْزَر : فهما معلومتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، أطال الكلام عليها صاحب معجم البلدان ومما قاله عنهما[1] : ولما افتتح أبو عبيدة حمصَ وفرغ منها فى سنة ١٧ خلف بها عُبَادة ابن الصامت ، ومضى نحو حَمَاة ، فتلقّاه أهلها مُذْعِنين ، فصالحهم على الجزية فى رؤسهم ، والخراج على أرضهم ، ومضى إلى شَيْزَر فكان حالُها حالَ حماة ، وقد ذكرها الشعراء فى أشعار كثيرة .

* * *

٣٠ — وقال أمرؤ القيس :

وَلَمْ يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَائِنًا وَخَمْلاً لهَا كَالْقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرَا
كَأَثْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بِيشَةَ وَدُونَ الْغُمَيْمِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا

أما بيشة : فيأتى الكلامُ عليها فى معلقة لبيد إن شاء الله تعالى .

وأما « الغميم ، وغضور » فهما موضعان معروفان بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

الغميم

أما الغُمَيم : فهو معروفٌ فى طَرَف أجا الغربىِّ الجنوبى ، قال شَبيبُ بن البَرْصاء :

ألم تر أن الحيَّ فَرَّقَ بينهم نَوًى بين صحراء الغُمَيم لَجوجُ
فأصبح مسروراً ببينك معجباً وبالٍ له عند الديار نَشِيجُ

وقد أكثر الشعراء من القول فى هذا الموضع الذى لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، قال كثير[2] :

قم تأمل فأنت أبصر منى هل ترى بالغميم من أجمال
قاضياتٍ لبانةً من مناخ وطوافٍ وموقفٍ بالخيال
فسقى الله مُنْتَوَى أمّ عمرو حيث أمتّ به صدورَ الرِّحالِ

---

(١) المعجم ٣ / ٣٣٦ .

(٢) ذكر ياقوت (المعجم ٦ / ٣٠٨) أن أبيات كثير هذه فى « الغميم » بفتح الغين ، وأبيات شبيب بن البرصاء السابقة فى « الغميم » بضم الغين .

وقال جرير، وقد صغره :

يَاصاحبيَّ هل الصبـاح مُنيرُ　　أم هل للوم عَوَاذِلى تغييرُ

أنىّ تـكلَّفُ بالغُمَيِّمِ حاجةً　　زِنهْيا حَمامة دونها وجَفِيرُ

ليتَ الزمانَ لنا يَعُودُ بيُسْرِهِ　　إن اليسير بذا الزمان عسير

غضور　وأما « غضور[1] » : فهو ماء معروف غربى جبل رمّان، يقع قريبَ سَقْف فى جنوبيه الغربى، فى طرف حَرّة سوداء، وقد وردتهُ، وهو ماء كثير كأنه عين جارية طام عليه العَرْمَضُ والطحلب، وهو باقٍ على اسمه إلى اليوم يعرف عند جميع الناس بغضور.

قال عروة بن الورد فى قصيدة له :

عفت بعدنا من أم حسّان غَضْوَرُ　　وفى الرمل منها آية لا تَغير

وقال رجل من بنى أسد :

تبعتُ الهَوَى ياطيبَ حتى كأننى　　مِنَ أجلِكَ مضروسُ الجرير قَؤُودُ

تَمَجْرف دهراً ثم طاوع قلبَهُ　　فصرّفَهُ الرُّوّاضُ حيث تريدُ

وإن ذِيادَ الحبِّ عنك وقد بدَتْ　　لعينيك آياتُ الهوى لَشَديدُ

وما كلُّ مافى النفس للناسِ مُظْهَرٌ　　ولا كل مالا تستطيع تَذُودُ

فيا أيها الرِّيمُ المحلِّى لَبَانه　　بكرمَيْنِ كرمَى فِضَّةٍ وفَرِيد

أجِدَّىَ لا أمشى برمّانَ خاليا　　وغَضْوَرَ إلا قيل أينَ تريدُ

* * *

٣١ — وقال امرؤ القيس فى وَصْفِ راحلته :

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمامِهَا　　إِذَا نَجَلَتْهُ رِجْلُهَا حَذْفُ أَعْسَرَا

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تُطِيرُهُ　　صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعبْقَرَا[2]

عبقر　ذكروا أن « عَبْقَر » موضعٌ فى اليمن كثيرُ الجن، وإليه تُنسب الحُلَل العبقرية، وأما « عباقر » فهو ماء فى نجد لبنى فزارة قال ابن عنمة :

أهلِى بنجدٍ، ورَحْلِى فى بيوتـكُمُ　　على عَبَاقِرَ من غَوْرِيَّة العلَمِ

وأنا لا أعلمه بهذا الاسم اليوم.

---

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٢٩٦.

(٢) هذه رواية ياقوت (المعجم ٦ / ١١٢) وفي الديوان ٧١ « كأن صليل المرو حين تشذه ».

٣٢ — وقال امرؤ القيس :

هُوَ الْمُنْزِلُ الْأُلَّافِ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ   بَنِي أَسَدٍ حَزْنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

جو ناعط — أما جو ناعط فلا أعرف فى نجد موضعاً بهذا الاسم ، وقد ذكر أهل المعاجم أن فى اليمن حصنا فى رأس جبل يقال له « ناعط » ذكروا أنه قديمُ البناء ، وذكروا أنه لبعض الأذْوَاء[1] قربَ عَدن.

* * *

٣٣ — وقال امرؤ القيس :

بَكَي صَاحِبِي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَهُ   وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنَاكَ ، إِنَّمَا   نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

لَقَدْ أَنْكَرَتْنِي بَعْلَبَكُّ وأَهْلُهَا   وَلَابْنُ جُرَيْجٍ كَانَ فِى حِمْصَ أَنْكَرَا[2]

الدرب — أما « الدرب » هذا فهو المَدْخَل إلى بلاد الروم ، ويقال له « درب القُلَّة » بضم القـاف وتشديد اللام ، قال المتنبي :

لَقِيتُ بِدَرْبِ القُلَّةِ الفَجْرِ لَقْيَةً   شَفَتْ كَمَدِي والليلُ فيه قَتِيلُ

وهذا الدرب هو الذى كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشأنه إلى سلمان ابن ربيعة الباهلى « أن لا يَقْطَع الدرب معك إلا فرس عريب » فقال سلمان : تُعْرَض على الخيل ، فعُرِضت عليه ، فقال لعمرو بن معد يكرب : هــذه الفرسُ هَجين — يعنى فرس عمرو ابن معد يكرب — فقال عمرو : إنها عريب أيها الأمير ، قال سلمان بن ربيعة : اردُدْهَا فإنها هَجين قال عمرو بن معد يكرب : صدقتَ ، الهجينُ عَرف الهجين ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فـكتب إلى عمرو بن معد يكرب ألاّ تقدم على المدينة حتى تُرْضى أميرك .

بعلبك وحمص — أما بعلبك وحمص فهما معروفان ، ولا تزالان تذكران بهذين الاسمين ، ولـكل واحـدة منهما ذكر فى الفتوح .

* * *

٣٤ — قال امرؤ القيس :

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً   وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا

(١) الأذواء : ملوك اليمن ، كان يقال لواحد منهم : ذو جدن ، ولآخر : ذو يزن ، وهكذا .

(٢) هذه رواية أبى سعيد السكرى ، وهى أظرف من رواية غيره « ولابن جريج فى قري حمص أنـكرا » .

إِذَا قُلْتُ هٰذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ   وَقَرَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا
كَذَلِكَ جَدِّى مَا أُرَافِقُ وَاحِدًا   مِنَ النَّاسِ إِلاَّ خَانَنِى وَتَغَيَّرَا

الحساء ومدافع قيصر — الحساء : هى المياه التى وردها امرؤ القيس لما دخل بلاد الروم ، أما مدافع قيصر : فهى المسالح الواقعة على حدوده التى يدفع الأعداء بها .

* * *

٣٥ — وقال امرؤ القيس :

أَلا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ   بِتَاذِفَ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرْطَرَا
وَلاَ مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُذَارَانَ ظَلْتُهُ   كَأَنِّى وَأَصْحَابِى عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَا
فَهَلْ أَنا مَاشٍ بَيْنَ شُوطٍ وَحَيَّةٍ   وَهَلْ أَنا لاَقٍ حَيَّ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا[1]

تاذف — « تاذف » قريةٌ من قرى حلب .

طرطر — و « طرطر » قال ياقوت فى معجمه[2] : قرية بوادى بُطْنان ، وهو وادى بزاعة قرب حلب، يسمونها طلطل اليوم .

قذاران — « قذاران » اسم رومى لقرية فى نواحى حلب ، كما رواه[3] ياقوت ، وهذه القرية كانت موجودة إلى عهد ياقوت ، وكانت معروفة بهذا الاسم ، وبحلب قرية يقال لها « أقذار » ملكٌ لبنى أبى جرادة .

* * *

٣٦ — وقال امرؤ القيس :

تَبَصَّرْ خَلِيلِى هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ   يُضِيءُ الدُّجَى بِاللَّيْلِ مِنْ سَرْوِ حِمْيَرَا

سرو حمير — « سَرْوُ حمير » أعالى بلاد اليمن ، وهذا من توَجُّده على بلاده .

* * *

٣٧ — وقال امرؤ القيس :

أَجَادَ قُسَيْساً فَالطُّهَاءَ فَمِسْطَحاً   وَجَوًّا فَرَوَّى نَخْلَ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا

قسيس والطهاء — قُسَيْسٌ والطُّهاء : هذه مواضعُ فى جبال طيىء ، ولا أعلم لهما ذكراً اليوم[4] ، فأما جَوٌّ ومِسْطَح : فإن لهما ذكراً قديماً فى أشعار العرب ، وهى واقعة فى أجأ ، قال حاتم الطائى :

---

(١) شوط وحية موضعان فى أجا وهو الجبل الأول من جبلى طى وشمر هم عنصر القبيلة الموجودة اليوم . (٢) المعجم ٦/٤١ . (٣) المعجم ٧ / ٣٩ . (٤) اتضح لى بعد التحرى الدقيق أن قسيساً والطهاء ومسطحا مواضع فى أجا لا تزال بهذه الأسماء إلى يوم الناس هذا .

لياليَ نمشى بين جوٍ ومِسْطَحٍ   نشاوَى لنا من كل سائمة جَزَرُ

* * *

٣٨ — وقال امرؤ القيس :

ألا إنَّ فِي الشَّعْبَيْنِ شِعْبٍ بِمِسْطَحٍ   وَشِعْبٍ لَنَا فِى بَطْنِ بُلْطَةَ زَيْمَرَا

وقال أيضاً :

تظل لَبُونى بين جَوٍ وَمِسْطَحٍ   تُرَاعى الفِراخ الدَّارجاتِ من الحَجَلْ

وقال أيضاً :

وكنتُ إذا ماخِفْتُ يوماً ظُلامةً   فإنَّ لها شعبا بِبُلْطَةَ زَيْمَرا

وقد ظهر لى من هذه النصوص كلها أن قسيا والطهاء وجواً كل هذه الأسماء المذكورة كائنة فى نواحى أجأ ، وأنا لا أعلم شيئاً بهذا الاسم فى تلك الناحية .

* * *

٣٩ — وقال امرؤ القيس :

ألاَ إنَّمَا الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُرٌ   ولَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرْ[1]

لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ   أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ

أما مُحَجر: فهو معلوم إلى يومنا هذا ولكنه يقال له اليوم « الحجرة » وهو فى بلاد غنى ابن أعصر بين شعْبى الجبلِ المشهور فى الحمى ، و بين الكثيب الذى يقال له « عريق الدسم » تصب فى مُحَجر أودية شُعَبى ، و يحجُرها الكثيب ، وليس للسيول منفذ ، فسمى مُحَجّراً لحجرهِ السيلَ ، وقد سموه اليوم « الحجرة » لهذا المعنى أيضاً ، قال طُفَيل الغَنَوى[2] : محجر

وهُنَّ الألى أدركْنَ تَبْلَ مُحَجَّر   وقد جعلت تلك التبابيل تَنْشَبُ

وقال طفيلٌ أيضاً :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر   من الحر فى أكبادنا والتَّحَوُّب

وقال بشر بن أبى خازم :

مُعَالِيَة لا همَّ إلا مُحَجَّر   وحَرَّة ليلى السهل منها فلُولُها

وقال زيد الخيل :

(١) فى هذا البيت من الزحاف الكف ، وهو ثقيل ، ولو أنه قال « ألا إنما دهرى ليال وأعصره خلا منه ، ولكن الشعر الجاهلى قلما يخلو عن مثل ذلك . (٢) انظر شواهد محجر كلها فى المعجم ٢٩٢/٧

نحن صبحناهم غداةَ محجّر بالخيل مُحْقَبةً على الأبدان
نُزجى المطىّ مُنعلا أخفافُها والجُرْدَ مرسلةً بلا أرسان
حتى وقَعْنَا في سُلَيم وقعةً في شر ما يُخْشَى من الحدَثان
فاسأل غرابَ بنى فزارة عنهمُ واسأل بنا الأخلافَ من غطفان
واسأل غنياً يومَ نعفِ محجَّر واسأل كلاباً عن بنى نبهان
نرمى بهنّ بغمرة مكروهةٍ حتى يغبن بنا إلى الأذقان

أما محجر الذى بيناه فهو الذى عَناه زيد الخيل في كلمته التي روينا ، وهو الذى عناه طُفَيل الغَنَوى فى بيتَيْه .

ذات الطلح وأما « ذات الطلح » : فجميع أودية شَعْبى أغلبُ نباتها الطَّلح ، وهى معروفة بكثرة الطلح إلى يومنا هذا .

غراب وغرابُ الذى ذكره زيد الخيل فى مخاطبته بنى فزارة وغطفان : جبلٌ أسودُ كأنه الغراب ، فيه ماء قد وردته ، وهو أعلى الشعبة ، وهو واقع فى بلاد غَطَفان ، و يقال له « غراب » إلى يومنا هذا ، وهو فى حَرَّة سوداء .

أقر أما « أُقر » فهو وادٍ معروف تحميه الملوكُ ، وقد حماه عمرو بن الحارث الغسَّانى وتربّعته بنو ذُبيان ، فأوقع بهم هناك ، فذلك قولُ النابغة :

لقد نَهيْتُ بنى ذبيان عن أُقُرٍ وعن تربُّعِهم من بعد إصفار
وقلتُ ياقومُ إنَّ الليث منقبض على براثنِه لعدوة الضـــارى

وفى معجم[1] ياقوت عن نصر أن « أقرا » ماء فى ديار غَطَفان قريبٌ من أرض الشربَّة ، وهذا الذى عناه امرؤ القيس قريبَ مُحَجَّر ، قال ابن مقبل :

مِنَّا خناذيذ فرسانٌ وألويَةٌ وكلُّ سائمةٍ من سارح عَـكَر
وثروةٌ من رجال لو رأيتَهمُ لقلتَ إحدى حِراج الجَرِّ من أُقُرِ

وقال الشاعر[2] :

---

(١) المعجم ١ / ٣١٠ .

(٢) أقر فى هذين البيتين والبيتين بعدها بضم الهمزة وسكون القاف ، وهو فيما قبل ذلك بضم الهمزة والقاف جميعاً ، ويظهر من مراجعة ياقوت أنهما يطلقان على شىء واحد ، وإن كان ياقوت قد أفرد كل واحد بترجمة ، وعلى هذا يكون إسكان القاف للتخفيف ، وذلك من سنن العرب فى كلامها

تَوَزَّعنا فقيرَ مياه أُقْرٍ لكلٍّ بنى أب منا فقيرُ
فحصة بعضنا خمسٌ وست وحصة بعضنا منهن بير

وقال المخبل بن شرحبيل البكرى فى بنى زهيرة . وقد منعوا سعد بن مسعود المازنىّ من التعدى فى صدقات بكر وكان يليها :

فدًى لبنى زهيرة يوم أُقْرٍ وقد خذلوا بهـا أهلى ومالى
فهم منعوا مظالم آل بكر وقد وردوا بهـا قبل السؤال

وأنا لا أعلم « أقرا » بهذا الاسم اليومَ فى نجد ، والذى يظهر لى أنه فى بلاد غَطَفان ، وقد تغير اسمه ، لأن محجراً مجاور لبلاد غطفان ما بينهما إلا الكثيب الذى يدعى « عريق الدسم » .

* * *

٤٠ — وقال امرؤ القيس :

أُغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وفَرْتَنَى وَلِيدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِيَ غَيْرُ هِرّ
إذَا ذُقْتَ فَاهَا قُلْتَ طَعْمُ مُدَامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التُّجُرْ
كَنَاعِجَتَيْنِ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ لَدَي جُؤْذُرَيْنِ أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هَكَرْ

تبالة « تَبَالة » واد [1] مجاورٌ لوادى بيشَة ينصبُّ من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، بأعلاه قصور ومزارع ، وأسفله مرعًى للبوادى تقع قريب بيشة على شاطىء بيشة الشمالى ، ويصبُّ سيلُها فى أسفل وادى بيشة . وكان وادى تبالة فى الزمن القديم لبنى مازن ، قال عمرو بن معد يكرب :

(١) وفروع تبالة واقعة فى بلاد دوس ، وفيهـا « ذو الخلصة » الصنم المشهور فى الجاهلية لدوس وخثعم وبجيلة ومن والاهم من العرب ، وقد أطال الكلام عليه أهل التاريخ والسير ، قالوا : إنه لما قتل حجر والد امرىء القيس الشاعر ، قتلته بنو أسد ، واستجار ملكا من ملوك اليمن يقال له مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى وأمده بجيش ، ومر بطريقه على ذى الخلصة فاستقسم عنده بأقداحه وهى ثلاثة : الآمر ، والناهى ، والمتربص ، فخرج له الناهى ، فجمع القداح وكسرها وضرب بها وجهه ثم قال :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا
* لم تنه عن قتل العداة زورا *

فلما أظهر الله تعالى الإسلام بعث رسوله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلى . وأحرقها وقاتلته عند ذلك خثعم ، فقتلهم وهزمهم وتم إحراق الصنم ، وجرير هو الذى يقول فيه الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

أأغزو رِجالَ بنى مازنٍ   ببَطْن تَبَالة أم أرقـدُ ؟

وهي التى يضرب بها المثل فيقال « أهون من تَبَالة على الحجاج » سميت بتَبالة بن جفاب ابن مكنف من بنى عِمْليق ، قال لبيد :

فالضَّيْفُ والجارُ الجَنيبُ كأنما   هَبَطا تَبَالَةَ مُخصِبا أهْضَامُهَا

وقال القَتَّال الـكلابى :

وما مُغْزل تَرْعَى بأرض تَبَالَةٍ   أراكا وسِدْراً ناعما ما ينالُهَا
وترعى بها البَرْدَيْنِ ثم مقيلُها   غياطلُ ملتفًّا عليهـا ظلالُهَا
بأحْسَنَ من ليلى وليلى بشبهها   إذا هُتِكَتْ فى يوم عيدٍ حِجالُهَا

وتَبَالة : باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا على شاطىء بيْشَة الشمالى .

هكر وأما هَـكِر فقد قال فى معجم البلدان[1] عن الأزهرى : هو موضع أراه روميا ، وقال فى رواية أخرى عن ابن الأعرابي : مدينة لمالك بن سُقَار من مَذْحِج ، وهو حصن باليمن من أعمال ذَمار ، وأنا لا أعلم فى نجد موضعاً بهذا الاسم إلا موضعا يقال له هَـكْران[2] : قريب المويهة المعروف

* * *

٤١ — وقال امرؤ القيس والحارث بن التوأم اليشكرى ، وكل يجيز لصاحبه :

أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا   كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا ؟

إلى أن قالا :

فَلَمَّا أنْ علا كَنَفَىْ أُضَاخٍ   وَهَتْ أعْجَازُ رَيِّقِهِ فَحَارَا
فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السِّرِّ ظَبْياً   وَلَمْ يَتْرُكْ بقاعته حِمَارَا

أضاخ أضاخ والسر : باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم[3] وعند أُضَاخ وُجدت نَعْلاَ شرحبيل بن الأسود الذى قتله الحارث بن ظالم فأحمى لهم الأسودُ الصفا الذى عند أضاخ ، وقال : إنى أحذيكم نعلا من هـذا الصفا الذى يتوقد ، فأمشاهم عليها ،

---

(١) المعجم ٨ / ٤٦٩ والذى فى ياقوت أن رواية الأزهرى فى موضع يقال له « هكر » بفتح فكسر ، وأنشد عليه أبيات امرىء القيس ، ورواية ابن الأعرابى فى موضع يقال له «هكرا» بفتح فسكون ، ويقال بفتح فـكسر ، والذى يظهر لنا أن سكون الـكاف عند من يرويه بفتح فـكون أصله للتخفيف على ما هو سنن العرب ، فظنوه موضعاً آخر .

(٢) ذكر ياقوت هكران ، وقال عن عرام « هو جبل بحذاء مران » وهذا صحيح .

(٣) معجم ما استعجم ١ / ١٦٤ .

فتساقطت أقدامهم ، قال شاعر من كندة :

على عَهْد كسرى تَمْلِكُم ملوكُنا صَفَاً من أضاخٍ حامياً يتلهّبُ

وقال فى معجم ما استعجم أيضاً عن ابن قتيبة : قال الأصمعى : وُجِدَ بدِمَشْق حجرٌ مكتوب فيه : هذا من ضِلَع أضاخ ، وقال الجعدى :

تَوَاعَدْنَا أضاخَهُمُ صباحاً وَمَنْعجهم بأحياء غِضابِ

وذكره صاحب معجم البلدان ، وأطال عليه ، قال فى معجم[1] البلدان عن الأصمعى : ومن مياههم الرُّسَيس ، ثم الأراطة ، و بينها و بين أُضَاخ ليلة ، وأُضاخ سوق و بها بناء وجماعة ناسٍ ، وهى معدن البُرَم ، وأضاخ على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، و به تصنع البرم إلى هذا العهد ، وهو واقع بين نفى و بين الشقيقة .

السر أما السر : فهو كثيب مُرتكم بين اليمامة والشرف : طرفُه الجنوبى محاذٍ من اليمامة فروعَ نساح من الجهة الغربية ، وعنده ماء يقال له دلقان ، وطرفُه الشمالى يختلط بأكثبةٍ عظيمةٍ وتندفع شمالا إلى قريب الجوف الذى كان يقال له فى الزمن القديم « دومة الجندل » واسم « السر » يطلق على ما كان من حد القَصِيم الجنوبى ، والمياهُ التى تلى النفود غربا يقال لها « مياه السر » وحدُّها الشمالى المربّع والعمار ، وحدها الجنوبى الأنجل ودلقان ، قال جرير :

أَسْتَقْبَلَ الحيُّ بطْنَ السر أم عَسَفوا فالقلبُ فيهم رهينٌ أينما انصرفوا

وقال ضِرار بن الأزور رضى الله عنه :

ونحنُ منعْنَا كلَّ مَنْبِتِ تَلْعة من الناس إلاَّ مَنْ رعاها مُجَاورا

من السرِّ والسراء والحَزْن والملا وكنَّ مُخَنَّاتٍ لنا ومصائراً[2]

وقد نص ياقوت على أن السر والسراء بنجد فى بلاد بنى أسد . فأما السر المشهور الذى قال فيه امرؤ القيس والحارث « ولم يترك بجاهتها حمارا » فهو السر المعروف بهذا الاسم والذي هو أكثبة متراكمة تقطعهما السيارات المتوجهة من مكةَ إلى الرياض الواقع بين وادى خف و بين مراة . وقد وردت فيه شواهدُ كثيرة من الأشعار والأخبار ، وأما السرة والسرر والسرار : فهى مواضع معروفة ، فالسرة فى نجد ، وسرار فى بلاد بنى أسد ، وسرر : فى تهامة ، وجنبات السر المذكورة الغربية كثيرة المياه ، فيها أعينٌ جارية ، وفيها آبار كثيرة الماء قريبة المنزع ، وقد ذكرنا

---

(١) معجم البلدان ١ / ٢٧٩ .

(٢) المخنات : الساحات (ياقوت ٥ / ٥٧)

أنه واقع بين اليمامة والشرف ، وفيه نخيل كثيرة .

* * *

٤٢ — وقال امرؤ القيس فى قصيدة مطلعها :

دِيمَةٌ هَطْلاَء فِيها وَطَفٌ   طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرّ

إلى أن قال :

ثجّ حَتّى ضاق عَنْ آذِيّهِ   عَرْضُ خَيمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ

خيم أما « خيم » فقد ذكر فى معجم [١] البلدان خِيَماء ، وذكر أنه ماء لبنى أسد ، وذكر أيضاً : خِيَماً بوزن قِيَم وقال : إنه اسم جبل بعَمَايتين ، وأنشد لابن مقبل * حَتّى تنور بالزّوراء مِنْ خِيَمٍ * وهذا غلط : و إنما خِيَم ماء فى شِعْب فى جبال الحصّاء الذى يقال لها اليوم « الحصاة » وهو مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو الذى عناه المرقش الأكبر بقوله :

هل تَعْرِفُ الدار بجَنْبَىْ خيمٍ   غيّرها بَعْدَك صَوبُ الدِّيَمِ

وقال فى معجم [١] البلدان : خَيْم : بوزن غَيْم جبل ، عن الغورى . وقال الحازمى : ذات خَيْم : موضعٌ بين المدينة و بلاد غطفان ، ثم قال صاحب المعجم [١] : وذات الخِيَم من بلاد مهرة بأقصى اليمن .

أما التى عناها امرؤ القيس فى شعره فهى معروفة بما يقرب من هــذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقعة على وادى الرُّمَّة فى جانبه الشمالى ، يقال لها « الخَيْمة » اليومَ لبياضها ، وهى : جُبَيل صغير غربىّ أبانَين فى جهة الشمال .

قال فى معجم [٢] البلدان : وعندها ماء يقال لها الغبارة ، ولا أعلم فى تلك الناحية ماء بهــذا الاسم ، إلا ماء يقال لها المعجاجة ، وقال بعض الأعراب :

خيرُ الليالى إن سألت بليلة   ليل بخَيْمَةَ بين بَيْشَ وعَثّرِ
بضجيع آنســة كأنّ حديثَها   شهدٌ يُشَاب بمَزْجَةٍ من عنبر
وضجيعِ لاهية ألاعب مثلَها   بيضاء واضِحَةٍ كغليظ المئزَرِ

(١) معجم البلدان ٣ / ٥٠١ ولكل واحد من هذه الألفاظ ضبط يخالف ضبط الآخر ، عند ياقوت .

(٢) المعجم ٣ / ٥٠٢ وذكر ذلك فى « الخيمة » قال نقلا عن الأصمعى « وفيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين بينها وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماءة يقال لها الغبارة ، لبنى عبس » .

ولأنتِ مثلُهمَا وخيرٌ منهما بعد الرقاد وقبل أنْ لمْ تُسْحِرِ

خفاف وأما « خُفَاف » فقد قال فى معجم(١) البلدان : بضم أوله وفاءين – وهو من مياه عمرو بن كلاب ، وأنا لا أعلم اليومَ فى نجد ماء بهذا الاسم ، وثمة خف وخفيف ، وهما واقعان فى طريق السيارات المجاورة لنفود السر فى بطن الوادى الذى ينصبُّ من وادى حميان والتسرير والدوادمى ، وتسلك مع القرنة التى تسلكها السيارات اليوم فى صفراء السر ، فتنحدر السيولُ ، وتمر بخفيف ، ثم بخف وتندفع إلى رياض السر ، وتجتمع فى روضة يقال لها مطربة ، وكان وادى خف لبنى نُمَير فى الزمن القديم ، قال الراعى النميرى :

رعت من خفاف حيث نَقَّ عُبابه وحل الروايا كلُّ أسْحَمَ ماطرِ

والمجاور لخف من قُرَى السر المعروفة : بلد البرود ، وشرقة ، وسنادات ، وعسيلة هجرة الحفاة من الروقة ، وساجر هجرة الحناتيش من الروقة ، وأما وادى خف فهو يُعَد من أودية السر ، وخف وخفيف تعد من مياهه .

يسر وأما يُسُر(٢) فلا أعلم فى نجد ماء بهذا الاسم ، إلا أن المتقدمين ذكروا فى كتب المعاجم(٣) نقباً فى الأرض يمسك الماء ابنى يربوع ، وذكروا أنه واقع فى الدهناء أو قريباً منها ، قال طرفة ابن العبد :

أرَّقَ الْعَيْنَ خيالٌ لَمْ يقر طافَ والركْبُ بصحراء يُسُرْ
جازت البيدَ إلى أرحُلِنا آخرَ الليل بيَعْفُورٍ خَدِرْ
ثُمَّ زارتْنِى وصَحْبِى هُجَّعٌ فى خليطين ابُرد ونِمِر
لا تَلُمْنِى إنهـا من نِسْوة رُقُدِ الصَّيْف مَقَاليتَ نُزُرْ

وقال جرير :

لما أتَيْنَ على خطَّابَتَىْ يُسُر أبدى الهوي من ضمير القلب مَكْنُونَا
فشبه القومُ أطلالاً بأسنمة ريش الحمام فزدنَ القلبَ تحزينا

---

(١) المعجم ٣ / ٤٥١ .

(٢) لعله الماء الذى يقال له « الأيسرى » الواقع شرق نفود سبيع . وقد اختلف فى ملكيته بين سبيع وقبيلة المقطة فبعد منازعات طويلة جرت بينهم رأى جلالة الملك عبد العزيز أن يدفن وينقطع النزاع ، فدفن وعمى خبره ، وسبب النزاع طيب فلاته للابل وترغبه البوادي . المصنف .

(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٥٠٨ .

دار يجـــددها هطالُ مُدْجِنة ... بالقَطْر حيناً وتمحوها الصَّباحينا

والتحديد المذكور فى كلامهم يفيد أنه واقع فى القطعة الشرقية من نجد :

* * *

٤٣ — وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

أَرَى نَاقَةَ الْقَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ ... عَلَى الْأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا

رَأَتْ هَلَكاً بِنِجَافِ الْغَبِيطِ ... فَكَادَتْ تَجُذّ لِذَاكَ الْهِجَارَا

نجاف الغبيط — زعم كثير من الشراح أن « نجاف الغبيط » حَبْل يشد به الرحل ، وليس بشىء ، وإنما « نجاف الغبيط » الذى ذكره امرؤ القيس هنا موضع ، كقوله فى المعلقة :

* وألقى بصَحْراء الغبيط بَعَاعَه *

وأما الغَبيط فقد تقدم الـكلامُ [1] عليه و بينا أنه واقع فى بلاد غَطَفان ، وقال فى معجم [2] البلدان : النجفة : رملة فيها نخل فى شرقى الحاجر بالقرب منه ، والحاجر : ماء معلوم بهـذا الاسم إلى يومنا هذا قريب النقرة ، وهو واقع بين بلاد بنى أسد و بلاد غطفان ، ولا شك أن « نجاف الغبيط » موضع غير أنى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٤٤ — قال امرؤ القيس :

عَفَا شَطَبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَغَرُورُ ... فَمَرْبُولَةٌ إِنَّ الدِّيَارَ تَدُورُ

فَجَزْعُ مُحَيَّاةٍ كَأَنْ لَمْ تَقِمْ بِهَا ... سَلَامَةُ حَوْلاً كَامِلاً وَقَذُورُ

شطب — قد غلط كثير من الشراح فى ذكر شَطَب إذ زعموا أنه جبل فى بلاد بنى أسد ، وأنا أقول : لا نعلم أن فى بلاد بنى أسد جبلا يقال له شَطَب ، غير أن الذى عناه امرؤ القيس جبلٌ منقطع من ثَهْلان كأنه منه بلونه وشِعابه وطوله ، و بينه و بين ثَهْلان قطعةٌ من الصحراء يمشى فيها السائر على أقدامه أقلَّ من الساعة ، وما زال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو يعدّ من جبال بنى نمير ، كما أن ثهلان يعد من جبالهم ، وقد قلبوا ثاء « ثهلان » ذالا ، فقالوا : ذهلان ، قال بشر ابن أبى خازم :

سائل نميراً غداةَ النعْف من شَطَبٍ ... إذ فضَّتِ الخيلُ من ثهلان إذ رهِقُوا

---

(١) انظر ص ٣٢ من هذا الجزء فى الـكلام على البيت رقم ١٣ .

(٢) معجم البلدان ٨ / ٢٦٧ .

وقال عبيد بن الأبرص الأسدى :

دعا معاشر فاستَكَّتْ مسامعُهم   يالهف نفسى لو تدعو بنى أسد
لو هم حُماتك بالحمى حُميتَ ، ولم   يترك ليوم أقامَ الناسَ فى كَبَدِ
كما حميناك يوم النعف من شَطَب   والقصد للقوم من ريح ومن عدد

وكأن منشأ خطأ الشراح أنهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطبا وهو أسدى ، فظنوا أن هذا الجبل واقع فى بلاد بنى أسد :

وقال لبيد بن ربيعة العامرى :

بذى شَطَب أحداجُهم إذ تَحَمّلوا   وحَثَّ الحداةُ الناجياتِ الذَّوامِلاَ

وقال عبيدُ بن الأبرص يصف سحابا :

يا من لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقُبهُ   فى عارض كمُضِيءِ الصبح لَمَّاحِ
دانٍ مُسِفّ فويقَ الأرضِ هَيْدَبُه   يكادُ يَدفعه مَنْ قام بالراحِ
كأن رَيِّقَهُ لما عَلاَ شَطَباً   أقرابُ أبلَقَ يَنفِى الخَيلَ رَمَّاحِ
فمن بِحَوْزَتِهِ كمن بِعَقْوَتِهِ   والمستَكِنُّ كمن يمشى بقِرْوَاحِ

قال فى معجم البلدان[1] على ذكر شَطَب ، عن نصر : جبل فى ديار بنى نمير ، وهو جانب ثَهلان الشمالى ، أما هذا التحديد : فقد أصاب فيه كأنه يراه ، وأما الروايات التى ذكرها قبل هذه الرواية والتى ذكرها غيره من أصحاب المعاجم ، فقد أخطأت موضعه ، وهو واقع فى ظفت وادى الرشا الشرقية ، وظفت : وادى الشَّعراء الغربية ، وسيل الواديين يجتمع إذا خَلَّفت شطبا .

وأما غرور الذى ذكره امرؤ القيس : فهى ثنيـة تقع على طرف جبل دَمْخ الشمالى ، فيها جُبَيلات سود صغار تقع هى فى شماليها ، ويُعَدُّ غرور من دمخ ، قال فى معجم البلدان[2] : غرور جبل بدَمْخ فى ديار عمرو بن كلاب ، وقد أصاب فى قوله : بدمخ ، قال السرى بن حاتم :   غرور

تَلَبَّثَ عن بهيـة حَادِيَاهَا   قليلاً ثم قاما يَحْدُوان
كأنهما وقد طلعا غُرورًا   جنـاحا طائرٍ يَتَقَلَّبَانِ

وغرور أيضاً : ثنيـة باليمامة معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال فى معجم البلدان[3] ، وغرور أيضا : ثنية باليمامة وهى ثنية الأحيسى ، ومنها طلع خالدُ بن الوليد رضى الله عنه فى غَزوته إلى مُسَيلمة ، والأحيسى : هو المسمى « وادى الحيسية » اليوم ، وشَطَب معروف بهذا الاسم إلى

---

(١) المعجم ٥ / ٢٦٥ .   (٢ ، ٣) المعجم ٦ / ٢٨١ .

يومنا هذا ، وغرور أيضا الواقع فى اليمامة : معروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا [١] .

محياة أما « مُحياة » فهو جبل منقطع من أبان فى جهته الجنوبية مما يلى مطلع الشمس ، جبيل صغير يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وذلك أنهم يقولون له « محيّوة » قال الراعى

وَنـكَّبن زوراً عن مُحياة بعد ما بَدَا الأَثْلُ أَثْلُ الغينَةِ المتجاوِرُ

قال فى معجم البلدان [٢] على ذكر محياة : وهى ماءة لأهل النبهانية ، وهذا صحيح أقرب ما يكون لمُحَياة التى يقال لها اليوم « محيوة » من القرى المعمورة قرية النبهانية الواقعة فى شرق أبان ، وهى باقية بهذا الاسم إلى اليوم « محيوة » و بلغنى أن عندها واديا كثير المياه بعثه أناس من حَرْب ، ولا يبعد أن تكون عيونا جارية أو تشرع غرستها فى الماء ، كما شرعت فى جبل سواج وفى جبل غول فى هذا العهد الأخير .

فأما الأثل الذى ذكره الراعى فى قوله * بدا الأثل أثل الغينة المتجاور * فإن هناك واديين لايبعدان عن « محيوة » يقال لأحدهما « الذيبية » وللآخر « الدلمية » فيهما أثل وطرفاء كثير ، ويراها الذى غادر « محيوة » متجها شمالا ، ومياههما قريبة كأنها عين ، وقد عمرها أناس من حرب واستوطنوها ، وهى عامرة اليوم .

* * *

٤٥ — وقال امرؤ القيس لما اشتد به مرضه وهو في بلاد الروم :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بِعَسْعَسَا كَأَنِّى أُنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنَا وَجَدْتُ مَقِيلاً عِنْدَهُمْ وَمُعَرَّسَا

فَلاَ تُنْكِرُونِي إِنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ لَيَالِيَ حَلَّ الْحَيُّ غَوْلاً فَأَلْعَسَا

عسعس عَسْعس : جبلٌ مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، واقعٌ من ضَرِية فى الجهة الجنوبية ، ويليه جبلٌ بينه وبين ضَرِية يقال له « وسط » وهذا اسمه فى الجاهلية ، وله دارة يقال لها « دارة

(١) يروى أن سبب تسميتها بذلك أن خالدا رضى الله عنه جعل كمينا لجيشه ، وأمرهم إذا التحم الصفان أن يأتوا عدوهم من هذه الثنية ويقطعوا عليهم خط الرجعة ، فكان سبب انتصارهم بعد أن انكشف المسلمون وتذامرت بنو حنيفة ، فهنا قالوا «غريتنا ياغرور» اهـ ، قال المصنف : إنى أعرف هذه الثنية وأعرف موضع المعركة التى دارت بين بنى حنيفة وخالد بن الوليد رحمه الله ، يبعد بعضها عن بعض مسافة نصف يوم تقريبا ، إلا إن كانت بنو حنيفة زاحفة إلى طريق خالد ، لأن الحرب امتد أياما ، ولكن المعركة الحاسمة فى عقرباء ، وعقرباء معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والمسافة الواقعة بين عقرباء وثنية غرور أكثر من نصف يوم . (٢) المعجم ٤٠١/٧ .

وسط » ووسط هذا : فى بلاد جعفر بن كلاب ، على مسافة أقل من نصف يوم من ضرية فى جهتها الجنوبية الغربية ؛ فإذا كنت عند باب ضَرِية فانظر إلى سُهَيلٍ فإنك تجده فوق عسعس وتجد وسطا فى النصف بين ضرية وعسعس ، قال الشاعر :

دعوتُ الله إذ شقيت عيالى ليرزُقَنى لدى وسَطٍ طعاما
فأعطانى ضريةَ خيرَ أرضٍ تمجُّ الماء والحَبَّ التُّؤاما

ولعسعس دارة يقال لهـا « دارة عسعس » وقد أكثرت الشعراء من ذكره ، قال بشر ابن أبى خازم :

لِمَنْ دِمْنـة عاديَّةٌ لم تؤنَّس بسِقْطِ اللِّوى بين الكثيب فعسعس

لقد صدق فى قوله « بسقط اللوى » فإن هناك قريبَ عسعس « عريق الدسم » وهو سقط اللوى ، وعريق الدسم : كثيبٌ يقف أمام عسعس فى جهة الغرب ، ويمتد إلى جهة الشمال يبارى شُعَبَى تاركَهَا عن يمينه و يقف فى جهة وادى الرمة . وقد ذكرنا أنك إذا كنت واقفاً عند باب ضَرِية ونظرت إلى الجهة الجنوبية منها رأيت عسعسا ووسطا ، ونزيدك هنا أن عسعسا جبل رفيع عن الأرض ليس بالكبير أسود تلابسه شقرة ، أما وسطٌ فهو جبل أسود نازل للأرض ليس بالرفيع ، ذكروا أن رباحا الصانع[1] من سكان ضَرِية ، وأنا أعرفه ، اختصم هو وزوجتُه بنتُ عثمان المزينى[2] ، فلما اشتد اللَّجاج بينهما قالت : طلقنى ، فخرج عند باب ضَرِية وقال : يا أهل ضرية اشهدوا أن زوجتي بنت عثمان المزينى طالق عدد مافى مزارع ضرية من الخباز[3] ثم التفت وراء جبل عسعس وجبل وسط ، وقال : اشهَدَا على ياجبلَ عسعس ويا وَسَط أنى طلقت ، وأهلُ ضرية أهلُ كذبٍ ، أخشى أن يجحدوا الشهادة .

وأما غَوْل : فقد مررنا على ذكره ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، ذكره لبيد بن ربيعة فى معلقته غول

(١) يطلق لفظ الصانع عند عامة أهل نجد على الذى يصنع الحديد والنحاس ، فأما صناعته فى النحاس فإنه يصنع منه القدور والجفان والأوانى الصغار ، ويصنع من الحديد حذاء الخيل والمسامير والمساحى والمحاش التى يعضد بها الشجر وغيره .

(٢) المزينى : رجل نجار ، والنجار عند أهل نجد : الذى يشتغل فى الأخشاب كالأبواب على جميع أنواعها والمحال والدراج التى يستعملها الفلاحون ، وجميع ما يوضع على ظهور الإبل من الأحداج كالأشدة والمسام والهوادج ، ولا يقوم بهاتين الصناعتين عند أهل نجد إلا الموالى .

(٣) الخباز : هو نبات معروف عند جميع أهل نجد ينبت أيام الربيع ، ويكثر فى مزارع القرى ، وهو نوع من العشب أخضر ، ورقه قدر الدرهم ، ليس بالرفيع عن الأرض .

وهو معروف في الجاهلية بهذا الاسم ، ولا يزال معروفا به إلى يومنا هذا ، وكانت به وقعة لضبة على بني كلاب ، قال أوس بن غَلْفاء :

وقَدْ قالت أُمامـةُ يوم غَوْلٍ تَقَطَّع يابنَ غلفاء الحبـالُ

وقال أعرابي :

ألا ليت شعرى هل تَغيَّر بعـدنا معـارف ما بين اللِّوى فأبان
وهل برح الريَّانُ بعدى مـكانَه وغول؟ ومَن يَبْقَى على الحدَثَانِ ؟!

والريان باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو وادٍ بين غول وطَخْفة ، وغَوْل هذا : هو الذى قُتل فيه جَثَّامة بن عمرو بن مُحَلِّم الشَّيبانى ، قتله أبوشمئة طريفُ بن تميم التميمى فى الجاهلية ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

أجَثَّامَ ما أَلْفَيْتَنِي إذ لَقِيتَنِي هَجِينًا ولا غُمْرا من القوم أعْزَلاَ
تذكرت ما بين النَّجاء فلم تجد لنفسك عن وِرْدِ المنية مَزْحَلاَ

وغولٌ وشعب القد ، وطخفة ، والبـكرات ، ومنى التى يقال لها اليوم « منية » هضباتُها حمر كأنها مطلية بذهب ، بخلاف الهضبات التى تقع منها جنوباً وشرقاً فإنهـا سود كأنها غربان كحليت وكبشان وهضابه التى تليه .

ألعس — وأما ألعس : فقد قال صاحبُ معجم [1] البلدان : هو اسمُ جبلٍ فى بلاد بنى عامر بن صَعْصعة والجبالُ التى ذكرت معه فى أبيات الشعر واقعة فى بلاد بنى عامر بن صَعْصعة ، غير أنى لا أعرفه اليوم بهذا الاسم .

* * *

٤٦ — وقال امرؤ القيس :

كأنِّى ورَحْلِي فَوْقَ أحْقَبَ قَارِحٍ بِشُرْبَةَ أوْطَاوٍ بِعِرْنَانَ مُوجِسِ
تَمَشَّى قَلِيلاً ثُمَّ أنْحَى ظُلُوفَهُ يُثِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكْنِسِ

شربة — أما شربة وعرنان فهما باقيان بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا ، إلا أن شربة استعاضت من الباء ميما فسميت « شرمة » وهى مجاورة لعرنين ، ليست بعيدة عنه ، تقع من الخال المجاور للدفينة على مسافة نصف يوم مما يلى مطلع الشمس ، قال رجل من غامد :

وطَيَّبَ نفسي أُسرة غامـدية أطابوا شفاء يوم شربة مقنعا

(١) المعجم ١ / ٣٢٤

شفونی وأرضَوْنی وأمسيتُ نائما ... وكنت قليلاً فى الأيائم مضجعا

وعرنان هذا جبيل صغير يقع بين الأكوم وجبل هكران الواقع عن بلد المويه المحطة المعروفة فى الطريق من مكة إلى الرياض جنوباً ، وهو معروف بكثرة الوحش ، قال الشاعر [1] : عرنان

قلت لعلاق بعرنَانَ : ما تَرَى ؟ ... فما كادَ لى عن ظهر واضحة يُبْدِى

وقال بشر بن أبى خازم :

كأنى وأقتادى على حَمْشة الشَّوَى ... بشَرْبة أو طاوٍ بفَيْفَاء مُوجِسِ [2]

تَمَكَّث شيئاً ثم أنحَى ظُلُوفَه ... يثير التراب عن مبيت ومكنس

أطاع له من جَوِّ عرنَيْنِ بارضٌ ... ونبذ خصال فى الخمائل مخلس

وقال القَتَّال الكلابى :

وما مُغْزِل من وَحْش عرنان أتلعت ... بسنتها أخلَتْ عَلَيْهَا الأواعس

تنبيه عن اشتباه يقع ـ أما الموضع الذى ذكره امرؤ القيس مع عِرْنَانَ باسم شربة فغير «شرمة» بالميم التى هى هضبة فى رأسها شرم ، وقد ذكرها أوس بن حجر مع أبان وذلك فى قوله : دفع التباس

تَثُوبُ عليهم من أبان وشَرْمة ... وتركب من أهل القنان وتَفْزَعُ

فانظر فى هذا البيت تجده قرن شرمة بأبان والقنان ، أما أبان فهو واقع فى وادى الرُّمة مما يلى القَصيم ، والقنان مجاور لسميراء واقع بين بلاد بنى أسد و بين بلاد غطفان .

وإليك شاهداً آخر :

أرقْتُ لبرقٍ آخرَ الليـل دونَه ... رِضـام وهَضب دون رمّان أفيَحُ

بحزن شآم كلما قُلْتُ قد وَنَىٰ ... سَنَاوالقرار الخضر فى الدَّجْنِ جُنَّحُ

فأضحى له وَبْل بأكناف شَرْمَة ... أجشُّ رِمَاكَى من الوبل أفْصَحُ

ذكر أن هذا البرق سَتَره رضام وهضبٌ دون رمان ، ورمان : جبل معروف فى شمالىِّ بلاد بنى أسد مجاورٌ لجبلَىْ طي أجأ وسَلْمى ، فأما ما ذكره امرؤ القيس بلفظ « شربة » فهو المعروف اليوم بشرمة فى أرضٍ مستوية كما ذكرنا . وهى بئر تردها العرب إلى هذا العهد .

* * *

٤٧ — وقال امرؤ القيس بعد الأبيات المتقدمة وهو يصف ظبيا تطرده كلاب القَنَّاص :

(١) البيت لشبيب بن البرصاء المرى . (٢) رواية ياقوت (١٥٩/٦) لهذا البيت « بحربة أوطاو بعسفان موجس » . والفيفاء : البيداء البعيدة من الماء .

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً   كِلَابُ ابْنِ مُرٍّ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنْبِسِ
مُغَرَّثَةً زُرْقًا كَأَنَّ عُيُونَهَا   مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيحَاءِ نُوَّارُ عَضْرَسِ
فَأَدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَامَ كَأَنَّهُ   عَلَى الصَّمْدِ وَالْآكَامِ جَذْوَةُ مُقْبِسِ
وَأَيْقَنَ إِنْ لَاقَيْنَهُ أَنَّ يَوْمَهُ   بِذِي الرِّمْثِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أَنْفُسِ

ذو الرمث — أما ذو الرمث فهو معلوم اليوم بهذا الاسم ، إلا أنه اختلف اختلافا قليلا فسمى « الرميثى » وهو : واد عظيم كثير الرمث يصب من جبل النير متّجهاً إلى جهة الشمال ، يقطعه السالكُ من عفيف إلى القاعية ، وإذا سلك سيله طريقَ السيارات اتّجه إلى جهة الشرق واجتمع بوادى غثة ، ولم أر لغثاة المعروفة اليوم بهذا الاسم ذكرا ، إلا ما ذكره صاحب معجم البلدان [1] قال « غُثَث ماء لغَنِي عن الأصمعى » وفى معجم البلدان عبارة أخرى أقرب من هـذه قال « وقال أبو بكر ابن موسى : ذو غُثَث جبلٌ بحمى ضَرِية تخرج السيول منه ومن نضاد » ا هـ، أما وادى غثة فهو يتّجه إلى جهة الشرق ، ويترك جبل نضاد على يمينه ، ونضاد موجود بهذا الاسم إلى اليوم يقال له « النضادية [2] » وأما « الرميثى » الباقى بهذا الاسم فهو الذى ذكره امرؤ القيس باسم ذى الرمث سمي الرميثى لكثرة نبات الرمث فيه ، والرمث : نوع من الحَمْض ترغبه الإبل ، قال دريد ابن الصمة يذكر هذا الوادى :

ولولا جُنُونُ الليـلِ أدرك ركضُنا   بذى الرمث والأرطى عياضَ بن ناشب

وقال لبيد بن ربيعة العامرى وهو من أهل تلك الناحية :

بذى شطب أحداجُها قد تحمّلوا   وحثَّ الحداةُ الناجياتِ الذواملا
بذى الرمث والطّرفاء لما تحملوا   أصيلا وعايَنَّ الحمولَ الحوافلا

وشطب : طرف ثهلان الشمالى ، منفرد منه والرميثى : يصبُّ من طرف النير الشمالى ، والمسافة الواقعة بين ثهلان والنير أقل من يوم ، والمسافة الواقعة بين شطب والرميثى يوم للراكب المُجِدِّ .

* * *

٤٨ — وقال امرؤ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمًا بِسَفْحِ عُنَيْزَةٍ   وَقَدْ حَالَ مِنْهَا رِحْلَةٌ وَقَلُوصُ

---

(١) المعجم ٦/٢٦٨   (٢) وهو الجبل المنيف الذى يجعله سالك طريق الرياض على السيارات عن يمينه بعد أن ينكب القاعية ويعلو الثنية المشرفة عليها من شرقيها .

إلى أن قال :

كَأَنِّى وَرَحْلِي وَالْقِرَابَ وَنُمْرُقِي إِذَا شُبَّ لِلْمَرْوِ الصِّغَارِ وَبِيصُ
عَلَى نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ وَلِعِرْسِهِ بِمُنْعَرَجِ الْوَعْسَاءِ بَيْضٌ رَصِيصُ
وَيَأْكُلْنَ مِنَ قَوٍّ لَعَاعًا وَرِبَّةً تَجَبَّرَ بَعْدَ الأَكْلِ فَهْوَ نَمِيصُ
تَطِيرُ عِفَاءٌ مِنْ نَسِيلٍ كَأَنَّهُ سُدُوسٌ أَطَارَتْهُ الرِّيَاحُ وَخُوصُ
تَضَيَّفَهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يَسُغْ لَهُ نَصِيٌّ بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصُ

أما عُنَيزة : فهى معلومة اليوم من مُدُن القَصيم ، وقد تقدم الـكلام عليها[1] .

وأما الوَعْسَاء فهي أكثبة رملٍ متصل بعضُها ببعض على طريق الحاج من البصرة إلى مكة الوعساء

قال ذو الرمة :

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساء بين جُلاَجل وبين النَّقَا أأنتِ أمْ أمُّ سالمِ

ولا أعلم اليوم موضعاً بهذا الاسم .

وأما « قوٌّ » فقد أكثر الشعراء من ذكره ، وقد اختلف الرُّواة فيه ، قال فى معجم البلدان :[2] قو

قال الجوهرى : قو بين فَيْد والنباج ، واستدل ببيت امرىء القيس حين قال :

سَمَالكَ شوقٌ بعد ما كان أقصرا وحلّتْ سُلَيمى بطنَ قَوٍّ فعرعرا

وقو الذى ذكره امرؤ القيس فى هذا البيت وقَرَنه بعرعر يقع فى القطعة الجنوبية من نَجْد ، وقد اندرس اسمه ، لأن عرعرا الذى قَرَنه امرؤ القيس به واقعٌ فى الهضب يقال له اليوم : عراعر ، والهضب واقع فى جنوبيِّ نجد ، وقال زُرْعَةُ بن تميم الحطَمُ الجَعْدى :

وَإنْ تكُ ليلى العامريةُ خَيَّمت بقوٍّ فإنى والجنوب يمانِ
ومُغْتَرب من أهل ليلىْ رعيتُه بأسباب ليلى قبل ما تريان
نشرت له كَنَّانة من بشاشة ومن نصح قلبى شُعْبَةً واسانى

وأما قو الذى ذكره الحطيئة لما نزل على الزِّبْرِقان بن بدر وتركته زَوْجُ الزبرقان فقال :

ألم أك نائيـا فَدَعَوْتمُونى فخانتنى المواعِدُ والدُّعاء
ألم أك جارَكم فتركتمونى لـكلبى فى دياركمُ عُواء
أجيل على الخباءِ ببطن قوٍّ بناتِ الليلِ فاحتُمِلَ الخباء

فإن قوا هذا الذى ذكره الحطيئة واقعٌ فى بلاد بنى تميم فى القطعة الشرقية من نجد ، قال فى

---

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٢٠ . (٢) المعجم ٧ / ١٨٦ .

معجم [1] البلدان : و بطن قو وادٍ يقطع الطريقَ ، طريقَ القاصد من البصرة إلى المدينة ، إلى أن قال « موضع تدخله المياه ولا تخرج ، وعليه قنطرة يعبر القفول عليهـا يقال لها بطن قو » اهـ . ولا أعلم شيئاً بهذه الصفة ليس بينه و بين النباج إلا مرحلة واحدة إلا أسفل وادى الرمة إذا ترك السـالكُ عنيزة عن يمينه وانعرج إلى روضة الزغيبية ، وهى التى تصب فيها سيولُ الرمة ولا تخرج .

وقد غلط كثير من الشراح والطباع فى لفظة . قو . وجو . وخو . فحرفوها ، حتى إنهم ذكروا فى بيت زهير بن أبى سلمى :

لئن حَلَلْتَ بجوٍّ فى بني أَسَدٍ فى دين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ

وزهير يعنى خَوًّا لأنها موجودة اليوم بهذا الاسم يقال لها « الخوة » واقعة من سميراء فى جنو بيها الشرقى قريبَ الجبل الذى يقال له حبشى ، تقع فى شرقيه .

حائل — أما « حائل » فهى المدينة المشهورة فى جبلى طيء ، واقعة من جبل أجأ فى جنو بيه قريباً منه ، وهى باقية على اسمها إلى يومنا هذا . قال امرؤ القيس :

أبت أجأ أن تُسْلِم اليومَ جارَها فمن شاء فَلْيَنْهَضْ لها من مقاتل

تَبيت لَبُونى بالقريَّة أمناً وأسرحها غبًّا بأكناف حائل

بنو ثُعَل جيرانُهـا وحُمَاتها وتَمْنَع من رجَّال سعدٍ ونائل

ودخل بدوى إلى الحضر وهو فى العراق ، فاشتاق إلى بلاده ، فقال :

لعمرى لَنَوْرُ الأقحُوَان بحائل ونَوْر الخُزَامى فى ألاء وعرفج

أحبُّ إلينا يا حميدُ بنَ مالكٍ من الورد والخِيرِى ودُهْن البَنَفْسج

وأكلُ يرابيع وضَبٍّ وأرنب أحبُّ إلينا من سُمَانَى وتدرج

ونصُّ القِلاص الصُّهب تَدْمَي أنوفُهَا يَجُبْنَ بنا ما بين قَوٍّ ومنعج

أحبُّ إلينا من سَفِينٍ بدجلة ودَرْب متى ما يظلِم الليلُ يُرْتَج

أما حائل فقد ذكرها امرؤ القيس فى مواضع كثيرة من شعره ، وسنمر على بعض المواضع التى فيها ذكر حائل .

* * *

٤٩ — قال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعُها :

أعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيض يُضِيءُ حَبِيًّا فِى شَمَارِيخَ بِيضِ

إلى أن قال :

---

(١) المعجم ١٦٨/٧ .

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ تِلَاعِ يَثْلُثٍ فَالْعَرِيضِ
أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لِوَاهُمَا فَوَادِي الْبَدِيِّ فَانْتَحَى لِلْأَرِيضِ

أما ضارج : فقد تقدم الكلام عليه[1] وهو فى هذا الشعر واقع بين بلاد بنى أسد و بلاد غطفان .

يثلث وأما يَثْلُث : فهو جبل فى عالية نجد ، يقال له اليوم « أثلث » أبدل القوم ياءه همزة ، وهو واقع بين ثهلان ودمخ ، جبيل ليس بالكبير بين الشقرة والسواد .

العريض وأما العريض الذى ذكره امرؤ القيس فهو عرض ابنى شمام ، يقع فى سواد باهلة ، وهو جبال متصل بعضها ببعض ، يقال لها اليوم « العرض » وهو يحاذى يثلث المذكور ، إذا سال يثلث من سحاب ، وهو على مسيره إلى جهة الشرق يسيل منه العرض ، وفيه قُرًى كثيرة ومزارع وأودية عامرة ، من أوديته « وادى الخنقة » قال القحيف العقيلى :

تَحَمَّلْن من بطن الخنوقة بعد ما جرى للثريا بالأعاصير بارح

وقُرَى العرض : أكبرها بلد القويعية ، ووادى القويعية أسفله البلد المشهورة بهذا الاسم ، وأعلاه ثَنِية ابن عصام الباهلى التى يقال لها اليوم « ريع المشمر » وفى هذا الوادى مما يلى بلدَ القويعية « بلدُ مزعل »وسكانُها العراف من جبور بنى خالد و « بلدُ الجفارة » وهى تبعد من مزعل مسيرَ ثلث ساعة للسائر على قدميه ، وأعلى القرى قصورُ القويع ، إذا كنت منحدراً تبدأ بالقويع وتنتهى بالقويعية ، وهو منقطع من اليمامة بينه و بينها أربع مراحل ، جباله سود ، يقال له اليوم « العرض » وهو الذى عناه امرؤ القيس فى هذا الشعر بقوله « العريض » وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضع : العرض الذى تقدم ذكره ، والعارض المتصل من العك إلى وادى برك ، وهذا يقال له « عارض اليمامة » والعويرض المتصل من وادى برك إلى وادى الهدار وطرف الأفلاج الجنوبى ، وهذا الجزء كله يقال له : العويرض ، وهو فى اليمامة أيضا .

قطيات وأما « قُطَيَّات » فهى هَضَبات حُمْر معروفة بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهذا اسمها فى الجاهلية إلا أنه تغيَّر قليلا بإبدال بعض الحروف ، وفى جنوبىّ حمى ضَرِية هضبات حمر ، يقال لها اليوم « مغطيات » زادوا على قطيات ميما ، وأبدلوا القاف غينا ، وهى واقعة شرقىّ جبل شعر المشهور بعالية نجد ، تبعد عنه مسافة نصف يوم ، وهناك هَضَبات بها ماء وقلات بالقرب من ضَرِية فى جهتها الجنوبية يقال لها « مطيوى ضرية » ، وهناك هضبات حمر فى طرف شُمَّى مما يلى شماليها ويقال لها « المطيويات » وهى واقعة فى نفس الحِمَى حمى ضرية ، والأول أقرب لقطيات ، قال

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٤.

مُطَير بن أشْيَم الأسدى[1] :

لجال جَابٌ كَسَفُّودِ الحديد له وَسْطَ الأماعز من نقع جَنابان
تَهْوِي سنابكُ رجليه مجنَّبَةً فى مكرهٍ من صفيح القُفِّ كَذَّانِ
ينتاب ماء قُطَيَّاتٍ فأخلفه وكان منهله ماء بحَوْران
تظل فيه بنات الماء طافية كأن أعيُنَهَا أشباهُ خيلان

البدى — وأما وادى البدى فسيأتى الكلام عليه إن شاء الله فى معلقة لبيد .

الأريض — فأما الأريض : فهو كا ذكره امرؤ القيس ، لكنى لا أعرفه بهذا الاسم .

* * *

٥٠ — وقال امرؤ القيس :

لَعَمْرِى لقَدْ بَانَتْ بحَاجَةِ ذِى الْهَوَى سُعَادٌ ، وَرَاعَتْ بِالْفِرَاقِ مُرَوَّعَا
وَقَدْ عَمَرَ الرَّوْضَاتِ حَوْلَ مُخَطَّطٍ إلَى الُّلخِّ مَرْأًى من سُعَاد وَمَسْمَعَا
مَتَى تَرَ دَارًا مِنْ سُعَادَ تَقِفْ بِهَا وَتَسْتَجْبِرْ عَيْنَاكَ الدُّمُوعَ فَتَدْمَعَا

الروضات ومخطط واللخ — أما الروضات ومخطط واللخ فهى مواضع ، ولكنى لم أعرفها بهذا الاسم إلا فى جهة اليمن ، قال أبو شمر الحضرمى[2] :

عَفَا من سُلَيمي روضَتَا ذى المَخابط إلى ذِى العلاق بين خبت خطائط

فهذا شاهد صاحبُه يمانٍ ، وهناك موضع قريب وادى الرمة يقال لها « الخطائط » يقع من وادى الرمة فى شماليه ، ومخطط الذى ذكره امرؤ القيس يمكن أن يكون قريبا من تلك الناحية ، وأن اسمه قد تغير وسمى الخطائط ، قال مالك بن نويرة فى يوم الغبيط حين هزمت يربوع بنى شيبان ولم يشهده[3] :

وإلاَّ أكُن لاقيتُ يوم مُخَطط فقد خَبَّر الركبان ما أتودَّدُ
أتانى بنقل الخبر لما لقيتُه رزينٌ وركبٌ حوله مُتَصَعِّد
فأقررت عينى يوم ظلوا كأنهم ببطن الغبيط خُشْبُ أثلٍ مُسَنَّدُ
صريع عليه الطير تنقر عينه وآخر مكبول يمانٍ مقيَّدُ

فهذا الشاعر رجل من بنى يربوع ، ومنازلهم فى أسفل وادى الرمة على حدود القَصيم ، وهو رجل مشهور بفروسيته ومجده ، قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ، وهو الذى رثاه أخوه مُتَمم بن نويرة

(١) الأبيات فى معجم ياقوت ٧ / ١٢٨ . (٢) المعجم ٧ / ٤٠٢ . (٣) المعجم ٧ / ٤١٠ .

فى قصيدته حين قال :

فَلَمَّا تفرقنا كأني ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

* * *

٥١ — وقال امرؤ القيس وهو يرثى الحارث بن حبيب السلمى ، وكان قد خرج معه إلى الشأم ومات فى بصرى :

ثَوَى عِنْدَ الْوَدِيَّةِ جَوْفَ بُصْرَى أَبُو الْأَيْتَامِ وَالْكَلِّ الْعِجَافِ
فَمَنْ يَحْمِي الْمُضَافَ إِذَا دَعَاهُ وَيَحْمِلُ خُطَّةَ الْأَنَسِ الضِّعَافِ[1]

و بصرى : قد مضى الكلام عليها[2] وأنها قاعدة حَوْران . وهى باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا

* * *

٥٢ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ
وَحَدِّثْ بِأَنْ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرَ مُنَبَّقِ
جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَعَدْنَ قَعَائِدًا وَحَفَّفْنَ مِنْ حَوْكِ الْعِرَاقِ الْمُنَمَّقِ
عَلَى إِثْرِ حَيٍّ عَامِدِينَ لِنِيَّةٍ فَحَلُّوا الْعَقِيقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطْرِقِ

الأعراض — أما الأعراض فهى أعراض اليمامة ذات النخيل .

العقيق — والعقيق : فى هذا البيت يقصد به عقيق اليمامة ، وهو واد ينصب من الغرب إلى جهة الشرق بطرف عارض اليمامة جنوبى الأفلاج .

مطرق — وأما مطرق : فهو ملزم ماء فى بلاد بنى تميم الشرقية ، قال ذو الرمة :

(١) وقع فى الديوان « فمن يحمى المصاف » وضبطه بفتح الميم وبالصاد المهملة ، وفسره الشارح السندوبى بساحة الحرب ومعترك النزال ، وليس بشىء ، وإنما هو « المضاف » بضم الميم وبالضاد المعجمة — وهو الذى ألجأته الحاجة وأثقله الهم والشر ، وهى عبارة كثيرة الورود فى شعر العرب ، فمن ذلك قول البريق الهذلى :

ويحمى المضاف إذا ما دعا إذا ما دعا اللمة الفيلم

ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكرى :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضى نبهته المتورد

(٢) انظر ص ٦٠ من هذا الجزء فى شرح البيت رقم ٢٩.

تَصَيَّفْن حتى اصفر أنواع مطرق   وهاجت لأعداد المياه الأباعر

وهو واقع بالقرب من عارض اليمامة ، قال فى معجم البلدان[١] عن الحفصى : ومن قلات العارض المشهورة ـ يعنى عارض اليمامة ـ الحايم ، والحجائز ، والنظيم ، ومطرق . قال مروان بن أبى حفصة

إذا [ما] تذكَّرت النَّظيم ومطرِقا   حَنَنْتُ وأبكانى النظيم ومُطْرِقُ

فأما مطرق : فقد اندرس اسمه هذا ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

النظيم — وأما النظيم : الذى قَرَنه مروان بن أبى حفصة بمُطْرِق فهو باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم فيه ماء ينصبُّ من ثنية بنى سدوس إلى وادى الأحيسى الذى يقال له اليوم « وادي الحيسية » إذا كنت قاصداً الرياضَ عاصمةَ نجد وكنت فى وادى الأحيسى قبل أن تصل خراب العيينه فالنظيم على يسارك ، فيه ملزم ماء لا ينقطع[٢] .

عقيق اليمامة — وأما عقيق اليمامة : فهو كما ذكرنا ، قال فى معجم[٣] البلدان : قال السكونى : عقيق اليمامة لبنى عقيل ، فيه قرى ونخيل كثيرة ، ويقال له « عقيق تمرة » وتمرة : قرية باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، أعرفها بتلك الناحية ، وقال شاعر من بنى عقيل فى ذكر عقيقهم :

تَرَبَّعُ ليلى بالمُضَيَّح فالحِمَى   وتَحفِر من بطن العقيق السواقيا

وقال الفرزدق :

ألم تر أنى يوم جوّ سُويقة   بكيت فنادَتْنِى هنيدة ماليا

فقلت لهـا إن البكاء لَرَاحةٌ   به يشتفى من ظَنَّ أنْ لا تلاقيـا

قِفِى وَدِّعينا ياهُنَيْدَ فإننى   أرى الركب قد ساموا العقيقَ اليمانيا

والركب مُتَّجهون من عارض اليمامة إلى اليمن ، فجعله الفرزدق عقيقا يمانيا ، وهو موجود اليوم بهذا الاسم واقع بين الأفلاج ووادى الدواسر ، وهو إلى الأفلاج أقرب من الوادى ، فيه نخل ، وسكانه من الدواسر ومواليهم .

* * *

٥٣ — وقال امرؤ القيس فى قصيدته التى مطلعها :

أَلاَعِمْ صَبَاحاً أيُّهَـا الطَّلَلُ البَالِى   وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِى الْعُصُرِ الخَالِى

---

(١) المعجم ٨ / ٨٦ فى ترجمة (مطرق) .   (٢) والنظيم أيضا : قلتتان عظيمتان فى أعلى وادى صفار غربى بلد الدرعية ، وهذا الموضع كمتنزه يرتاده من شاء النزهة من أهل الدرعية وقت الربيع .

(٣) المعجم ٦ / ١٩٨ .

إلى أن قال :

دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ ... أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَاتَزَالُ تَرَى طَلاً ... مِنَ الْوَحْشِ أو بيضا بِمِيثَاءِ مِحْلَالِ

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَاتَزَالُ كَعَهْدِنَا ... بِوَادِي الْخُزَامَى أو عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ

أما الخال فهو جبل مشهور بهذا الاسم إلى يومنا هذا، قريب الدفينة الماء المشهور فى طريق نجد بين المويه وعفيف ، يقع من الدفينة فى جنوبيها الغربى على مسافة ساعة الماشى المُجِدّ ، وهو الذى قال فيه الشاعر : الخال

أهاجَكَ بالخـال الحُمولُ الدوافعُ ... فأنت لمَهْوَاها من الأرض نازعُ

وقال عمرو بن معد يكرب :

وهُمْ قَتَلُوا بذات الخال قَيْسًا ... وأشْمَتَ سلسلوا من غير عَهْدِ

وفيه ماء يقال له « خالة » وهو لـكلب بن وَبْرة فى بادية الشام ، قال النابغة :

بخالة أو ماء الذنابة أو سـوى ... مظنة كلب أو ميـاه المواطر

وقد ظننت أول الأمر أن النابغة قصد بخالة خال الدفينة ، لأن الذنائب قريبٌ منه ، ولـكننى لما رأيته ذكر « سوى » وهى واقعة فى بلاد كلب بن وَبْرة فى أرض مضلّة ، ففى فتوحات خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه أخذ دليلا من طيء لقطع المسـافة يقال له رافع ، فلما ورد بهم الماء قال الشاعر :

لله در رافعٍ لما اهْتَدَى ... فوز من قراقر إلى سِوَى

وسوى فى طريق الشام ؛ لما رأيته ذكر سوى علمت أن خالة هناك فى بلاد كلب بن وَبْرة .

أما ميثاء فهى لفظة مستعملة عند العرب للأرض السهلة المستوية . ميثاء

ووادى الخُزَامى لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، ولا أشك أنه موضع قد تغير اسمه أو بعضه . وادى الخزامى

وأوعال : جبل أحمر باقٍ على اسمه إلى اليوم ، إلا أنه تغير قليلا فسموه « وعلة » فهو الآن يذكر بهذا الاسم ، وموقعه بين جبل كرش و بين جبل الـكبدى ، وهو إلى جبل كرش أقرب ، وهو فى القطعة الجنوبية الغربية من نجد ، وجبل كرش وجبل وعلة قريبان من ماء الصخة يقعان منها فى الجهة الجنوبية الغربية ، وسمى أوعالا لأنه تصطاد فيه الأوعال[1] ، لأن الأوعال لا ترتع إلا فى شعاف الجبال ، وقال عمرو بن الأهتم : أوعال

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ وأطلال ... بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

(١) الأوعال : جمع وعل ، وهو التيس الجبلى .

الرضم أما الرضم فهو باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، لم يتغير ، وهو ماء مشهور واقع فى فيضة وادى المياه ووادى الجريب إذا قربنا من وادى الرمة ، سمى الرضم لكثرة الرضم المحيط به من هضبات وغيرها ؛ أما الرمانتان فهما واقعتان في طرف رمان الجبلِ الواقع فى بلاد بنى أسد ، وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا فى طرف رمان ، أما أوعال : فهو الذى ذكرنا أنه « وعلة » وهو الذى ذكره عمرو ابن الأهتم ، وهناك رمانتان فى البلاد الشرقية قريب الأحساء ، وهما هضبتان صغيرتان واقعتان من بلاد الأحساء فى شمالها ، قال عرقل بن الخطيم العُكلى :

لعمرك للرُّمَّانِ إلى بِثَاه ... لحزم الأشيمين إلى صُبَاح (١)

وأودية بهـا سَلَم وسِدْر ... وحمض هيكل هدب النواحى

أسـافلهن ترفض فى سهوب ... وأعلاهن فى لجف وراح

نَحُلُّ بهـا ونَنزلُ حيث شئنا ... بما بين الطريق إلى رُمَاح

أحبُّ إلى من آطام جَوٍّ ... ومن أطوابها ذات المَنَاجِى

والرمانتان وصباح ورماح ، كلها باقية بهـذه الأسماء : أما صباح فهى أرض « صبحا » فى أسفل سدير ، تقع فى الجهة الشرقية . وقد تقدم الكلام عليها وذكرنا سبب تسميتها صبحا (٢) ورماح : ماء قديم جاهلى على طريق الأحساء بينه و بين نجد مما يلى الدهناء فى جهتها الغربية ، والرمانتان اللتان ذكرناهما قريب بلاد الأحساء فى جهتها الشمالية .

* * *

٥٤ — وقال امرؤ القيس :

وَمِثْلُكِ بَيْضَـاء الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ ... لَعُوبٌ تُنَسِّينِي إذَا قُمْتُ سِرْبَالِي

إذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كَانَ فَيْضُ حَمِيمِهَا ... عَلَى متنتيها كَالْجُمَانِ لَدَي الْجَالِي

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَر عَالِي

أذرعات أما أذرعات فهى من نواحى البلقاء بين الشام وعمان ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها أيام الفتوحات فى صدر الإسلام ، قال بعض الأعراب (٣) :

ألا أيها البرقُ الذى بات يَرْتَقِى ... ويجلو دُجَى الظلماء ، ذَكَّرْتَنِى نَجْدَا

وَهيَّجْتَنِى من أذرعاتٍ ، وما أرى ... بنَجْدٍ على ذى حاجةٍ طربا ، بُعْدَا

ألم تَرَ أنَّ الليل يقصر طولُه ... بنجدٍ ، وتزدادُ الرياح به بَرْدَا

(١) لا يتم وزن هذا البيت إلا بتخفيف الميم من « رمان » ونص ياقوت أنه بتشديدها ، وانظر المعجم ٤ / ٢٨٣ . (٢) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء . (٣) المعجم ١ / ١٦٣ .

وأذرعات باقية بهذا الاسم إلى يومنا هذا وليست مجهولة .

يثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويثرب : اسم قديم من أسمائها ، ذكروا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من قال يثرب فليستغفر الله ثلاثا ، فإنها طيبة ، وقد أكثر الشعراء من ذكر يثرب ، قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي تخاطب أخاها ضبا لما حملها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وتزوجها وقُتِل وهي عنده : يثرب

أحقًّا تراه اليومَ ياضَبُّ أنني   مُصَاحبة نحوَ المدينة أرْكُبَا

لقد كان في فتيان حِصْن بن ضَمْضَم   لكَ الويل مايجزي الخباء المحجَّبَا

قضى الله حَقًّا أن تموتي غريبةً   بيثرب لا تَلْقَيْنَ أما ولا أبا

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر « اللهم إنك أخرجْتَني من أحَبِّ أرضك إلى ، فأسكنِّي أحَبَّ أرضك إليك » فأسكنه الله المدينة ، وإليها تُنْسَب السهام اليثربية ، قال كثير عزة[1] :

وماء كأنَّ اليَثرِبية أنْصَلَتْ   بأعقارِهِ دَفْعَ الإزاءِ نَزُوعِ

* * *

٥٥ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّى بِفَتْخَاء الْجَنَاحَيْنِ لَقْوَةٍ   صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَأْطَأْتُ شِمْلالِ

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الشَّرَبَّةِ بِالضُّحَى   وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

كأن قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا   لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

اختلف الرواة في تحديد الشربة ، والصحيح أن حَدَّها الشرقيّ « عريق الدسم » المحاذي لشُمَّي الجبلِ المشهور في الحي ، وحدها الشمالي ماوان والنقرة ، وحدها الجنوبي وادي الجريب الذي يقال له اليوم « وادي الجرير » وحدها الغربي جبال الشعبة التي فيها عدنة ، ولكن عدنة في عهدنا هذا قد أبدلت عينها باء فهي تسمى اليوم « بدنة » ، والمياه الواقعة في الشربة : الرضم وهو في شرقيها ، والجثوم والمضيح وشعب العسيبيات ، والعسيبياتُ : جبالٌ حمر في جنوبي الشربة ، وأبو طريفي والغثمة في جنوبيها أيضا . ومنهم من قال : إن حدودها الغربيــة تمتد إلى جبال أبلى ، وسيأتي الكلام عليها ، وجبال هضب الشرار المسمى بهذا الاسم اليوم وهو فيما سبق هضب شَرَوْرَى[2] الشربة

(١) ديوان كثير عزة ١ / ١٣٠ .

(٢) وهضب القتاد : هو الذي كان يسمى فيما سبق « هضب القليب » وعامة أهل نجد يسمونه اليوم « هضب القتاد » .

وأما المياه الواقعة فى شمالى الشربة فهى : طلال ، وحسى عليا ، والنفازى ، و بلغة ، والماوية . وأما النقرة فهى منقطعة من بلاد غطفان داخلة فى بلاد بنى أسد ، والمشهور عند جميع الرواة أن الشربة واقعة فى بلاد غطفان .

وقد سمى الرضم بهذا الاسم لكثرة هضابه ، وربما قيل له : رضام ، قال السيد الحميرى :

وأصْبَحَ راسيا برضامَ دَهراً وسال به الحمائل فى الرمال

الرمال : هو « عريق الدسم » الواقع فى شرق الرضم ، وقال تميم بن [أبى بن] مقبل :

أرقت لبرق آخرَ الليل دونه رضام ، وهضب دون رمّان أفيح

وقال عمرو بن الأهتم التميمى وقد أوردنا هذا البيت فيما مضى على ذكر أوعال :

قفابك من ذكرى حبيبٍ وأطلال بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

وقال الراعي فى ذكر الجثوم والمضيح :

تَروحن من هضب الجثوم ، وأصبَحَتْ هضابُ شَرَوْرَى دونه فالمضيح

وهضب شَرَوْرَى هو الذى مر ذكره ، وهو اليوم يسمى « هضب الشرار » وقال القتال الكلابى فى المضيح [١] .

عفا لفلف من أهله فالمضَيَّحُ فليس به إلا الثعالب تَضْبَحُ

وقال الطرماح :

وليس بأدمان الثنيـة موقد ولا نابح من آل ظَبية ينبح
لَئِنْ مرَّ فى كرمان ليلى ، فربما حلا بين تَلَّىْ بابل فالمُضَيَّح

وقال كثير :

فأصبحن باللعباء يرمين بالحصى مدى كل وحشيّ لهن ومُسْتَمِ
موازنة هضب المضيح ، واتقت جبالَ الحِمَى والأخشبين بأخرُم

لقد أصاب كثير ، لأن اللعباء مشهورة بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى مقابلة للمضيح فى الجهة الشمالية وجبال الحمى فى الجهة الشرقية ، أما العسيبيات فقد قال الأصمعى : إن فى عالية نجد جبلا يقال له : عسيباء ، وأما الشعب الذى أضفناه للعسيبيات فلم أر له ذكراً فى الشعر القديم ، وأما أبو طريفى فهو ماء حديث يعلم خروجه المسنّون من أهل نجد ، وأما الغشمة : فلم أر من ذكرها فى الشعر القديم بهذا الاسم ، وأما طلال فهو ماء معروف بهذا الاسم فى الجاهليـة ، قال أبو صخر

(١) انظر هذه الشواهد فى المعجم ٨ / ٨٢ .

الهذلي [1]

يُفيدون القيانَ مقينات كأطلاء النّعاج بذى طلال
وصُلْبَ الأرحبية والمَهاري محـنـة تَزَيَّنُ بالرجال

وعنده جبل يقال له جبل طلال ، قال الفرزدق :

فى جَحْفَل لَجِب كأن زُهاءه جبل الطلال يضعضع الأميالا [2]

وأما « حسى عليا » فبالقرب منه ماء يقال له : المريرِ ، والمريرة ، وفى بعض الأشعار يضاف الحسى إليها ، قال الشاعر :

أيا نَخْلَتَيْ حسى المريرة ، هَلْ لَنَا سبيل إلى ظليـكما أو جَنَا كما
أيا نخلتى حسى المريرة ، ليتنى أكونُ طَوَالَ الدهر حيث أراكما

سمى المرير والمريرة لأن ماءه ملح ، قال أعرابى وهو يصبُّ لإبله وتـكظم عليه ولا تُسيغه :

هذا المرير فاشربيه أو ذَرِى إن المريرَ قطعة من أخضر

وأما «النفازى» فلم نجد له ذكرا فى شعر الجاهلية ، وهو بهذا الاسم ، وأما بلغة اليومَ فلم نجد لها ذكرا أيضا ، وهى بهذا الاسم اليوم . وماوان قد تقدم الـكلام عليه فى بائية امرئ القيس [3] .

وقد حدد الشربة جميعُ الرواة الخبيرين بنجد وبقاعها كالأصمعى ، وآخر تحديد لها تحديد الكاتب الأديب رشدى ملحس ، ونحن استقصينا فى تحديدها فيما قدمناه قريبا ، وهذه التحديدات التى ذكرها الناسُ وإن اختلفت عبارتها فهى متقاربة المعنى ، وقال بعض الشعراء [4] :

وإلى الأمير من الشربّة واللّوى عَمَّيْتُ كل نَجيبـة شِمْلالِ

واللوى الذى قَرَنه بالشربة فى هذا البيت هو الـكثيب الذى ذكرنا أنه حَدُّها الشرقىّ الذى يقال له اليوم « عريق الدسم » والعرب تسميه الدسم فى الجاهلية ، قال أعرابي يرثى أخاه وقد قبره فى هذا العريق [5] :

وَقَفْنَا على قبر بدَسْمٍ فهاجَنَا وذكّرنا بالعيش إذ هو مُصْحِبُ
فجالت بأرجاء الجفون سَوافح من الدّمع تـتلى الّتى تتعقّبُ
إذا أبطأت عن ساحة الخدّ ساقَهَا دَمٌ بعد دمع إثْرَهُ يتصبّبُ
فإن تُسْعِدا نندب عبيدا بقَوْلَة وقَلَّ له منا البـكىُ والتحوبُ

(١) انظر المعجم ٦ / ٥٣ .
(٢) رواه ياقوت « جبل الطلاة » .
(٣) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء .
(٤) المعجم ٥ / ٢٤٩ . (٥) المعجم ٤ / ٦٠

وقال فى ذكر الشربة ضباب بن وقدان الظّهْرى :

لعمرى لقد طالما غالنى تدَاعِى الشربة ذات الشَّجَرْ

واستعمل هشام بن عبد الملك الأسود بن بلال المحاربى على بحر الشام ، فقدم عليه أعرابى من بنى عمه ، ففرض له وأغزاه البحر ، فلما رأى البدوىُّ تلك الأهوالَ قال [1] :

أقول وقد لاح السفينُ ملججا وقد بَعُدَت بَعْدَ التقرب صُورُ

وقد عصفت ريح ، وللموج قاصف ، وللبحر من تحت السفينِ هدير

ألا ليت أجْرِى والعطاء صَفَا لهم وحظى حُظوظ فى الزمام وكُور

فلله رأىٌ قادنى لسفينةٍ وأخضر مَوّار الشرار يَمُور

ترى مَتْنه سَهْلاً إذا الريحُ أقلعت وإن عَصَفَتْ فالسهلُ منه وُعُورُ

فيابْنَ بلال للضلال دَعَوْتَنى وما كان مثلى فى الضلال يسير

لَئِنْ وَقَعَتْ رجلاى فى الأرض مرةً وحان لأصحاب السفين بُكُورُ

وسُلِّمْتُ من موج كأن مُتُونه حِرَاء بَدَتْ أركانُه وثَبير

ليعترضَنَّ اسْمى لدي العرض خلفة وذلك إن كان الإياب يسير

وقد كان لى حولَ الشربَّةِ مَقْعَد لذيذ وعيشٌ بالحديث غرير

ألا ليت شعرى هل أقولَنْ لفتيَةٍ وقد حان من شَمْس النهار ذُرُورُ

دَعُوا العِيسَ تُدْنِى للشربة قافلاً له بين أمواج البحار وكور

وذكروا أن الشربة هى أشد نجد قرًّا .

أورال — وأما أورال : فلا أعرفه بهذا الاسم اليوم ، وذكر أصحاب المعاجم [2] أن أورال ثلاثة أجبل سود فى جوف الرمل ، الواحد ورل ، فيقال : الورل الأيمن ، والورل الأيسر ، والورل الأوسط وحذاؤهن ماءة لبنى عبد الله بن دارم يقال لها : الورلة ، قال عبيد بن الأبرص :

وكأن أقتَادى تضمن نسعها من وحش أورالٍ هبيط مُفْرَدُ

باتت عليه ليلة رَجَبيـة نَصَبًا نسح الماء أوهِىَ أبرد

وهذا الجبل فى بلاد بنى تميم [3] وظنى أنه هو الذى عناه امرؤ القيس .

وأما أرال فى قول كثير :

---

(١) المعجم ٥ / ٢٤٩ . (٢) المعجم ١ / ٣٧٠ .

(٣) قال ياقوت « وكان يسكنها بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل » المعجم ١ / ٣٧١ .

ألا لَيْتَ شعري هل تَغيَّر بعدنا   أرَاكُ فصِرْما قادم فَتُنَاضِبُ ؟ !

فهو جبل بالحجاز ، وأنا أعرف تناضب بهذا الاسم اليوم ، وقد وردتها ، وهي واقعة من بلد الحناكية في جنوبها الغربي ، في وادٍ كثير الشجر ، وتناضبه عظيمة ، وظني أنه لم يسم التناضب إلا لكثرة شجره ، وهو وادٍ مشهور بهذا الاسم ، وظني أن سيله يصب في أودية المدينة .

* * *

٥٦ — وقال امرؤ القيس :

حَيِّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ   إذْ لاَ يُلاَئِمُ شَكْلُهَا شَكْلِى

مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ   إلاَّ صِبَاكَ وَقِلَّةَ الْعَقْلِ

قال في معجم البلدان[1] : العزل ماء بين البصرة واليمامة ، وهناك موضع يقال له اليوم « المعيزيلة » وهي أكثبة رملٍ قليلة بين اليمامة والدَّهْناء معروفة بهذا الاسم عند أهل نجد . العزل

* * *

٥٧ — وقال امرؤ القيس :

لما سَمَا مِنْ بَيْنِ أقْرُنَ قَالَ   أجْبَالِ قُلْت : فِدَاؤُهُ أهْلِى

هَمٌّ سيبلغه التَّمَامُ فَذَا   ظَنِّى بِهِ سَيَنَالُ أوْ يُبْلِى

أما أقرن فقد قال في معجم البلدان[2] :هو موضع ، واستدل ببيت امرئ القيس هذا ، وهناك موضع يقال له « قرن » جبل أسود في أعلى بلاد غطفان ، باق بهذا الاسم ، وذكروا أن الأجبال التي عناها امرؤ القيس هي أجبال صبح ، وهي كذلك في بلاد غطفان ، فسميت بأجبال صبح ، وصبح هذا : رجل من عاد كان يسكنها فسميت به ، لأنه كان يطيل الإقامة فيها ، قال الشاعر : أقرن

ألا هَلْ إلى أجبال صبح بذى الْغَضَى   غضى الأثْلِ من قبل المَمَات مَعَادُ ؟

بلاد بهـا كنا ، وكنا نُحِبُّهـا ،   إذِ الأهل أهْلٌ ، والبلادُ بلادُ

وأنا لا أعرفها اليوم بهذا الاسم .

* * *

٥٨ — وقال امرؤ القيس :

يَادَارَ مَاوِيَّةَ بِالْحَائِلِ   فالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ

أما حائل هذه فلا أظن أنه عنى بها حائلا الواقعة في جبلي طيء . وأما السهب فهو موضع حائل

(١) المعجم ٦ / ١٧٠ .   (٢) المعجم ١ / ٣١١ .

السهب معروف تصب فيه أودية اليمامة ويقال لها اليوم « السهباء » قال طُفَيل الغَنَوى وقد ذكر السهب[1]

وبالسَّهْب مَيْمُون الخليقة ، قولُه لمُلْتَمِس المعروف أهْلٌ ومَرْحَبُ

وقال جرير وأتى به مقصورا :

كلفت صحبى أهوالاً على ثقةٍ لله دَرُّهُم رَكبًا وما كلفوا

ساروا إليك من السَّهْبا ودُونَهُمُ فَيْحَانُ فالحَزْنُ فالصِّمَانُ فالوكَفُ

يُزْجُونَ نحوك أطلاحًا مُخَذَّمة قد مَسَّها النكْبُ والأنقابُ والعَجَفُ

والسَّهْبا في أسفل بلد الخرج تصبُّ فيها سيولُ أودية اليمامة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد

خبتا عاقل وأما الخبتان من عاقل فإن أصل الخبت ما انخفض من الأرض ، وقد أضاف امرؤ القيس الخبتين إلى عاقل ؛ فمراده بالخبتين المنخفض من جانبى عاقل ، وعاقل باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو وادٍ عظيم يصب فى وادى الرمة يسمى اليوم بالعاقلى ، وقد مضى الكلام عليه[3] .

* * *

٥٩ — وقال امرؤ القيس :

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأمَيْنِ عَلَى نَابِلِ

إذْ هُنَّ أقْسَاطٌ كَرِجْلِ الدَّبَى أوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ

كاظمة كاظمة : مَنْهَل ماء فى الساحل الشرقى مما يلى البصرة ، ماؤها على ظهر الأرض ، تَرِدها أسرابُ القطا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال الشاعر[4] :

يا حبذا البرقُ من أكناف كاظمةٍ يسعى على قَصَرات المَرْخ والعُشَرِ

لله در بيوتٍ كان يَعْشَقُها قلبى ويألَفُها إن طيبت بَصَرى

فقدتها فَقْدَ ظمآنٍ إداوَتَهُ والقيظ يَحْذِفُ وَجْهَ الأرض بالشَّرر

أمنيَّةُ النفسِ أن تزداد ثانيةً وحالُنا والأمانى حُلْوَةُ الثمرِ

* * *

٦٠ - وقال امرؤ القيس :

فَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَاحَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

إلى أن قال :

---

(١) المعجم ٥ / ١٨٤ .
(٢) المعجم ٥ / ١٨٥ .
(٣) انظر ص ٥٣ من هذا الجزء .
(٤) المعجم ٧ / ٢٠٨ .

أَبَتْ أَجَأٌ أَن تُسْلِمَ الْيَوْمَ جَارَهَا　　فَمَن شاء فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ
تَبِيتُ لَبُونِى بِالْقُرَيَّةِ أمنا　　وأبعثها غبًّا بأكناف حَائِل

أجأ أما أجأ : فهو الأول من جبال طيىء الواقع فى الجهة الشمالية من حائل ، ولا يزال معروفا بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهو جبل أسود به حُمْرة ، به قِلات [1] تلزم الماء ، وبه نخيل عظيمة

القرية والقرية مشهورة اليوم باسم عقدة ، والقرية المشهورة بهذا الاسم فى جهة حائل الجنوبية ، إذا قلت القريتان فالقريتان قريبَ النباجِ شرقىَّ القَصِيم ، قال معن بن أوس [2] :

لها مورد بالقريتين ومَصْدر　　لفوت فلاة لا تزال تنازله

وقال جرير :

تَمْشى النباجَ بَنو قَيْسِ بن حَنْظَلَة　　والقريتين بسُرَّاقٍ ونزال

* * *

٦١ — وقال امرؤ القيس :

نَزَلْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْطَةً　　فَيَا كَرَمَ مَاجَارٍ وَيَا حُسْنَ مَافَعَلْ
تَظَل لَبُونِى بَيْنَ جَوٍّ ومِسْطَحٍ　　تُرَاعِى الْفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الْحَجَلْ

بلطة أما بلطة فهو موضع معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، وهو واقع فى جبل طيىء فى الزمن القديم وقد قال امرؤ القيس فى رائيته :

ألا إن فى الشعبين شعب بمسطح　　وشعب لنا فى بطن بُلْطَةَ زيمرا

وقال سلام بن درماء الطائى [3] :

إذا ما غضبتُ أو تقلدت مُنْصُلِى　　فَلأْياً لكم فى بطن بُلْطَةَ مشربُ
فإنكمْ والحقّ لو تدْعونه　　كما انتحلت عرضَ السماوة أهْيَبُ

(١) القلات : جمع قلت ــ بالفتح ــ وهى النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء .

(٢) الذى فى بيت معن بن أوس وبيت جرير « القريتين » ــ بفتح القاف وسكون الراء ــ على لفظ تثنية قرية ، لكن الذى فى بيت امرىء القيس بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء مفتوحة ، وكأنه مصغر قرية . وقد نص أبو عبيد البكرى على أن القريتين من منازل تميم ، وأنشد فيه قول مالك بن نويرة :

فمجتمع الأسدام من حول شارع　　فروى جبال القريتين فضلفعا

وقال : إن شارعا من منازل تميم . وأقول : إن ضلفعا هذه فى أعلى القصيم ويقال لها اليوم « الضلفعة » .　[٣] انظر معجم البلدان ٢ / ٢٧١ .

كَبِنْيِسِنا المُذْلين فى جَوِّ بُلطة ... ألا بئْسَ ما أدنَوْا به وَتَقَرَّبُوا

وقدمت أعرابية من أهل جبلي طيء إلى مصر، فرضت، فأتاها النساء يعرضن لها و يعللنها بالكمك والرمان وأنواع الفواكه، فقالت :

لَأَهْلُ بلطة إذ حَلّوا أجارِعَهَا ... أشْهى لنفسىَ من أبواب سودان

جاءوا بكعك ورُمّان ليشفينى ... يا وَيْحَ نفسي من كَعْكٍ ورمان

جو بلطة وأما جو : فهو مضاف إلى بلطة، يقال له « جو بلطة ».

مسطح ومسطح موضع مشهور على ألسنة الرواة فى جبلى طيء بهذا الاسم، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم، ولعل سكان تلك الناحية يعرفونه اليومَ بهذا الاسم.

قلت : قد وقفنا بعد السؤال والبحث على تحقيق هذه الأسماء فوجدناها باقيةً على أسمائها إلى هذا العهد وهى : جو، ومسطح، و بلطة، وزيمر، أما بُلطة : فهي عين ماء عليها نخيل وَمَزَارع وموقعها فى أجأ، تقع من حائل فى الجهة الغربية الجنوبية، وزيمر : وادٍ به ماء يقع شماليه، وأما مسطح فقد تغير اسمه وصار اسمه اليوم « مسيطح » يقع فى شمالى حائل، وجو : قريب بُلطة وهى جميعها فى جبل أجأ.

* * *

٦٢ — قال امرؤ القيس :

قَدْ أقْطَعُ الْأَرْضَ وَهْىَ قَفْرٌ ... وَصَاحِبِى بَازِلٌ شِمْلَالُ

نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَبْجَلُهَا ... كَأَنَّ حَارِكَهَا أَثَالُ

وصف امرؤ القيس حاركها [1] بأثال الذى هو القصر، وقد تقدم الكلام عليه فى معلقته على ذكر الجِوَاء [2].

* * *

٦٣ — وقال امرؤ القيس، وأنا أشك أنها من شعره، وإن أثر الصنعة لبادٍ عليها :

لمن طَلَلٌ بَيْنَ الْجُدَيَّةِ وَالْجَبَلْ ... مَحَلٌ قَدِيمُ العَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطِّيَلْ

عفا غير مرتادٍ وَمَرَّ كَسَرْحَبٍ ... وَمُنْخَفِضٍ طَامٍ تَنَكَّرَ وَاُضْمَحَلْ

وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ ... عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سكن ارْتَحَلْ

---

(١) الحارك : أعلى الكاهل، وأراد ناقة تامة الخلق قوية على السير.

(٢) انظر ص ٢٦ من هذا الجزء.

أما جُدَيّة : فهو موضع معروف فى الزمن القديم بهذا الاسم فى بلاد طيىء ، قال شاعرهم : جدية

وَهَلْ أشربَنَّ الدهر من ماء مُزْنَةٍ على عَطَش ممـــا أقر الوقائع
بقيع التناهى أو بهضب جُدَيَّة سَرَى الغيثُ عنه وهو فى الأرض ناقعُ

وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، وأما الجبل : فهو جَبَل أجا ، وهو مشهور بهـذا الاسم إلى يومنا هذا عند عامة أهل نجد .

* * *

٦٤ — وقال امرؤ القيس :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غولٌ خَتُول الْعَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجَالاَ
أَزَالَ مِنَ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالاَ

المصانع فى الأصل : الأبنية ، وقد ذكر المفسرون فى بيان قوله تعالى (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أن المصانع : الأبنية ، وقال لبيد : المصانع

بَلِينَا وما تَبْلَى النجومُ الطَّوالع وتبقى الديار بَعْدَنَا والمصانعُ

والمصانع : التى عناها امرؤ القيس في قصيدته اسم لمِخْلاَف باليمن كان يسكنه ذو رياش ، وهو باقٍ على اسمه إلى يومنا هذا ، و يطلق هذا الاسم على عدة مواضع : منها موضع من أعمال صنعاء يقال له « المصانع » وفى الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية قرية يقال لها المصانع ، ذكرها صاحب المعجم ، وذكر أنها لم تدخل فى صلح خالد بن الوليد ، ولا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٦٥ — وقال امرؤ القيس :

كَأَنِّىَ لَمْ أَسْمُرْ بِدَمُّونَ مَرَّةً وَلَمْ أَشْهَدِ الْغَارَاتِ يَوْماً بِعَنْدَلِ
وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الْخَيْرِ ربنا وَإِذْ نَحْنُ لاَ نُدْعى عَبِيدًا لِقَرْمَلِ

فأما دَمُّون : فهى قرية من قرى اليمن القديمة ، وقد قال امرؤ القيس غير هذا البيت : دمون

تطاول الليل علينا دَمُّونْ دَمُّونُ إنا مَعْشَر يمانون
* وإنَّنَا لأهلنا مُحِبُّونْ *

وأما عندل فهى واقعة فى بلاد اليمن ، واستدل عليها أهل المعاجم ببيت امرئ القيس ، وهى مشهورة فى أشعار كثيرة ، وأنا لا أعلم أهى باقية على اسمها أم تغيرت . عندل

٦٦ — وقال أمرؤ القيس :

خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ لاَ حَيَّ مِثْلُنَا ... بِآيَاتِنَا نُزْجِي اللِّقَاحَ الْمَطَافِلاَ

النقبان — النقبان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، وهما فى جبل فى شمالىِّ أجأ ، إذا كنت فى مدينة حائل فالنقبان بينك و بين القُطب الشمالى ، وقد أطلق عليهما هذا الاسم لأنها نقبان فى وسط جبل من جبال أجأ ، و إذا طلعت نقبا خرجت منه على نخيل ومزارع وسكان ، ثم تطلع النقب الثانى فإذا استويت فى أعلى الجبل طلعْتَ على نخيل ومزارع وسكان ، وهذا الجبل ينتابه أهلُ مدينة حائل لتغيير الهواء فيه ، وهذه الأسماء باقية من العهد الجاهلى إلى هذا العهد .

وهذا البيت قد أورده ابن كثير رحمه الله فى أول تفسيره قبل الفاتحة منسو با إليه .

* * *

٦٧ — وقال امرؤ القيس :

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ ... فَعَمَايَتَيْنِ فَهَضْبِ ذِي اقْدَامِ

فَصَفَا الأَطِيطِ فَصَاحَتَيْنِ فَغَاضِرٍ ... تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ

عوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا ... نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ جِذَامِ

سحام — أما سحام : فهى موجودة بقريب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهى واقعة بين دَمْخ وثهلان ، و يقال لها اليوم «السحاميات» إذا جمعتها ، و إذا أفردتَ إحداهنَّ قلت لها « السُّحامية » وهى على شكلين : أما الواقعة فى جهة الجنوب مما يلى دمخ فيقال لها « السحامية السوداء» وأما الشمالية فيقال لها «السحامية البيضاء» لأنها كثيرة الأبارق تقرب من طرف ثهلان ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، وهى واقعة فى بلاد بنى كلاب بن عامر ، وفيها يقول عامر بن الكاهن الكلابى[1]

وَمَنْ يرَ لِى يوم السُّحَامة فوقنا ... عَجَاجةُ أذْوَادٍ لهنَّ سَوَائِرُ

إذا خرجَتْ من محضرسد فرجها ... خفافٌ مُنيفات وجذع بهازر

دَعُوا الحربَ لاتَشْجَوْا بها آلَ حنتر ... شَجًا الحلق إنَّ الحرب فيها نَهَابِرُ

ولا تُوعِدُونا بالغِوَار فإننا ... بنى عمنا فيها حُمَاةٌ مَغَاور

على كل جرداء السَّرَاة كأنها ... عُقَاب إذا ما حَثَّها الحربُ كاسرُ

مُحَالفة للهَضْب صَقْعاء لَفَّها ... بطخفة يومٌ ذو أهاضيبَ ماطِرُ

عمايتان — أما عَمَايتان فقد تقدم الكلام عليها فى بائية امرئ القيس[2] .

---

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٤ ... (٢) انظر ص ٣٧ من هذا الجزء

وهضب ذى إقدام هو الهضب المشهور الواقع فى القطعة الجنوبية من نجد ، وقد تقدم الكلام عليه فى أول أشعار امرىء القيس ، وقد ذكرنا مياهه ووصفنا موقعه ، وكان اسمه فى الجاهلية « هضب ذى إقدام » وأما اليوم فيقال له « هضب آل زايد » .

صفا الأطيط أما « صفا الأطيط » فلا أعرفه بهذا الاسم ، إلا أن صاحب معجم البلدان قال[1] : إنه موضع ، واستدل له ببيت امرىء القيس .

صاحتان أما صاحتان فهما هضبتان حمراوان يقال لإحداهما « صاحة » وللثانية « صوحة » وهما بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وهى التى عناها امرؤ القيس ، ويحف بصاحة وادى الركى من ضفته اليمانية فإذا انقطع جبل السوادة فهى فى طرفه الجنوبى مما يلى مطلع الشمس ، تقع من ماء الأرمض المعروف فى بطن الركى فى جهته الجنوبية الشرقية بينهما أقل من مسافة ثلث يوم ، وهى من طرف السوادة كذلك ، وأما « صوحة » فهى مُتاخمة لها من جنوب ، قال بشر بن أبى خازم :

لياليَ تَسْتَبِيكَ بذى غُرُوبٍ كأنَّ رُضَابَه وَهْنًا مُدامُ
وأبلج مُشْرِق الخدَّين فَخْمٍ يُسَنُّ عَلَى مَرَاغِمِهِ القَسَامُ
تعرضَ جابَةِ المِدْرَى خَذُولٍ بصاحة فى أسرَّتها السلام
وصاحبها غضيضُ الطرف أحْوَى يضوع فؤاده منها بُغَام

غاضر أما غاضر : فلا أعرفه بهذا الاسم ، أعرف « غَضَوَرا » وهو باقٍ إلى يومنا هذا ، وهو واقع فى بلاد بنى أسد ، وقد مضى الكلام عليه فى شعر امرىء القيس[2] وأسمع فى أشعار العرب غضارا جبلا فى بلاد هذيل ، قال ابن نجدة الهذلى :

تغنى نسوة كنقى غضار كأنك بالنشيد لهن رام

وثمة موضع يقال له « الغضوّر » فى حجاز المدينة ، قال الشماخ :

فأوردها ماء الغضوّر آجناً له عَرْمَض كالغسل فيه طموم

وأما امرؤ القيس فإنه عطف غاضرا على صاحتين ، فلا يكون غاضر إلا فى القطعة الجنوبية من نجد ، ولكنى لا أعرفه بهذا الاسم اليوم .

* * *

٦٨ — وقال امرؤ القيس :

أَوَمَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بَوَاكِرًا كَالنَّخْلِ مِنْ شَوْكَانَ حِينَ صِرَامِ

(١) معجم البلدان ٥ / ٣٣٠ و ٣٦٦

(٢) انظر ص ٦٢ من هذا الجزء

حُورٌ تُعَلَّلُ بِالْعَبِيرِ جُلُودُهَا   بِيضُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمُ الأَجْسَامِ
فَظَلِلْتُ فِي دِمَنِ الدِّيَارِ كَأَنَّنِي   نَشْوَانُ بَاكَرَهُ صَبُوحُ مُدَامِ
أُنُفٍ كَلَوْنِ دَمِ الْغَزَالِ مُعَتَّقٍ   مِنْ خَمْرِ عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبَامِ

شوكان — شَوكان الذى ذكره امرؤ القيس : قرية يمانية فى ناحية ذَمار ، وهى التى ينسب إليها الشَّوكانى صاحب « نيل الأوطار ، فى شرح منتقى الأخبار » المشهور ، وهى غير شوكان الواقعة بين سرخس وأبيورد ، والتى ينسب إليها أبو الوفاء عتيق بن محمد بن عبيس الشوكانى .

عانة — وأما عانة فهى بلدة مشهورة واقعة بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة ، وهى التى عناها الأعشى حين قال[1] :

كأن جنيًّا من الزنجبيـــل خالط فيها وأريًا مَشُورَا
وَإِسفَنْطَ عانةَ بعد الرقا دِ شك الرِّصَافُ إليها غَدِيرَا

وأنا لا أعلم أهو باقٍ على اسمه إلى هذا اليوم أم تغير .

شبام — وأما شبام : فهو جبل عظيم قريب صنعاء ، ذكروا أن مياه صنعاء تصب منه ، وقالوا : إن بينه وبين صنعاء ثمانية فراسخ ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، وكان هذا الجبل كثير القر ، قال شاعر يمانى :

ما زال ذا الزمنُ الخبيثُ يُدِيرُنى   حتى بَنَى لىَ خيمةً بِشِبَامِ

* * *

٦٩ — وقال امرؤ القيس :

جُزِيتِ خَيْرَ جَزَاءِ نَاقَةَ وَاحِدٍ   وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ الْقَرَى بِسَلاَمِ
فَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَوَصْلُ كُتَيْفَةٍ   وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامُ[2]

بدر — أما بدر : فهو موضع مشهور كانت به الوقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، قال الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، وقد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، وهو قد كُفَّ بصره ، وكانت قريش قد منعت النياحة على قتلى بدر ، تصنعا للجَلَد ، ولئلا يشمت بهم المسلمون ، فبينا هو ذات يوم إذ سمع نائحةً ، فقال لغلام له : اذهب لعله أُحِلّ لنا النحيب ، وقد بكت قريش على قتلاهم ، لعلى أبكى على أبي حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن

(١) المعجم ٦ / ١٠٢   (٢) فى هذا البيت من عيوب القافية الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروى

جوفى قد احترق ، فلما رجع الغلام عليه قال : إنما هى أعرابية تبكى على بعير لهـا أضلته ، فقال حينئذ :

أتبكي أن يضل لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السُّهُودُ
فلا تبكي على بَكْرٍ ، ولكن على بدرٍ تقاصرتِ الجُدُودُ
على بدرٍ سَرَاة بنى هُصَيْصٍ ومخزوم ورَهْط أبى الوليـدِ
وبَكِّي إن بكيتِ على عقيل وبكى حارثًا أسدَ الأسودِ
وبكّيهم ولا تَسْمَىْ جميعـا وما لأبى حكيمة من نديدِ
ألا قد ساد بعدهُمُ رجالٌ ولولا يوم بدر لم يسودُوا

وفى هذه الأبيات الإقواء ، وقال فى معجم البلدان[١] : و بدر جبل فى بلاد باهلة بن أعصر : وأنا لا أعلم فى تلك الناحية المتصلة ببلاد باهلة جبلا يقال له بدر ، إلا أني أعرف بئرا شرقىَّ الركى يقال لهـا « البدرية » عذبة الماء ، وظنى أنها نسبت إلى هذا الجبل المسمى بدرا ، لأنها واقعة فى جنوبى بلاد باهلة ، تقع من الحَصَاة فى الجنوب الشرقى ، على مسافة يوم .

كتيفة

وكتيفة أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار فى بلاد العرب يسمى كل واحد منها كتيفـة ، الأول : واقع فى بلاد بنى أسـد غربى سميراء يبعد عنها مسافة يوم ، والثانى : واقع فى بلاد غطفان فى أعلاها ، منقطع من أبْلىٰ ، وهو جبل صغير أسود يقع من أبلى فى الجهة الشرقيـة على مسافة نصف يوم ، وسيأتى الكلام على أبْلىٰ فى معلقة الأعشى ، والثالث : فى أسفل بلاد غطفان قريبَ مِهلٍ الوادى المعروف الذى يصب فى وادى الرمَّة ، وهو معروف بهذا الاسم ، ولم يذكر صاحب معجم البلدان غيره ، والرابع : واقع فى حمى ضَرِية قريبا من الجبال المحيطة ببلد ضَرِية وهو فى بلاد غنى بن أعصر ، والخامس : واقع غربى السحامية البيضاء ، يبْعُد عنها أقلَّ من مسافة نصف يوم ، وهو الذى ذكره امرؤ القيس فى أشعاره ، إلا الذى ذكر فى معلقته فإنه كتيفة مِهل[٢] ، وآية ذلك أنه ذكر الجبال المحيطة به فى بلاد غطفان كأبَانَين وقَطَن والجيمر ، والسادس : واقع فى بلاد عقيل بن عامر فى وَسَط عرق سبيع مقابلٌ لماء القنصلية مما يلى مطلع الشمس ، يبعد عنها مسافة يوم ، قال جابر الكلابى :

أيا نَخْلَتَىْ وادى كُتَيْفَةَ حبذا ظلالُكما لو كنت يوماً أنالُهَا
وماؤكما العَذْبُ الذى لو شربتهُ شفاء لنفسٍ كان طال اعتلالُهـا

(١) المعجم ٢ / ٨٩ .
(٢) قد مضي ذكره فى ص ٢٥ من هذا الجزء .

مُعَنًّى على طول الهُيَام غليلُه   بذكر مياهٍ ما يُنَال زلالُها

وكتيفات التى تقدم ذكرهن باقيات إلى عهدنا هذا بهذا الاسم ، وأماكنهن متباعدة ، والنخلات التى ذكرها الشاعر هى فى أسفل وادى الخرمة المعروف لبنى عقيل بن عامر ، وهذه القبيلة باقية إلى اليوم فى تلك الناحية فى الواديين : وادى الخرمة ، ووادى رنية ، يقال لهم سبيع ، ويقال للجماعات منهم إلى يومنا هذا : بنو عامر ، وسبيع : بطن من عقيل بن عامر .

عاقل أما عاقل فسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى أشعار زهير .

أرمام وأرمام : جبل معروف بهذا الاسم فى الجاهلية فى بلاد غطفان ، وهناك جبيلات صغار يقال لها اليوم « الرميم » واقعة عن وادى الرمة شمالا ، ولا أظن أنها هذا الجبل الذى ذكره امرؤ القيس ، وكانت به وقعة من أيام العرب يقال لها « يوم أرمام » قال الراعى :

تبصر خليلى هل ترى من ظَعَائنٍ   تجاوزن مَلْحُوبا فقلْنَ مُتَالِعا

جواعل أرمام شمالا وصارة   يمينا ، فقطَّعْنَ الوِهاد الدوافعا

وهناك موضع آخر يقال له « رمرم » وهو واقع فى ضفة الشعبة فى أعلى بلاد غطفان قريبا من أبلى ، ولا أعلم موضعا آخر يقارب اسمه هذا الاسم إلا هذين الموضعين اللذين ذكرتهما .

* * *

٧٠ — وقال امرؤ القيس :

فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا   وَأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ   يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ عَرْمَضُهَا طَامِي

ضارج أما ضارج الذى ذكره امرؤ القيس فى معلقته فهو واقع فى بلاد بنى أسد ، وقد تقدم الكلام عليه(١) وضارج الذى فى هذه الأبيات : من جبال الحجاز الواقعة فى طريق الشام ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم ، وقد أجمع الرواة على ما ذكرنا .

* * *

٧١ — وقال امرؤ القيس وقد توعده المنذر بن ماء السماء ونزل على المعلَّى أحد بنى تيم بن ثعلبة فأجاره ومنعه فقال :

كأنى إذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى   نَزَلْتُ عَلَى البواذخِ من شمام

فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى   بِمُقْتَدِرٍ وَلاَ الْمَلِكُ الشَّآمِي

(١) انظر ص ٢١ من هذا الجزء .

أما شمام : فهو جبل أسودُ عظيم له رأسانِ واقع فى جبال العرض ، وتنسب إليه هذه الجبال فيقال « عرض ابنى شمام » وهو من سواد باهلة ، ويسمي اليوم عند أهل نجد « أذنى شمال » ولا نشك أنه هو « ابنا شمام » قال جرير : شمام

عايَنْتَ مُشْعِلةَ الرعال كأنها طيرٌ تُغاوِلُ فى شَمَامِ وُكُورَا

ذكره صاحب معجم البلدان ، ومن [1] عباراته أنه جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، إذا رأيت جبال العرض رأيت قُنَّتَى ابنى شمام مرتفعتين على جميع الجبال التى حولها ، قال لبيد ابن ربيعة وهو يرثى أخاه أربد بن قيس ، وهو الذى دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلته صاعقةُ رعدٍ ، وهو أخو لبيد لأمه ، فقال يرثيه :

وفتيانٍ يَرَوْنَ المجدَ غُنْماً صبرت بحقهم لَيْلَ التِّمَامِ

فودِّعْ بالسلام أبا جرير وقَلَّ وداعُ أربَدَ بالسلام

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابنَىْ شَمَامِ ؟

وإلا الفرقَدَيْنِ وآلَ نعش خوالد ما تحدث بانهدام

وهذا الجبل العظيم واقع فى ضفة وادى الخنقة الجنوبية ، وعنده من القرى المعمورة « قرية نخيلان » وهى واقعة من ابنى شمام فى الجهة الغربية ، إذا كان المنادى فى ابنى شمام سمعه أهل تلك القرية .

* * *

٧٢ وقال امرؤ القيس :

كلاَّ ، يمينُ الإلهِ يجمَعُنَا شَيْءٌ وأخوالُنَا بَنُو جُشَمَا

حَتَّى تَزُورَ الضِّبَاعُ مَلْحمَةً كأنَّهَا مِنْ ثَمُودَ أَوْ إرَمَا

ثمود ، وإرم : قد أطال أهل التفسير على ذكرهما .

* * *

٧٣ — وقال امرؤ القيس :

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ حَدِيثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّي فَأَنْعَمَا

فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بَعِيدٍ مَآبُهُ أَبِنْ لِي وَبَيِّنْ لِي الْحَدِيثَ الْمُجَمْجَمَا

فَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! عَمْرٌو وَكَاهِلٌ أَبَاحُوا حِمَي حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلَمَا

---

(١) المعجم ٥ / ٢٩٢ .

صيلع صَيْلع : موضع ، وأظنه فى جهة اليمن ؛ لأن الرواة ذكروا أنه ورد الخبرُ على امرىء القيس بمقتل أبيه حين قتله بَنُو أسد وهو فى اليمن ، قال فى معجم [١] البلدان : صيلع : موضع ، واستدل ببيت امرىء القيس المذكور .

* * *

٧٤ — وقال امرؤ القيس :

عَلَى هَيْكَلٍ يعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أفانِينَ جَرْيٍ غَيْرَ كَزٍّ وَلا وَانِ
كتَيْسِ الظِّبَاءِ الأعْفَرِ انْضَرَجَتْ لَهُ عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ شَمارِيخِ ثَهْلَانِ

إلى أن قال :

وَمَجْرٍ كَغُلَّانِ الأُنَيْعِمِ بَالِغٍ دِيَارَ العَدُوِّ ذِي زُهاءٍ وأرْكَانِ

ثهلان ثهلان : جبل عظيم أسود فى عالية نجد ، ومن الرواة من ألحقه بسواد باهلة ، ومنهم من قال : ثهلان جبل لبنى نمير فى الزمن القديم ، وهو أصح ؛ لأنه واقع فى بلاد بنى عامر بن صَعْصَعَة ، و بنو نمير هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وفيه أشمار كثيرة ، قال جحدر اللص ، وقد ذكر ثَهْلَانَ والنير ، والنير باقٍ على اسمه إلى هذا العهد :

ذكرتُ هندًا ، وما يُغْنِي تذكُّرها والقوم قد جاوزوا ثهلَانَ والنِّيرَا
على قلائص قد أفنى عرائكها تكليفُنَاهَا عريضاتِ الفَلَازُورَا

والنِّير : مقابل لثهلان فى الجهة الغربية، بينهما مسافة يوم ، ولونه كلونه ، وقال محمد بن إدريس ابن أبى حَفْصَةَ اليمامى :

وَلَقَدْ دَعَانَا الخَثْعَمِيُّ فَلَمْ يَزَلْ يَشْوِى لديه لنا العبيطَ وينشلُ
من لحم تامكة السَّنامِ كأنها بالسيف حين عَدَا عليها مجدل
ظَلَّ الطُّهاة بلحمها وكأنهم مستوثبون قطار نمل ينقل
وكأن دَمْخَ كبيره ، وكأنما ثَهْلَانُ أصغرُ بيدتيه ويَذْبُلُ
وكأن أصغر ما يدهده منهما فى الجو أصغر مالديه الجندل

وقال الفرزدق :

إن الَّذِي سَمَكَ السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزُّ وأطول
بيتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ومُجَاشع وأبو الفَوَارِسِ نَهْشَل

---

(١) المعجم ٥ / ٤٠٦ وذكر أن فيه ورد الخبر على امرىء القيس بمقتل أبيه حجر .

فادْفَعْ بكفك إن أردتَ بناءنا ثَهْلاَن ذا الهَضَبات هل يتحلحل

وثهلان باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم ، ومنهم من يبدل الثاء ذالا فيقول « ذهلان » له قِمم عالية طوله من الشمال إلى الجنوب أكثر من مسافة يوم ، ومن الشرق إلى الغرب أقل من مسافة يوم ، والجبيلات المحيطة به من جهة الشرق : تيماء ، وأم نخيلة ، والحذنى ، ومجيرة إن أفردت وإن جمعت فمجيرات لأنها هضبات متفرقة ، والهضيب ، والمصلوخة ، والقنينة ، وأما أبو دخن وشطب: فهما واقعان عند طرفه الشمالى منقطعان منه ، وكلها موجودة فى عهدنا هذا بهذه الأسماء .

أما « مجيرات » فهذا اسمها الجاهلى ، و « الحذنى » كان يقال له فى الزمن القديم « حذنّة » قال محرز بن المكعبر الضبى وهو شاعر جاهلى :

دَارَتْ رحَانَا قَلِيلاً ثُمَّ صبحهم ضرب تصَيِّحُ منه قلة الهـــام

ظَلَّتْ ضِبَاعُ مجيراتٍ يَلُذْنَ بهم وألحمهنَّ منهم أىَّ إلْحَامِ

حتى حُذُنَّةُ لم تترك بها ضَبُعاً إلا لها جَزَر من شِلْو مِقْدَامِ

ظلت تدوس بنى كعب بكَلْكَلِهَا وهَمَّ يومُ بنى نَهْدٍ بإظلام

إذ خَبَّرت مَذْحِج عنا وقد كذبت أن لن يروع عن أحسابنا حامى

فِدًى لقومىَ ما جَمَّعتُ من نشب إذ لَفَّتِ الحربُ أقواما بأقوام

وحُذُنَّة ومجيرات : باقيتان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، حذنة : واقعة بين ثهلان ومجيرة ، وهى جبل طويل أسود ، وهو صغير المنظر ، ومجيرات : هضبات حُمْر متفرقة تقع من حذنة فى مطلع الشمس على مسافة ساعتين الماشى على قدميه ، وأما مياهه الخارجية منه فى جهة الشرق فهى : دلعة ، والرقايع ، ومضلعة ، والشعراء : قرية عامرة إلى يومنا هـذا ، وهى معروفة فى الزمن الجاهلى بهذا الاسم ، قال الشاعر :

* خَفَّ القطين من الشعراء وارتحلوا *

أما صـاحب معجم البلدان فلم يذكرها ، وقد ذكرها الهَمْدَانى فى « صفة جزيرة العرب » لما أتى على ذكر ثهلان ، قال : ومن مياهه : الريان ، والشعراء ، والحسى ، وأما مياهه الداخلة فى وسط الجبل فهى : المطيوى ، والركية ، والمزيرع ، والســدرية ، والشطبة ، والريان ، والمنجور ، والقليب ، والشبرمية : وادٍ عامر فيه مزارع ونخيل وقصور . والريان الواقع فى ثهلان بهذا الاسم هو الذى يقول فيه جرير :

يَاحَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا

وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَة تأتيك مِنْ جَبَلِ الرَّيَّان أَحْيَانَا

الريان وأنا أعرف بهذا الاسم فى بلاد العرب ثلاثة أودية : أولها الواقع فى ثهلان ، وثانيها الواقع بين غول وطخفة ، وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله فى معلقة لبيد ، والثالث : يصب فى واد الرمة . وأما الجبال المحيطة به من جهة الغرب منقطعةً منه فهى: ذريع ، والخوّار ، وأبو حـك ، ونطاق والأسودة ، وقنيفذة ، وكويكب . والخوّار معروف بهذا الاسم من قديم ، قال الشاعر[1] :

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالطِّعانِ نعامنا جنوبا عن الخوّار فى الدمث السهلا

بِكُلِّ كُمَيْتٍ مُجْفَرِ الدفّ سابح وكُلِّ مِزَاقٍ وردةٍ تملك النّكلا

وهو على هذا الاسم إلى يومنا هذا ، ونطاق : اسم قديم جاهلى ، قال ابنُ مقبل :

ضَحَّوا على مجل ذاتَ النطاق ، فلم يبلغ ضحاؤهم همى ولا شجنى

وقال ابن مقبل أيضا :

خلدت ولم يخلُد بها مَنْ حَلَّهَا ذات النطاق فبرقة الأمهال

قال فى اشتقاق الأسماء : سمي بنطاق لأن فيه برقة فى أسفله مثل النطاق ، فسمى بها ، وهو بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

والأسودة هى التى قال فيها أبو عمير الجرمى :

ألا ما لعينى لاترى أسْوَدَ الحمى ولا جبلَ الأوشال إلاّ استهلّتِ

غَنِينَا زماناً باللّوى ثم أصبحت براقُ اللّوى من أهلها قد تخلّتِ

وقلت لسلاّم بن وهب وقد رأى دموعى جَرَتْ من مقلتىَّ فذرّتِ

وشدى ببردى حُشْوَةً ضبثت بها يدُ الشوق فى الأحشاء حين أجزألّتِ

ألاَ قَاتَلَ اللهُ اللِّوَى مِنْ محلة وقاتل دنيانا بها كيف ولّتِ

ولم نورد هذه الأبيات إلا لأنه عطف جبل الأوشال على هذا الجبل الأسود ، وجبل الأوشال : هو جبل ثهلان لأنه كثير القلات والأوشال ، وقلّ أن تجد فيه موضعا خاليا من الماء . وذريع : كانت تسمى فى الزمن القديم « ذراعان » وهي واقعة فى بلاد بنى عامر بن صعصعة ، إذا خرجت من ماء القاعية قاصدا الرياض وأجزت وادى طينان فانظرها مما يلى حجاجك الأيمن ، قالت امرأة من بنى عامر بن صعصعة[2] .

(١) البيتان لكثير عزة ، وقد رواهما ياقوت (٣ / ٤٧٣) ورواية البيت الأول عنده :

ونحن منعنا من تهامة كلها جنوب نقى الخوار فالدمث السهلا

وكذا هى فى ديوان كثير ٢ / ١٨ ، ومجفر الدف : واسع الجنب ، وكل مزاق : أراد فرسا سريعة تكاد تتمزق من سرعتها . (٢) روى ياقوت هذه الأبيات ٤ / ١٩٢ .

سَقْياً ورعيا لأيام تشوقنا من حيث تأتى رياح الهيف أحيانا
تبدو لنا من ثَنَايا الضمر طالعة كأن علامها جلان سيجانا
هيف يلذ لها جسمى إذا نسمت كالحضرمى هَفَا مسكا وريحانا
يا حبذا طارق وَهْناً ألمّ بنا بين الدراعين والأخراب مَنْ كانا
شبهت لى مالكا يا حبذا شَبَهاً إما من الإنس أو ما كان جنانا
ماذا تذكر من أرض يمانية ولا تذكر من أمسى بجوزانا
عَمْداً أخادع نفسى عن تذكركم كما يخادع صاحى العقل سكرانا

وجوزان : موضع فى اليمن ، ويمكن أنه جيزان ، وذكر الرواة عن قنيفذة أنهـا موضع لنمير ابن عامر ، وهى فى بلاد نمير ، وهى على اسمها القديم لم تتغير .

كويكب

وكويكب : جبل صغير أحمر على ضفة الرشـا الغربية ، بين شهلان والخوّار ، وهذا اسمه القديم وبه يوم من أيام العرب ، وقُتل عند هـذا الجبل زيادة بن زيد بن مالك الحارثى ، قتَلَه هُدْبة ابن خَشْرَم العُذرى فقال ابنه مِسْور بن[1] زيادة :

أبعد الذى بالنّعف نعف كويكب رهينة رَمْسٍ ذى تُراب وجندلِ
أذَكّر بالبُقْيا على مَنْ أصابنى وبقياى أنى جاهد غير مُؤْتَلِ
فإن لم أنَلْ ثأرى من اليوم أوغدٍ بنى عمنا فالدهر ذو مُتَطَوّلِ
فلا يَدْعُنِى قومى ليوم كريهةٍ لئن لم أعَجِّل ضربة أو أعجّلِ
أنختُمْ علينا كلكل الحرب مرةً فنحن مُنيخوها عليكم بكلكل
يقول رجالٌ ما أصيبَ لهم أبٌ ولا من أخ : أقبل على المال تُعْقَلِ
كريمٌ أصابته ذئابٌ كثيرة فلم يَدْرِ حتى جئْن من كل مدخل
ذكرت أبا أروى فأسبلْتُ عبرةً من الدمع ما كادت عن العين تنجلى

وهو باقٍ على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وفيه أشعار كثيرة لشعراء الجاهلية . فأما مسور بن زيادة هذا فهو شاعر إسلامى فى عهد الدولة الأموية .

قال مؤلف هذا الكتاب : الحديث ذو شجون يجر بعضه بعضا : فى شهر صفر سنة

---

(١) روى هذه الأبيات فى ديوان الحماسه (انظر شرح التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين ١ ، ٢٣٩) وهذه الأبيات يقولها المسور بن زيادة حين عرض عليه سعيد بن العاص سبع ديات فأبى ، ويقال : إن قائلها هو عمه عبد الرحمن أخو زيادة القتيل .

١٣٦٥ وأنا في بلد الشعراء جاءنا صاحب السمو الملكي الأمير عبدُ الله آل فيصل بن عبد العزيز قانصا فأخذني صحبته أيام إقامته قريب بلد الشعراء ، وكنا نتجول في تلك الفيافي لاصطياد الظباء والحُبَارى . فبينا نحن عند كويكب يوما إذ عَرَضَ لنا ذئب فهممنا بقتله ، ولكني لم أر أعظم من خَلْقه وأقوى منه ، ومع الأمير عبد الله صاحب السمو الأمير فَهْد بن سعد ، ونحن في سيارة واحدة فكنا نرميه بالشوازن فتصيبه ولكنها لا تصيب مقاتله ، فأخذ صاحب السمو الأميرُ عبد الله بندقية من النوامس ورماه بواحدة ، فأنفذ قلبه ، فخر على وجهه قتيلا عند كويكب عند مقتل زيادة بن زيد الحارثي .

الأنيعم أما الأنيعم فهو معروف بما يقرب من هذا الاسم إلى يومنا هذا ، يقال له اليوم «وادي النعيم» موقعه في القطعة الجنوبية من نجد ، في أرض يقال لها اليوم « العبلة » إذا كنتَ قاصداً الغربَ وأجزت جبال البديعة الماء المعروف في أعلى نجد ، وهي الجبال التي يقال لها المقر ، ثم أجزت كثيبا يقال له البشارة فيه جبل صغير ؛ خرجتَ إلى وادي النعيم ، وظني أن سيله يصبُّ في وادي خنثل الوادي المعروف الواقع بين بلد سبيع بن عامر و بلد عتيبة في يومنا هذا ، والنعيم يتجه سيلُه إلى جهة الشمال جاعلا جبالَ البديعة وأكثبةَ البشارة وجبال الحدث وما يليها من الهضاب عن يمينه حتى يصب في وادي خنثل أو يقرب منه ، ووادي خنثل معروف بهذا الاسم من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا ، وذكروا أن سعد بن صبيح النهشلي نزل على مربع بن وعوع بن ثمامة الكلابي في وادي خنثل المذكور ، وغاب مربع يستعذب لأهله الماء ، فلما رجع إلى أهله وجد سعد بن صبيح حدثته نفسه أن يفجر بزوج مربع ، فأخبرت مربعا ، فأخذ مربع السيف وقتل سعدا ، وقال عند ذلك(١) :

فزعت إلى سيفي فنازعتُ غمده ... حساماً به أثر قديمٌ مسلسل
فغادرت سعدا والسباعُ تنوبه ... كما ابتدر الوُرّادُ جَمّةَ مَنْهَلِ
دعا نَهشَلاً إذ حازه الموت دعوةً ... وأجلين عنه كالحُوَار المجدَّل
فإنك قد أوعدتني غضَبَ الحَصَى ... وأنت بذات الرِّمْثِ من بطن خَنْثَلِ
وقلت لأصحابي النَّجَاء فإنما ... مع الصبح إن لم تَسْبِقُوا جمعُ نهشل
فأصبحن يركُضْنَ المحاجن بعدما ... تجلى من الظلماء ما هو منجلي

وقال الفرزدق في ذلك ، لأن سعد بن صبيح ابنُ عم الفرزدق :

(١) ارجع إلى هذه القصة وأبيات مربع وأبيات الفرزدق في معجم البلدان ٣ / ٤٦٩ .

بنى نَهْشَل هلاّ أصابت رماحُكم على خَنْشَل فيما يصادفن مربعا
وجدتم زماناً كانا أضعف ناصراً وأقربَ من دارِ الهوان وأضرعا
قتلتم به ثَوْلَ الضباع فغادرت مَنَاصِلُكم منه خصيلا مرصعا
فكيف ينامُ ابنَا صبيحٍ ، ومربعٌ على خنشل يُسْقَى الحليبَ المقنعا ؟

ومربع المذكور هو الذى قال فيه جرير وهو يهجو الفرزدق :

زَعَمَ الفرزدقُ أن سيقتلُ مربعاً أَبْشِرْ بطول سَلاَمة يا مربع

أما الأنيعم الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره فهو وادى النعيم الذى تقدم ذكره ، وقال حضرمى ابن عامر الأسدى :

لقد شاقنى لولا الحياء من الصبا لميَّةَ ربعٌ بالأنيعم دارِسُ
ليالى إذ قلبى بميّة مُولَع وإذ نَحْنُ جيرانٌ لها متلابس
وإذ نحن لم نَخْشَ النميمة بيننا ولو كان شىء بيننا متشاكس

وهو معروف عند عامة أهل نجد بوادى النعيم فى هذا العهد .

* * *

٧٥ — وقال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
دِيَارٌ لِهِنْدٍ وَالرَّبَابِ وَفَرْتَنَى لَيَالِينَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلاَنِ

قال ياقوت في معجمه [١] : بَدَلاَن موضع ، واستدل ببيت امرىء القيس ، وأنا لا أعرف بدلان
فى نجد موضعاً بهذا الاسم ، إلا أكثبة مُتَراكمة فى شرق الدهناء على طريق الأحساء بين مزعلات ورجم الشويعر المعروف على الطريق ، ويقال لتلك الأكثبة اليوم « بدالى » .

* * *

٧٦ — وقال امرؤ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِوَادِي الْمَلاَ عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

الملا : حسب تحديدهم واد معروف بين بلاد بنى أسد وبلاد طى فى أسافلها قريب الأجفر ، الملا
وأنا لا أعرفه بهذ الاسم فى هذا العهد ، قال الشاعر [٢] :

أَلاَ غَنِّيَانِي وارفَعَا الصوتَ بالمَلاَ فإن المَلاَ عندي يزيد المَدَى بُعْدَا

(١) المعجم ٢ / ٩٠ (٢) انظر هذه الشواهد فى معجم البلدان ٨ / ١٤٣ وما بعدها .

وقالت امرأة من العرب تهجو ميّ صاحبةَ ذى الرمة :

ألا حَبَّذا أهْلُ المَلاَ غير أنه إذا ذُكرت مَيٌّ فلا حَبَّذا هيا
على وَجْه مَيٍّ مسحة من ملاحة وتحتَ الثيابِ الخزىُ لو كان باديا

وقال كثير :

ورسومُ الديارِ تعرف منها بالمَلاَ بين تَغْلَمَيْنِ فريم

وقال عدى بن الرقاع العاملى :

نَسِيتُمْ مساعينا الصّوابحَ فيكمُ وما تذكرون الفضْلَ إلاّ توهُّمَا
فإن تَعِدُونا الجاهلية إنّنا أنُحْدِثُ فى الأقوام بؤسا وأنعما
فلا ذاك منّا ابنُ المعدل مرةً وعمرو بن هند عام أصْعَدَ موشما
يقود إلينا ابنَىْ نزار من الملا وأهْلَ العراق ساميا متعظما
فلمّا ظننا أنه نازلٌ بنا ضربنا وولّيناه جمعاً عرَمْرَمَا

والأشعار والأخبار فيه كثيرة ، وهو واقع فى القسم الشماليِّ من نجد .

* * *

٧٧ — وقال امرؤ القيس :

هُمُ أبلغُوا حَيَّ المُضَلَّلِ أهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانِ

العراق ونجران : معروفان للناس ، تغنى معرفتهما عن ذكرها .

* * *

٧٨ — وقال امرؤ القيس :

أَبَعْدَ الْحَارِثِ الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو لَهُ مُلْكُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَانِ
مُجَاوِرَةً بَنِي شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ هَوَانًا مَا أُتِيحَ مِنَ الْهَوَانِ

عمان — والعراق موضعه معروف ، وعمان : معروف بهذا الاسم إلى اليوم ، مقاطعة عظيمة تقع على الساحل الجنوبى للبحر الشرقى ، جنوبىَّ مقاطعة قطر .

* * *

٧٩ — وقال امرؤ القيس :

وَمَا هَاجَ هٰذَا الشَّوْقَ غَيْرُ مَنَازِلٍ دَوَارِسَ بَيْنَ يَذْبُلٍ فَرَقَانِ
وَغَرْبٌ عَلَى مَقْطُورَةٍ بَكَرَتْ بِهِ غَدَتْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْمَثَانِي

أما يَذْبل : فقد مضي الكلام عليه فى معلقته[١] .

فرقان وأما فرقان فأنا أعرف جبلا له رأسان يسمى فرقين يقع شمالى بلد نفى ، يراه مَنْ كان فى نفى بعينه ، وسيأتى الكلام عليه فى معلقة عبيد بن الأبرص إن شاء الله ، وأما فرقان من غير تصغير فإنى لا أعلم شيئا بهذا الاسم إلا طريقا يسلك من بلد المزاحمية الواقعة فى جو اليمامة إلى بلد الحريق الواقعة فى وادى بنى هزان فى بريك يقال له « مرقان » بميم فى موضع الفاء ، يقطع الماشى وادى الأوسط ، ووادى لحا ، ثم يقطع وادى نساح ، وهناك عقبة يقال لها « مرقان » تصعدها الجمال بأحمالها ، وقد طلعتها ، إذا جُزْت نساحا كانت عليّة على شمالك ، وإذا بلغت رأس هذه العقبة فأنت فى ظهر علية ، وإذا هبطت إلى الوادى الذى يبلغك الحريق فعليّة على شمالك ، فإذا رأيت نخيل الحريق اجتمعت الطرق طريق مرقان وطريق حنيظلة الماء المعروفِ فى أعلى وادى الحريق ، والماء المذكور هو أعلى الوادى ، وقد ذكر حنيظلة ياقوت فى معجمه[٢] وحددها وأصاب فى تحديدها برواية أبى حفصة اليمامى .

* * *

٨٠ — وقال امرؤ القيس :

أَلَا إِلَّا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى ... كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصِيُّ

وَجَادَ لَهَا الرَّبِيعُ بِوَاقِصَاتٍ ... فَآرَامٍ وَجَادَلَهَا الْوَلِيُّ

واقصة أما واقصة : فهى موضع قريب النباج ينزلها حاج البصرة ، ولا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، إذا كنتَ سائراً من البصرة جاعلا ذا طلوح الذى يقال له اليوم « الطليحى » وكثبانَ عالج التى يقال لها اليوم « العروق » عن يمينك ، والنباج التى يقال لها اليوم « الأسياح » عن يسارك وأجزت الأكثبة فواقصاتُ هناك ، ولعل اسمها اليوم قد تغير ، معروفة بجودة الصلابيخ ، وعند أهل نجد إذا أعجبهم الرجل بشجاعته ، أو فصاحته ، أو كرمه ، قالوا : هذا يتقد كأنه من صلابيخ[٣] واقصة .

---

(١) انظر ص ٢٤ من هذا الجزء (٢) المعجم ٣ / ٣٥٣ .

(٣) الصلابيخ : جمع صلبوخ ، وهو حجيرة صغيرة بين السواد والبياض وكانت العرب تستعمله لإشعال النار ، تضرب به الزناد ، والزناد : حديدة صغيرة معكوفة الطرفين تجعل بينهما خرقة فيها بارود ، فإذا ضرب بالصلبوخ على الزناد اشتعلت الخرقة ناراً ، وهو الذى شبه به عنترة بن شداد العبسى الذباب فى معلقته حين قال :

=

وهناك موضع آخر يقال له « واقصة » لايزال معروفا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد يكون هو الذى عناه امرؤ القيس ، وهو واقع بين الحجر والحفيرة فى مساكن عنزة الأيدى وقومه ، وهو ماء فى جبل أسود ، يقال للجبل « واقصة »، إذا كنت فى تيماء السموأل ونظرتَ إلى نجم سُهَيل نظرتَه يتّقد على جبل واقصة .

آرام وأما آرام فهى هضبة سوداء منقطعة من أبلى ، لا تزال بهـذا الاسم إلى اليوم ، وهى مجاورة لأروم ، وشابة : واقعة من أبلى فى الجهة الجنوبية الشرقية ، قال الشاعر :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا أروم وآرام وشَابة فالحضر
وهل تركت أبلى سواد جبالها وهل زال بعدى عن قنينته الحجر

وهي فى بلاد غطفان ، معروفة بهذا الاسم .

انتهى ما أمكن من توضيح الأماكن الواردة فى شعر امرىء القيس والله ـ سبحانه ! ـ ولى التوفيق والمعونة .

= هزجا يحك ذراعه بذارعـــه قدح المكب على الزناد الأجذم

وقبل أن تخرج صناديق الكبريت كان أغلب إشعال الناس فى نجد بالصلبوخ والزناد ، وهو المستعمل عند العرب إلى نصف القرن الثالث عشر ، فلما كثر الكبريت تركه العرب إلا شذاذا من العرب لا سيما الأعراب فإنهم لا يزالون يستعملونه إلى يومنا هذا .

٢

زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمى المُزَنِيّ

زهير بن أبي سلمى المزني

مات سنة ١٤ قبل الهجرة (سنة ٦٠٨ الميلادية) تقريبا

نذكر أولا المواضع الواردة فى معلقته :

١ — أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ
وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

حومانة الدراج

الحومانة : المضافة إلى الدَّراج لم أرها إلا فى شعر زهير ، قال فى معجم البلدان [1] : هى على طريق البصرة قريب القيصومة ، أما القيصومة : فهى واقعة فى الشمال من قرى النبــاج وأبعد قُرَى النباج من جهة الشمال : حنيظل . وأبو الدود ، والقيصومة . ويظهر لى أن حومانة الدراج قريب القرى التى ذكرنا ، ولكنى لم أعثر عليها بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهنـاك موضع فى الدهناء متاخم لهذه الناحية من النباج يقال لها اليوم « حومة النقيان » على الطريق من البصرة إلى النباج ، وفى عالية نجد مواضع بين وادى خنثل الذى مر ذكره فى أشعار امرىء القيس على ذكر الأنيعم [2] ، وبين ماء البقرة المشهورة قريب الحمـار ، والبقرة والحمار باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، ولها ذكر فى أشعار العرب ، وهى هضبات يقال لهـا الحوميات ، وربما قالوا لها « الحوم » وهى واقعة فى بلاد بنى عامر بن صعصعة ، قال لبيد بن ربيعة العامرى فى ذكر هذه المواضع :

وأضحى يقـترى الحومان فَرْدًا ... كنصل السيف حُودِثَ بالصِّقالِ

وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعرى هل تغـير بعدنا ... صرائم جَنْبَيْ مخيط وجنائبُهْ
وهل تَرَكَ الحومانُ بعدى مكانَهُ ... وهل زال من بطن الْجَوَىِّ تناضبُهْ
فوالله ما أدرى أيغلِبُنِى الهوى ... إلى أهل تلك الدار أم أنا غالِبُهْ
فإن أستطع أغلب ، وإن يغلبِ الهوى ... فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

ومن عبارات معجم البلدان أن حومانة الدراج فى منقطع رمل الثعلبية متصلة بالحَزْن من بلاد بنى أسد ، عن يسـار مَنْ خرج يريد [3] مكة ، واستدل ببيت زهير هذا ، وهذا التحديد قريب القيصومة التى مر ذكرها من قرى النباج ، قرية عامرة إلى هذا العهد ، وهى غير القيصومة

(١) المعجم ٣ / ٣٧١ . (٢) انظر ص ١٠٦ من هذا الجزء . (٣) المعجم ٣ / ٣٧٢ .

الماء المعروف فى القطعة الشمالية من الدو ، وتكون حومانة الدراج غربا عن العروق التى تعرف فى الزمن القديم برمل عالج .

وَعَطَفَ على حومانة الدراج المتثلم ، والمتثلم : معروف اليوم بما يقرب من هـذا الاسم ، يبعد عن الموضع الذى حسبناه حومانة الدراج مسافة يومين ونصف يوم ، وذلك أنى ـ كما أسلفت ـ لا أعلم اليوم موضعاً يقال له حومانة الدراج ، إلا ما ذكرنا عن حومة النقيان الواقعة فى الدهناء أو الحوم أو الحوميات الواقعين فى عالية نجد . المتثلم

أما المتثلم فهو جبل فى رأسه ثلوم كأسنان المشط ، يسمى اليوم « أبو ثلوم » مطل على الجِوَاء مما يلى صارة المعروفة من أجبلة الجِوَاء . . وقد غلط من قال إن المتثلم الذى ذكره زهير بالصمان واستدل بقول عنترة :

* بالحزن فالصمان فالمتثلم *

فإن هذا الذى ذكره عنترة ملزم ماء فى الصمان قد تثلم من السيل ، وليس بجبل ، قال الراجز :

* تَرَبَّعَتْ جَوًّ جُوَىً فالثَّلَمْ *

وفى الصمان مواضع يقال لها إلى اليوم « جويات الهمل » وأنت ترى الراجز عطف الثَّلَم على جويات ، وهذا الثلم هو الذى ذكره عنترة فى الصمان ، وهناك فى جهة وادى الخَرْج ماءة كان يقال لها قديما « الثلماء » ويقال لها في عهدنا هذا « الثليماء » قال فى معجم[1] البلدان الثلماء من نواحى اليمامة ، وقيل : الثلماء حفرة يحيى بن أبى حفصة باليمامة ، وقال يحيى فى ذلك :

حَيُّوا المنازل قد تقادم عهدُهَا بين المراخ إلى نَقَا ثَلْمائِهـا

وأما الذى ذكره عدى ابن الرقاع العاملى فى قوله :

فنكبوا الصوة اليسرى ومال بهم على الفراض فراض الحامل الثَّلِمِ

فهو الذى ذكره زهير فى شعره ، قال ابن الأعرابى[2] فى نوادره : المتثلم جبل فى بلاد بنى مرة . وقد أصاب، هو جبل فى بلاد بنى مرة لا يزال اسمه باقيا إلى يومنا هذا ، إلا أنه حرف تحريفا قليلا فقد صار يقال له اليوم « أبو ثلوم » وأنا أعرفه وقد رأيته .

وأما الرقمتان فهما فى جنوبى النباج المتصل بأرض الزانى ، وأنا لا أعرفهما بهـذا الاسم ، ولا يكونان إلا أكنتين أو قريتين أو روضتين ، وهما لا يعرفان بهذا الاسم اليوم ، ولكن ذكر زهير إياهما مقرونتين بحومانة الدراج والمتثلم يفيد أنهما قريب النباج ، وهما اللتان عناهما مالك الرقمتان

(١) المعجم ٣ / ٢١ . (٢) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٨١ .

ابن الريب المازني ، وكان من قطاع الطريق في صدر الإسلام ، ثم صحب سعيد بن عثمان بن عفان حين استعمله معاوية على خراسان ، ذكرها في قصيدته التي رثى فيها نفسه ، وذلك أن منيته جاءته فجأة ، فإنه خلع خفيه لوضوء صلاة الصبح ، فجاءت حية فدخلت في أحد خفيه ، فلما فرغ من صلاته ورجع إلى خفيه ليلبسهما أدخل رجله فنهشته الحية ، وكانت فيها منيته ، وقد أطال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه [١] الأغاني ، وذكر جملة من القصيدة التي فيها ذكر الرقمتين ، وهو من سكان تلك الناحية ، من سكان بلاد الزلفي ، والنباج والزلفي بينهما أقل من مسافة يوم ، قال مالك ابن الريب :

وللهِ دَرِّي حين أتْرُكُ طائعا بَنِيَّ بأعلى الرقمتين وماليا

وقال في قصيدته :

وإن بأطراف السمينة نسوة يشق عليهنَّ العشيةَ مابيا

والسمينة : قرية من قرى الزلفي ، معروفة بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقال لها « سمنان » ولا تكون الرقمتان إلا في تلك الناحية ، والأمكنة الذي ذكرنا أن حومانة الدراج والمتثلم والرقمتين بها لا يبعد بعضُها عن بعض أكثر من مسافة يومين ونصف .

* * *

٢ — وقال زهير : [٢]

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ وِرَادًا حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةُ الدَّمِ

جرثم أما جرثم : فهو باقٍ بهذا الاسم لم يتغير ، إلا أنهم أضافوا إليه ألفا ولاما وياء النسبة فقالوا : «الجرثمي» وهو واقع بين بلاد غطفان وبلاد بني أسد في طرف الجواء الشمالي الغربي ، بين سلمى الجبل الثاني من جبلَيْ طيء وبين جبل قطن .

* * *

٣ — وقال زهير :

بَكَرْنَ بُكُورًا واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ لِوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

(١) انظر كتاب الأغاني ١٩ / ١٦٣ .

(٢) في هذه الأبيات والتي بعدها تقديم وتأخير عما ورد في رواية التبريزي والزوزني للمعلقات .

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ ... عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ وَمُفْأَمِ
فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُــهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

وادى الرس أما وادى الرس : فهو البلد المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد فى أعلى القَصيم على ضفة وادى الرمة الجنوبية ، وقد أكثر الشعراء من ذكره زهيرٌ وغيره ، وبقاؤه بهذا الاسم يغنى عن ذكر الشواهد ، وهو بلد عامر كثير النخل والقصور والمزارع ، قالت ابنة مالك بن بدر الفزارى ترثى أباها لما قتله بنو عبس بمالك بن زهير العبسى [1] :

فلله عينا من رأى مثل مالك ... عَقيرةَ قوم أن جَرَى فَرَسَانِ
فليتهما لم يشربا قَطُّ شربةً ... وليتهما لم يرسَلاَ لرهان
أحل به أمسِ جنيدبُ نذرَهُ ... فأين قتيلٌ كان فى غَطَفَانِ
إذا سجعت بالرقتين حمــامةٌ ... أو الرسِّ تبكى فارس الـكتفان

انظر إلى الرقتين اللتين تقدم ذكرهما أوردتْهُما هذه المرأة وقَرَنَتْهُما بالرس ، فـكلها متقاربة كما تقدم .

القنان والقَنَان : الذى ذكره زهير واقع فى بلاد بنى أسد ، مجاور لبلاد غَطَفان بالقرب من سميراء ويقال له اليوم « القنينات » وهو جبل لبنى فَقْعس بطنٍ من بنى أسد قطاع طريق ، كانوا إذا جنوا جناية تحصنوا فيه خوفا من الولاة ، وفى ذلك يقول شاعر العرب :

ضَمِنَ القنانُ لفقعسٍ سوآتها ... إن القَنَان لفَقْعَس لمُعَمَّرُ [2]

وهو غير الذى ذكره امرؤ القيس بقوله [3]

* ومر على القنان من نفيانه *

وهو معروف بالقرب من سميراء ، وهو أيضاً غير الذى ذكره لبيد فى شعره وثنَّاه حين قال [4] :

وَوَلَّى كَنَصْل السيف يَبْرُقُ متنُه ... على كل إجْرِيًّا يشُقُّ الخمائلا
فنـكّب حوضى ما يهُمُّ بوردها ... بمر بصحراء القَنَانَيْنِ خاذلا

القنانان : فى عالية نجد الجنوبية ، معروفان بهذا الاسم إلى اليوم ، والقنان الذى ذكره زهير لا يبعد عن سميراء أكثر من نصف يوم .

السوبان أما السوبان فإنا نعرف موضعاً قريبا من الصمان مما يلى حفر أبى موسى الأشعرى ، لا يزال

---

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥٠ (٢) معمر فى هذا البيت معناه حصن وملجأ .
(٣) انظر ما مر ذكره فى ص ٣٠ من هذا الجزء . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٦٥ .

معروفا بهذا الاسم إلى اليوم ، وليس هو السوبان الذى عناه زهير فى شعره ، وهذا السوبان يقع قريبَ وادى الرمة فى جهته الشمالية ، وكانت به معركة بين بنى عبس و بنى حنظلة ، قال أوس بن حجر :

كأنهمُ بين الشميط وصارة وجرثم والسُّوبان خُشْبٌ مُصَرَّعُ

والشميط وصارة وجرثم : كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وهى واقعة من وادى الرمة فى شماليه ، والسوبان معروف اليوم بموضع يقال له السايبية أو السايبة فى طرف الموشم من جهته الشمالية الشرقية إذا كنت فيه ترى جبال صارة وجبال الجرثمى التى كان يقال لها فى الزمن القديم جرثم

* * *

٣ - وقال زهير :

رَعَوْا مَا رَعَوْا مِنْ ظِمْئِهِمْ ثُمَّ أَوْرَدُوا غِمَارًا تَسِيلُ بِالرِّمَاحِ وَبِالدَّمِ(١)

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

غمار الذى ذكره زهير واقع فى بلاد غطفان وهذا الاسم يطلق على موضعين : أحدهما : جبل محاذٍ بلد سميراء من الجهة الجنوبية على حدود بلاد بنى أسد ، ويقال له اليوم « الغمار » وهو جبل أحمر شاهق إلى السماء ، وتصطاد منه الصقور ، و به مياه كثيرة ، وهناك ماءة يقال لها « غمرة » وظنى أنها التى عناها زهير فى هذين البيتين ، وهى واقعة فى بلاد غطفان شمالى النقرة ، على مسافة يوم ، وقد أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُكَّاشة بن مِحْصَن حتى وصل غمرة ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى التى عناها الحارث بن ظالم المُرِّى بقوله : غمار

وإنى يوم غَمْرة غيرَ فَخْرٍ تَرَكْتُ النهب والأَسْرَى الرغابا

وهناك موضع يقال له «غمرة» فى الجهة الشرقية من نجد وهى التى عناها الشَّمَرْدل بن شريك بقوله

سقى جَدَثًا أعرافُ غمرةَ دونه ببيشة ديمانُ الربيع هَوَاطِله

وما بيَ حبُّ الأرض إلا جوارها صَدَاهُ وقولٌ ظنَّ أنى قائله

وهى التى عناها عمرو بن قياس المرادى فى قصيدته التى أولها :

ألا يا بَيْتُ بالعلياء بَيْتُ ولولا حُبُّ أَهْلِكَ ما أتيت

إلى أن يقول :

وحَيِّ نازلينَ وهم جميع حذار الشرِّ يوما قد دَهَيْتُ

---

(١) رواية التبريزى « غمارا تفرى بالسلاح وبالدم » .

وقد علم المعاشر غير فخر ... بأنى يوم غمرة قد مضيتُ
فوارسَ من بنى حُجر بن عمرو ... وأخرى من بنى وَهْبٍ حَمَيتُ
متى ما يأتنى يومى تجدْنى ... شبِعْتُ من اللّذاذة واستقيت

وهناك موضع رابع يقال له «غمرة» يقع فى جهة خيبر فى الجهة الشمالية الشرقية منها على مسافة يوم أو أكثر، والاسم لجبل أسود يقال له غمرة، وفيها ماءة قد وردتُها يقال لها «عقيلة غمرة» واقعة فى بلاد هتيم وعنزة، وأما التى ذكرها زهير فى قصيدته فهى واقعة فى بلاد غطفان كما ذكرنا وهي بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٤ — وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو ... وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالثِّقْلُ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَلْمَى سِنِينَ ثَمَانِيًا ... عَلَى صِيرِ أَمْرٍ مَا يُمِرُّ وَمَا يَحْلُو [(١)]

التعانيق والثقل

أما التعانيق والثقل فقد ذكر صاحب معجم البلدان [(٢)] التعانيق. وذكر أنها بالقرب من خيبر، وعند خيبر موضع يقال له «التعانق» وعطف زهير الثقل عليه ولا يكون إلا قريبا منه وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، والتعانيق أيضا : جبال حمراء واقعة فى كثيب جو اليمامة، تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥ — وقال زهير :

تَأَوَّبَنِي ذِكْرُ الأَحِبَّةِ بَعْدَ مَا ... هَجَعْتُ وَدُونِى قُلَّةُ الْحَزْنِ فَالرَّمْلُ
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مِنًى ... وَمَا سُحِقَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمْلُ [(٣)]

(١) على صير أمر : أى كنت على شرف أمر، ما يمر فأيأس، وما يحلو فأرجوه.

(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٩٣ وعبارة ياقوت «التعانيق موضع فى شق العالية» وأنشد بيت زهير، وذكر الثقل فى ٣ / ١٩ ولم يبين موقعه، بل لم يزد عن قوله «موضع من قول زهير» وأنشد البيت، ثم قال «ويروى الثجل» وذكر فى رسم الثجل ٣ / ٩ «الثجل اسم موضع فى شق العالية

(٣) سحقت — بالبناء للمجهول — يروى بالفاء وبالقاف، ومعناها جميعاً حلقت، تقول : سحف فلان رأسه، وسحقه، وسبته، وجلطه، وجلمطه، تريد حلقه، والمقاديم : أراد بها مقدم الرؤوس، والقمل : هو هذه الحشرة المؤذية، وأراد الشعر الذى فيه القمل. ويريد بهذه العبارة منى التى هى من مشاعر الحج وفيها يحلق الحاج أو يقصر

الحزن أما الحَزْن فهو موجود إلى هذا العهد بهذا الاسم ، وهو واقع شرقى العروق يقال له « الحزل » غيرت نونه لاما .

الرمل والرمل : هو رمل عالج المشهور الذى تداول ذكره الشعراء ، وفيه موضع يقال له « رمل مسهل » وهو قريب من تلك الناحية ، قال طفيل الغنوى والشاهد فيها على الرمل [١]

تظل المَدَارَى فى ضفائرها العُلى إذا أرسلت أو هكذا غير مُرْسَلِ
كأن الرِّعاث والشُّنُوسَ تصلصلت على خُشَشَاوى جأبة القَرْنِ مغزل
أملّت شهورَ الصيف بين إقامة دلولا لها الوادى ورمل مسهل

قال فى معجم البلدان [٢] : حزن هكذا غيرَ مضاف طريقٌ بين المدينة وخيبر ، ذكره فى مغازى الواقدى فى غزوة خيبر ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم اليوم فى ذلك الموضع الذي ذكره ياقوت.

* * *

٦ — وقال زهير :

تَرَبَّصْ فَإِنْ تَقْوِ الْمَرَوْرَاةُ مِنْهُمُ وَدَارَاتُهَا لَا تُقْوِ مِنْهُمْ إِذًا نَخْلُ
فَإِنْ تَقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنَّ مُحَجَّرًا وجِزْعَ الْحِسَا مِنْهُمْ إِذًا قَلَّمَا يَخْلُو

المروراة المروراة : موارد ابنى عبد الله بن غَطَفان ماؤها : مر ، والمرة ، والمرير ، وصبران : متواليةٌ واقعة شرقى اللعباء ، وهى قريب منها فى بلاد غطفان ، فسميت المروراة بذلك لأن المياه المحيطة بها كلها مرة المذاق ، منها : فج ، وفجيج ، وثرب ، والبدنة ، وأبو مغير ، والهميج ، و بلغة ، والماوية فجميع هذه المياه ماؤها مر المذاق ، وأسماؤها المذكورة كلها أسماء جاهلية ، وقد تقدم الكلام على المرير فى بيان المواضع الواردة فى شعر امرىء القيس .

الدارات وأما الدارات فهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قريب ماء الهميج فى شماليه الغربى ، وهى جبال حُمْر مُلْتحم بعضها ببعض كأنها حائط مبنى ، ولاتدخل إلا مع مسالكها ، وقد أجزت تلك الدارات مرارا كثيرة ، قطعتها فى سنة ١٣٣٧ ﻫ ستَّ مراتٍ ذهابا وإيابا ، وفى سنة ١٣٤١ ﻫ قطعتها مرتين ذهابا وإيابا ، وكانت هذه المرة آخر عهدى بتلك الناحية ، إذا سرتَ قاصداً المدينة تركتَ الماوية على يمينك وماء الهميج على شمالك ، فهناك ترى الدارات قريب الهميج ، وقد كنت آتيها من بلغة وأبيت بها ثم أنشر منها ، وأمر فى نهارى على بئر الزعفرانة ، وهى بئر حديثة عذبة الماء ، و إذا سرت منها قاصداً الغربَ وتركت جبلَ رَحْرَحَان على شمالك فهناك ترى وادى الحناكية

(١) انظر هذه الأبيات فى معجم البلدان ٤ / ٢٨٦ . (٢) المعجم ٣ / ٢٦٩ .

كأن الدوم فيه السفين المرسى فى سواحل البحر ، والدارات المذكورة يقال لها فى عهدنا اليوم « الديّر » ثم أضافوه إلى الهميج فقالوا « ديّر الهميج » والهميج من مياه المروراة ، وهى التى عناها زهير فى قوله « المروراة وداراتها » .

نخل — ونخل : باقٍ على اسمه إلى هذا العهد ، إذا سلكت الطريق الذى ذكرنا ، وطلعت على وادى الحناكية ، وتركت رَخْرَخان عن شمالك ، فمرج على يمينك وسر أقلّ من ساعة تصل إلى وادى نخل ، وفيهم من يصغره فيسميه « النخيل » وهو يصب فى وادى الحناكية ، يقع منها فى الجهة الشرقية . وقال زهير بن أبي سُلْمى فى هذا الموضع :

وإنى لَمُهْدٍ من ثَنَائِىَ مدحةً ... إلى ماجدٍ تُبْغَى لديه الفواضلُ

أحابى به ميتا بنخل ، وأبتغى ... إخاءك بالقيل الذى أنا قائل

محجر — أما محجر فقد مضى الكلام عليه فى أشعار امرىء القيس [١] .

الحسا — والحِسَا : باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو ماء جاهلى قريب من مياه المروراة ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، قال لبيد [٢] :

ويومَ أجازت قُلَّةَ الحزنِ منهمُ ... مناكبُ تعلو ذَا حِسًا وقَنَابِلُ

على الصَّرْصَرَانِيَّاتِ فى كل رحلة ... وسُوقٌ عِدَال ليس فيهنَّ مائلُ

وهو معروف عند عامة أهل نجد ، ويقال له اليوم « الحسو » وقد تقدم الكلام عليه [٣] على ذكر المريرة وذكرنا هذين البيتين على المريرة .

أيا نَخْلَتَىْ حسى المريرة هَلْ لنا ... سبيلٌ إلى ظِلَّيْكُمَا أو جناكما

أيا نخلتى حسى المريرة ليتنى ... أكون طَوَالَ الدهر حيث أراكما

وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسو عليا » وهو الذى ذكره زهير حين قال :

* وجزع الحسا منهم إذاً قلما يخلو *

* * *

٧ — وقال زهير :

لِمَنْ طَلَلٌ كَالْوَحْىِ عَافٍ مَنَازِلُهْ ... عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالرُّسَيْسُ فَعَاقِلُهْ

فَرَقْدٌ فَصَارَاتٌ فأَكْنَافُ مَنْعِجٍ ... فَشَرْقِىُّ سَلْمَى حَوْضُه فَأَجَاوِلُهْ

فَوَادِى الْبَدِىِّ فَالطَّوِىُّ فَثَادِقٌ ... فَوَادِى الْقَنَانِ جَزْعُهُ فَأَفَاكِلُهْ

(١) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء (٢) انظر المعجم ٣ / ٢٧٥ . (٣) انظر ص ٨٩ من هذا الجزء

الرس ، والرسيس ، وعاقل : ثلاثة أودية عظام تصب فى وادى الرمة ، وهن واقعات فى جهته الجنوبية .

الرس — أما الرس : فقد مضى الكلام عليه[1] عند بيان قول زهير * فهنَّ لِوَادِي الرسِّ كاليد للفم * وهو باق بهذا الاسم .

الرسيس — والرسيس : باقٍ على اسمه إلى هذا العهد .

عاقل — وعاقل : يقال له اليوم « العاقلى » يقع من الرس مما يلى رامة فى مطلع الشمس عنه ، يبعد مسافة نصف يوم عن الرس ، والرسيس يقع من الرس تحت مطلع سهيل ، يبعد عنه مسافةَ يومٍ ، قال القتال الكلابى[2] .

نظرتُ وقد جَلّى الدجى طامِسَ الصُّوَي ... بسِلْعٍ وَقَرْنُ الشمس لم يترجَّلِ
إلى ظُعُنٍ بين الرُّسَيْسِ فعاقلٍ ... عوامد للشِّيقَيْنِ أو بطن خَنْثَلِ
ألا حبذا تلك البلادُ وأهلُها ... لَوَ أنَّ غَدًا لى بالمدينة يَنْجَلِي

وقال الحطيئة :

كأنى كسَوْتُ الرحلَ جَوْنًا رَبَاعيا ... شَنُونًا تَرَبَّتْهُ الرسيسُ فعاقلُ

والرس والرسيس وعاقل كلها عامرةُ اليومَ ، ولعاقل شواهد يجتمع فيها بالرس والرسيس ، وله شواهد خاصة ، قال جرير[3] :

لعمركَ لا أنْسَى ليالىَ مَنْعِجٍ ... ولا عاقلٍ إذ منزلُ الحىِّ عاقلُ

وقال النابغة :

كأنى شددتُ الكورَ حين شددتُهُ ... على قارحٍ مما تضمَّنَ عاقلُ

وقال عميرة بن طارق اليربوعي :

لَمْ يَبْقَ مِنْ نَجْدٍ هَوًى غير أننى ... تُذَكِّرُنى ريحُ الجنوبِ ذُرَى الهَضْبِ
وأنى أحبُّ الرمثَ من أرض عاقلٍ ... وصوتَ القَطَا فى الطلِّ والمطر الضرب
فإن أكُ من نَجْدٍ سقى الله أهلَه ... بمنانةٍ منه فقلبى على قرب

وقال عبد الرحمن بن دارة :

نظرتُ ودورٌ من نَصيبِينَ دوننا ... كأن عَرِيبات العيون بها رُمْدُ
لكيما أرى البرقَ الذى أومَضَتْ به ... ذُرَى المزن عُلْوِيًّا وكيف لنا يَبْدُو

---

(١) انظر ص ١١٥ . (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥١ .

(٣) انظر هذه الشواهد فى معجم البلدان ٦ / ٩٧ .

وهل أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ صوتَ حمامةٍ   يميلُ بها من عاقلٍ غُصُنٌ مأْدُ
فإني ونَجْدًا كالقَرِينَيْنِ قَطّعَا   قُوًى من حِبالٍ لم يُشَدَّ لها عَقْدُ
سقى اللهُ نجداً من خليلٍ مُفَارِقٍ   عَدَانا العِدَى عنه وما قَدُمَ العهدُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى فى ذكر عاقل :

تمنّى ابنتاىَ أن يعيشَ أبوهما   وهَلْ أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ
ونائحتان تَنْدُبَانِ بعاقِلٍ   أخا ثقة لا عَيْنَ منه ولا أثرْ
وفى ابْنَىْ نِزار أسوةٌ إن جَزِعْتُمَا   وإن تَسْألاهم تُخْبَرَا منهمُ الخبر

وَرقْد، وصارات ، وأكناف منعج ، وشرقى سلمى ، حَوْضُهُ وأجاوله ، فأما صارات فقد سبق الكلام عليها فى الكلام على معلقة امرىء القيس [١] ، وهى باقية بهذا الاسم إلى اليوم ، إذا أفردتها قلت : صارة ، وإذا جمعتها قلت : صارات .

وصارة : اسم لهضبة سوداء ، وصارات : هضاب صغار متصلة بها ، وإليك بيتاً واحداً جمع ثلاثة مواضع ، وهو دليل على أنها مجتمعة قريب بعضها من بعض ، قال لبيد بن ربيعة [٢] :

فأجمادَ ذى رَقْدٍ فأكناف ثادقٍ   فصارة توفى فوقها فالأعابلا

وقال محمد بن عبد الملك الفقعسى :

سقى اللهُ حيا بين صارةَ والحِمَى   حمى فَيْدَ صوبَ المدْجِنات المواطِرِ
أمينَ ، وردَّ اللهُ من كان منهمُ   إليهم ، ووقَاهم صُرُوفَ المقادِرِ

وجميع هذه المواضع الذى ذكرها زهير كلها متصل بعضها ببعض .

منعج ومنعج : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرىء القيس وخلاصته أن منعجا جبال دخنة ، ودخنة : هجرة معروفة لبنى سالم من حرب ، وقد زال عنها اسم منعج ، ولا تزال أشعار العرب تروى فيه ، قال بعض الأعراب :

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج   إلىَّ وسَلْمَى أن يصوب سحابُهَا

رقد وأما رَقْد فاسمه قديم جاهلى ، قال الشاعر :

أحَقًّا عباد الله أن لَسْتُ سائرا   بصحراء شَرْجٍ فى مَوَاكِبَ أوْ فَرْدَا
وهل أرَيَنَّ الدهْرَ عبلاء عاقرٍ   ورَقْدًا إذا ما الآلُ شَبَّ لنا وقدا

وقال الصِّمَّة الأكبر :

---

(١) انظر ص ٢٧ من هذا الجزء .   (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٣١ .

جلبنا الخيل من تَثْلِيثَ حَتّى أصبنا أَهْلَ صاراتٍ فَرَقْدِ
ولم نَجْبُنْ ولم نَنْـكل، ولـكن لجمنام بـكل أشمَّ جَعْدِ

والشعراء يذكرون رقدا مع صارة، وثادق، وعاقل، ومنعج. وهذه المواضع كلها يُرَى بعضُها من بعضٍ: صارة ورقد وثادق هذه الثلاثة على ضفة وادى الرمة فى جهته الشمالية مما يلى أبانات، وأنا لا أعرف رقدا بهذا الاسم، إلا أنه فى تلك الناحية، وهناك موضع يقال له «وقط» وأظن أنه رقد المذكور تغيرت داله طاء وراؤه واوا.

الحوض — والحوض الذى ذكره زهير فى قوله:

* فشرقى سَلْمى حوضُه فأجاوله *

ما أظنه إلا ذلك الوادى الواقع هناك شرقى سلمى بين قرى القَصِيمِ الشمالية وقرى الجبل الجنوبية ويقال له اليوم «الحويض».

البدى — والبدىّ: يأتى الـكلام عليه إن شاء الله تعالى فى معلقة لبيد، لأن البدى: اسم يقع على واديين: أحدهما: الذى ذكره زهير فى قصيدته هذه، وهو فى طرف القَصيم الشرقى، والثانى: الذى ذكره لبيد فى معلقته وبائيته، وهو واقع فى بلاد بنى عامر بن صعصعة قريب دمخ.

الطوى — أما الطَّوِى: فـكل بئر مَطْوية يقال لها عند العرب «الطَّوِى».

ثادق — وثادق: ماء معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، وهو الآن عامر، فيه نخيل ومزارع، عمره جماعة من حرب يقال لهم البيضان، ورئيسهم ابن غميض، يصبُّ واديه فى وادى الرُّمَّة، يقع من أبان الأسود على مسافة نصف يوم فى جهته الغربية، قال الأصمعى: هو واد ضخم يفرغ فى وادى الرمة، قال عقبة بن سوداء [(١)]:

ألا يا لَقَوْمى للهموم الطَّوَارق وربعٍ خَلاً بين السَّلِيلِ وثَادِقِ

وقال الشاعر:

سقى الأربع الآطار من بطن ثادقٍ هزيمُ الـكلى جاشت به العين أملح

وقال عبد الرحمن بن دارة:

قضى مالكٌ ما قد قضى ثمَّ قَلَّصَتْ به فى سَوَادِ الليل وَجْنَاء عِرْمِسُ
فأضحتْ بأعلىٰ ثادقٍ فـكأنها مُحَالةُ غَرْبٍ تستمرُّ وتمرس

وثادق: كما ذكرنا غربى أبان الأسود.

ووادي القَنَان قد مضى الـكلام عليه فى معلقته [(٢)]

* * *

(١) انظر هذه الشواهد فى معجم البلدان ٣ / ٣. (٢) انظر ص ١١٥ من هذا الجزء.

٨ – وقال زهير :

عَزِيزٌ إِذَا حَلَّ الْحَلِيفَانِ حَوْلَهُ ... بِذِى لَجَبٍ لَجَاتُهُ وَصَوَاهِلُهْ [١]
يُهَدُّ لَهُ مَا دُونَ رَمْلَةِ عَالِجٍ ... وَمَنْ أَهْلُهُ بِالْغَوْرِ زَالَتْ زَلَازِلُهْ

عالج : رمال بين الفناج الذى يقال له اليوم «الأسياح» وبين شرق حائل ، جميعُ الأَكْثِبَةِ المتصلةِ فى تلك الناحية يقال لها : رمال عالج ، إذا أجازها الحاجُّ المتوجِّه من البَصْرة قاصداً المدينةَ يمر فى طريقه على فيد الماء المعروف فى شرقي سلمى ، وهذه الرمال لا تعرف بهـذا الاسم اليوم ، قال عبيد بن أيوب اللص [٢] : عالج

انظر فرِّخ جَزَاكَ اللّهُ صالحةً ... رأد الضحى اليومَ هل ترتاد أظعانا
يَعْلونَ من عالجٍ رملاً ويَعْسِفُه ... أخو رِمَالٍ بهـا قد طال ما كانا
إذا حَبَا عَقَد نَكَّبْنَ أصعبه ... واجْتَبْنَ منه جَماهيرا وغِيطانا

وقال أعرابى :

ألا يا بُغَاثَ الوحش هَيَّجْت ساكنا ... من الوَجْد فى قلبى أَصَمَّكَ صـائدُ
رَمَيْت سليمَ القلب بالُحزن فى الحشَا ... وما قلبُ من أشْجَيْتَ بالموت طاردُ
أفى كل نجدٍ من تلاد وعابرٍ ... بُغَامُ مَهَاةِ الوحش للقلب قاصدُ
أُتيحتْ لنا من كل مُنْعَرِج اللوى ... ومُتْنَا بها يوم العذيبين ناهدُ
براشق أكباد المحبين باللوى ... من الوحش مرتاب المَذَانب فَارِدُ
فياراشقات العين من رمل عالج ... متى منكمُ سِرْبٌ إلى الماء وَارِدُ
فما القلبُ من ذِكْرَى أميمةَ نازعٌ ... ولا الدمعُ مما أضْمَرَ القلبُ جامدُ

أما الغور : فهو مشهور فى كتب التاريخ ، واسمه باق إلى هذا العهد . الغور

* * *

٩ — وقال زهير فى قصيدة مَدَح بها هَرِمَ بن سِنان المرى ومطلعها :

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَانفَرَقَا ... وَعُلِّقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاء مَا علقَا

إلى أن قال :

بِجِيدِ مُغْزِلَةٍ أَدْمَاء خَـاذِلَةٍ ... من الظِّبَاءِ تَرَاعِى شَادِناً خَرِقَا

(١) هذه رواية الأعلم ورواه ثعلب « إذا حل أحياء الأحاليف حوله » .
(٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٩٩ .

كَأَنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ   مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ لَمَّا يَعْدُ أَنْ عَتَقَا
شَجَّ السُّقَاةُ عَلَى نَاجُودِهَا شَبِماً   مِنْ مَاءِ لِينَةَ لاَطَرْقاً وَلاَ رَنَقَا
مَازِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حتى إِذَا هَبَطَتْ   أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

لينة أما لينة : فهى آبار ماؤها عَذْب لا تزال باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، كانت فى الزمن القديم المنزلَ الرابعَ لقاصد مكة من واسط ، وهى عامرة ، وبها مركز وقصر منيع لحكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حفظه الله ، وبعض من يتوجه منها يسلك حائلا ، قال الأشهب ابن رُمَيْلَة (١) :

ولله دَرِّى أَىُّ نظرة ذى هَوًى   نظرتُ ودونى لِينَةٌ وكَثِيبُهَا
إلى ظُعُنٍ قد يَمَّمَتْ نَحْوَ حائِلٍ   وقدعَزَّ أرواحَ المصيفِ جنوبُهَا

وكانت فى الزمن القديم من مياه طيء ، وتخالطهم فيها بنو أسد ، وهى صالحة للابل ، قال مضرس الأسدى :

لِمَنِ الديار غشيتها بالإثمدِ   بصفاء لينة كالحمام الرُّكَّدِ
أمست مساكِنَ كل بيض راعةٍ   عَجِلٍ ترَوُّحُهَا وإن لم تطرد
صفراء عارية الأخادع رأسُهَا   مثل المُدُقِّ وأنفها كالمسرد
وسخال ساجِيَةِ العُيون خَوَاذلٍ   بجماد لينة كالنَّصَارى السُّجَّدِ

راكس وراكس : باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يقع فى شرق بلغة جبلٍ ممتد أسودَ ليس بالرفيع به أبْرَقٌ ، على جنبه رمل وأحجار ، وقد أضيف إليه هذا الأبرق فقيل « أبرق راكس » وهو يبعد عن بلغة أقل من مسافة يوم ، ويقع عن الماوية مما يلى مطالع الشمس أكثر من مسافة يوم ، وقد قيلت فيه أشعار كثيرة ، وقد ذكرنا قسما منها ، قال عباس بن مرداس السلمى (٢) :

لأسماء رَسْمٌ أصبح اليومَ دارسا   وأوحش إلا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا

وقال داود بن عوف أخو عامر بن ربيعة :

وأنا ذَمَمْنَا الأعلَمَ بنَ خُوَيْلد   وحلمَ عقالٍ إذ فقدْنا أبا حَرْبِ
إذا ما حللتم بالوحيد وراكس   فذلكَ نَصْرٌ طائشٌ عن بنى وَهْبِ

ورحرحان الذى ذكره عباس بن مرداس السلمى يقع غربا عن راكس مسيرة يومين .

* * *

(١) انظر المعجم ٧ / ٣٤٧ . (٢) انظر المعجم ٤ / ٢٠٩ .

١٠ — وقال زهير :

دَانِيَةٌ مِنْ شَرَوْرَى أوْقَفَا أَدَمٍ ... يَسْعَي الْحُدَاةُ عَلَى آثَارِهِمْ حِزَقَا

كأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا

أما شَرَوْرى فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على الهضب الذى يقال له هضب شرورى . شرورى

وأما أدم فيقال لها اليوم « أدمى » وهى تقع فى الشمال الغربى من ضرغد بينهما مسافة يوم أدم
فى مقطع الحرة ، وهى حرة منيمة ، قال القتال الكلابى وقد توعّده مروان بن الحكم [1] :

وأرسَلَ مروانُ الأميرُ رسولَه ... لآتيَهُ إنّى إذاً لمُضَلَّلُ

وفى ساحة العنقاء أو فى عَمَايَة ... أوالأُدْمِىّ من رَهْبَةِ الموتِ موئِلُ

وقال أبو سعيد السكرى فى قول جرير :

ياحَبَّذَا الخَرْجُ بين الدَّامِ والأُدْمِىّ ... فالرِّمْث من بُرْقَة الروحان فالغرفُ

الدام والأدمى فى بلاد بنى سعد .

وقال أبو خراش الهذلى :

ترى طالب الحاجات يَغْشُونَ بابَه ... سِراعا كما تهوى إلى أُدْمِىّ النَّحْلُ

تنبيه — ونريد أن ننبه القارىء إلى أن الشاهد الذى أوردناه للقَتَّال الكلابى إنما عنى به أدمى التى ذكرها زهير ، وذلك أنها حرة منيمة . وأما التى ذكرها جرير فهى واقعة فى جبال اليمامة ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ، وأما التى ذكرها أبو خراش الهذلى : فهى من جبال الطائف ، ويقال لها اليوم « أدمة » إذا خرجت من بلد الطائف وأجزت قصر شبرا سالكا طريق الحوية العائدة لسمو الأمير فيصل آل عبد العزيز ، وتركت بستان سمو الأمير عبد الله على شمالك ؛ فإنها حينئذ على يمينك يحفها الطريق [2] .

* * *

---

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٥٧ وما بعدها .

(٢) ثم إنى بعد ما ذكرت « أدم » وحددت المواضع التى يطلق عليها هذا الاسم وجدت رجلا خبيراً عارفا ببلاد غطفان ومياهها وجبالها ، فسألته عن أدمى ، فقال : هى هضبة حمراء ملمومة ليست بالرفيعة ، تقع من جبل رخام فى الشمال الغربى على مسافة يوم أو أقل ، وهضب شرورى الذى يسمى اليوم هضب القتاد يبعد عنها إلى الجنوب مسافة يوم ، وهى التى ذكرها زهير ، وهى واقعة فى قلب بلاد غطفان ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، المؤلف .

١١ — وقال زهير :

رَدَّ الجِمَالَ قِيَانُ الحَيِّ فاحْتَمَلُوا ... إلَى الظَّهِيرَةِ ، أمْرٌ بَيْنَهُمْ لَبِكُ [(١)]

ضَحَّوْا قَلِيلاً قَفَا كُثْبَانِ أسْنُمَةٍ ... وَمِنْهُمُ بِالقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكُ [(٢)]

أسنمة — أما أسنمة : فقد أجمع أهلُ الأخبار أنها لم تسم أسنمة إلا لأن الكُثْبَان فيها كأنها أَسْنِمَة الإبل ، وهى واقعة على طريق الحاج بين البصرة والمدينة ، وهى آخر العروق الغربية من جهة سَلْمَى ، وهناك موضع فى تلك الجهة يقال له فى هذا العهد « أسنمة نواظر » وهى التى عناها زهير ، ويدل على أنها فى تلك الناحية البيتُ الذى سنورده بعد هـذه العبارة ، وأسنمة هى التى عناها ربيعة بن مقروم [(٣)] بقوله :

لمن الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ ... بجنوبِ أسنمة فقُفِّ العُنْصُلِ

دَرَسَت معالمها فباقى رسمها ... خَلَقٌ كعنوان الكتاب المحول

دار لسُعْدَى إذ سُعَاد كأنها ... رَشَأٌ غضيضُ الطَّرف رَخْصُ المفصل

وأما أسنمة الواقعة فى بلاد بنى تميم فى رمالها الشرقية التى يقول فيها جرير :

قال العواذلُ : هل تنهاك تَجْرِبة ... أما ترى الشيبَ والإخوان قد دَلَفُوا

أم ما تُلِمُّ على رَبْعٍ بأسنمة ... إلاَّ لعينك جارٍ غَرْبُه يَكِفُ

ما كان إذ رَحَلُوا من أرض أسنمة ... إلا الذَّميلُ لها ورد ولا عَلَفُ

فأسنمة هذه غير التى ذكرها زهير .

القسوميات — وأما ماء القَسُوميات فأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم ، والمياه الواقعة بين أسنمة وسَلْمَى كثيرة قال ياقوت فى معجمه [(٤)] على القسوميات : إنها ثمد فيها رَكَايا كثيرة ، و بيت زهير هـذا يدل على أنها مياه ، ألا ترى إلى قوله :

* ضحوا قليلا قَفَا كثبانِ أسنمة *

فإن هذه العبارة تدل على أن أسنمة خالية من الماء ، ثم قال وهو عجز البيت :

* ومنهم بالقَسُوميَّات معترك *

أراد اعتركوا على الماء وشرابه وسقى إبلهم منه ، استعار هذه اللفظة من معركة القتال ، ولما ذكر ياقوت القسوميات فى معجمه لم يورد عليها من الشواهد إلا بيت زهير .

---

(١) فى الديوان « رد القيان جمال الحى » (٢) هذه رواية الأصمعى ، وروى ثعلب وياقوت « وعرسوا ساعة فى كثب أسنمة » (٣) انظر معجم البلدان ١ / ٢٤٦ (٤) المعجم ٧ / ٩٠

١٢ — وقال زهير ، وهو الذى بعد هذا البيت :

ثُمَّ استَمَرُّوا وَقَالُوا : إِنَّ مَشْرَبَكُمْ   مَاءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمَى فَيْدُ أَوْرَكَكُ
يَغْشَى الْحُدَاةُ بِهِمْ وَعْثَ الْكَثِيبِ كَمَا   يُغْشِي السَّفَائِنَ مَوْجُ اللجَّةِ الْعَرَكُ (١)

فيد — وفيد : بلد قديم جاهلى ، وهو باقٍ على اسمه هـذا إلى هذا اليوم ، يقع شرق سَلْمَى مما يلى مطلع الشمس ، منقطع من سلمى ، فيه نخيل ومزارع ، وقد ذكروا فى تقسيم الطريق بين مكة والكوفة أنها فى نصف المسافة بين مكة والكوفة ، ويضع حاجُّ العراق فيها أثقالهم حتى يرجعوا إليها ، قال الزجاجى : سميت بفيد بن حام بن نوح ، وأهلها فى الجاهلية ثلاثة أثلاث : ثلث من العُمريين ، وثلث لآل أبى سلامة من هَمْدَان ، وثلث لبنى نَبْهَانَ من طى ، وهى من ملحقات جبلى طى ، ولا يحتاج إلى شواهد على هذا الاسم ، وينسب إلى هذا البلد محمد بن يحيى ابن ضريس الفَيْدى ، ومحمد بن جعفر بن أبى مواتيه الفيدى ، وأبو إسحاق عيسى بن إبراهيم الفَيْدى الكوفى وهو عالم جليل ، سكن فيدا ، يروى عنه موسى الجُهَنى ، روى عنه أبو عبد الله عامر ابن فزارة الكوفى وغيره .

ركاك — ورَكَك : وادٍ عظيمٌ باقٍ بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، يصب من جبل سلمى فى جهته الشرقية مما يلى الشمال ، كثير المياه ، قال عَبيد بن الأبرص الأسدى (٢) :

تَغَيَّرت الديارُ بذى الدَّفِينِ   فأودية اللِّوى فرمالِ لِينِ
تَبَيَّنْ صاحبى أترى حُمُولا   تشبه سيرها عَوْم السَّفين
جعلن الفَلْج من رَكَكٍ شَمالاً   ونَكَّبْنَ الطَّوِىَّ عن اليمين

ورَكَك معروف عند أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا اليوم .

* * *

١٣ — وقال زهير يصف فرسا :

كَأَنَّهَا مِنْ قَطَا الأَجْبَابِ حَلَّأَهَا   وِرْدٌ ، وَأَفْرَدَ عَنْهَا أُخْتَهَا الشَّرَكُ (٣)

(١) فى الديوان « يغشى الحداة بهم حر الكثيب » والعرك ـ بفتحتين ـ الملاحون ، ويروى بكسر الراء وهو المتلاطم الذى يدفع بعضه بعضا   (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٧٩

(٣) الأجباب : جمع جب ـ بالضم ـ وأصله البئر لم تطو ، وقال ثعلب : الأجباب مواضع فيها ركايا . والورد ـ بالكسر ـ الإبل الواردة ، وحلأها : منعها ، وروى ثعلب « حان لها ورد » يقول : نظرت إلى الماء فرأت عليه ناسا كثيرين فلم ترده ، والشرك : حبال الصياد ، وروى ثعلب فى مكانه « الشبك » والمعنى واحد

جُونِيَّةٌ كَحَصَاةِ القَسْمِ مَرْتَعُهَا ... بِالسِّيِّ، مَا تُنْبِتُ القَفْعَاءُ وَالْحَسَكُ(١)

السى والسِّي: وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع بين معدن بني سليم الذى يقال له اليوم «المهد» وبين حرة بنى سليم وسيوله وسيول ساية، تصب إلى جهة الغرب وتنحدر إلى أعلى وادى فاطمة المسمى «مر» وساية الوادى المذكور: فيه نخيل ومزارع، وسكانه بنو سليم، وسى هذا هو الذى عناه زهير. وكلا الواديين باقٍ بهذا الاسم إلى اليوم، قال خالد بن مالك الهذلى فى ذكر(٢) ساية.

بودك أصحابى فلا تزدهيهمُ * بسَايَةَ إذ دَمَّتْ علينا الحلائبُ

وقال المعطال الهذلى فى ذكر ساية؟

ألا أصْبَحَتْ ظمياء قد نزحَتْ بها ... نَوًى خيتعور طَرْحُها وشَتَاتُها

وقالت: تَعَلَّمْ أنَّ ما بَيْنَ ساية ... وبين دُفاقٍ رَوْحة وغَدَاتُها

وقال أبو عمرو الهذلى:

أسائِلُ عنهم كلَّما جاء راكبٌ ... مقيماً بأملاح إذا رُبِطَ اليَعْرُ

وما كُنْتُ أخشى أن أعيشَ وراءهم ... بِسِتَّةِ أبيات كما نبت العِتْرُ(٣)

بما قد أراهُمْ بين مَرَّ وسايةٍ ... بكل مسيل منهم أنَسٌ غبر

مر ومر: هو مرّ الظهران الذى يقال له اليوم «وادى فاطمة» يصب سيله فى البحر الأحمر، وفى أعلاه موضع يقال له «وادى مر» لا يزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وساية داخلة فى أودية الحجاز، أما «وادى سِيّ الذى ذكره الشاعر فإنه يقع فى شرقيها على حدود جبال الحجاز

وقال جرير فى ذكر السى:

إذا ما جعلْتُ السِّيَّ بينى وبينها ... وحَرَّةَ ليلى والعقيقَ اليمانيا

دعوتُ إلى ذى العرش ربَّ محمدٍ ... ليجمع شعْباً أو يقرب نائياً

ويأمرنى العُذَّالُ أن أترك الهوى ... وأن أُخْفِيَ الوجْدَ الذى ليس خافيا

(١) جونية: أى فيها سواد، وحصاة القسم: المدرة التى يقدر بها الماء فى القدح إذا تصافنوا، وإنما يفعلون ذلك إذا نفد ماؤهم، يتقاسمونه فيأخذ كل منهم مقدار مايغطى حصاة، وأراد أنها مستوية لأن قسم الماء بالحصاة لا يكون فيه حيد ولا غبن. والسي - بكسر السين - أصله ما استوى من الأرض، والقفعاء: بقلة من أحرار البقول. (٢) معجم البلدان ٥ / ٢٣.

(٣) العتر - بالكسر - نبت لا يزيد ورقه عن ست ورقات ولا ينقص عنها.

فيا حسراتِ القلب فى إثر من يرى قريباً ويُلْفَى خيْره منك قاصيا
وإنى لعفُّ الفقر مُشْتَرك الغِنَى سريعٌ إذا لم أرضَ دارِى انتقاليا

وقال ابن راح بن قرة أخو بنى الصَّموت يذكر السِّيّ [١] :

وإن عماد السِّي قد حال دونها طَوِى البَطْن غَوَّاص على الهول شَيْظَمُ
فكيف رأيتم شيخنا حين ضمه وإياكُمُ ألبُ الحوادث يَزْحَمُ

الأجباب — وأما الأجباب التي ذكرها زهير فى قوله : * كأنها من قَطَا الأجباب ـ إلخ * فإنى لما نظرت فى شرح الأعلم على هذا البيت رأيته قال : الأجباب : جمع جب ، وهو كل بئر لم تطو ، وحدثنى الخبيرون ببلاد طى و بلاد بنى أسد و بلاد غَطَفان أن فى شرقى سلمى آبارا يقال لها « الأجباب » واقعة فى موضع بين فيد [٢] وركك ، وهى للركك أقرب ، ولم يَعْنِ زهير إلا تلك الآبار ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

١٤ — وقال زهير :

تَعلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللهِ ذَا قَسَمًا فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ بَاقٍ كَمَا دَنَّسَ الْقُبْطِيَّةَ الْوَدَكُ

قد غلط كثير من الشراح والطباع بسبب نقطة وضعوها تحت الحرف فصار « جوا » فلو وضعوها فوق لكانت « خوا » وهى الواقعة فى بلاد بني أسد ، والصحيح أن زهيرا قصدها وأن صواب الرواية * لئن حللت بخو فى بنى أسد ـ البيت * .

خو — وخو : ماء جاهلي يقع فى شرقى سميراء الجنوبى فى خشم الجبل المسمى « حبشى » وقد وردته تسميه العامة اليوم « الخوة » وعنده يوم من أيام العرب كان لبنى أسد على بنى يربوع قُتِلَ فيه ذؤاب بن ربيعة عتيبةَ بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، وقال مالك بن نُوَيرة [٣] :

وهوَّن وجدى أن أصابَتْ رماحُنَا عَشيةَ خو رهطَ قيس بن جابر
عميد بنى كوز وأفناء مالكٍ وخيْرَ بنى نصرٍ وخَيْرَ الفواضر

وقال بعثر بن لقيط الفقعسى ، وهو أسدى :

(١) انظر معجم البلدان ٥ / ٢٠٤ (٢) وعبارة ثعلب « الأجباب مواضع فيها ركايا »
(٣) معجم البلدان ٣ /٤٩٢

ألا حَيِّ لى من ليلة القبر إنه مآب ، وإن أكرهتُه ، أنا آيبُهْ
وبارك خوّ ينسج الريح متنه إذا أطردت قريانه ومذانِبُهْ
إذا أفامت فيه الجنوب كأنما يدق به قرنَ القرنفُل ناشِبُهْ
إذا نوّرت غراؤه ودماثُهُ وزيّنَ بقُلح الأيهقان أخاشِبُهْ
كأن لها عيْراً من المسك حَلّها دَهاقينُ مَلْك تجتنى ومرَازبُهْ
وتارك ريعان الشباب لأهله تروح لهُ أصحابه وصَوَاحبه

وقال الراجز :

وبين خوين زقاق واسِعْ زقاق بين التين والربائِعْ

والتين أعرفه ، لا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إذا كنت عند خو رأيته بعينك فى الجهة الجنوبية منه ، وفيها — أعنى خوا المعروف اليوم بالخوة — قصر ومزارع تبعد عن سميراء أقل من نصف يوم مما يلى مطلع الشمس .

فدك

وأما فَدَك : فهو المعروف اليوم عند عامة العرب بالحائط والحُوَيط ، واقع فى حَرَّة سوداء يحيط به حِرَار سودٌ ، وهو فى أرض منخفضة فى الحرة ، فيه ثلاث عيون تصب من الحرة وتسقى نخيله ، وهو كثير النَّخل ، ويعرف باتصال الحيّ ، وقد أتيته ثلاث مرات للاتّجار : الأولى أقمت فيه شهرا وذلك فى سنة ١٣٤١ هـ ، ومرضت بالحمى وشفانى المولى منها ، ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أكثر حصون خَيْبر ، ولم يبق إلا ثلثها واشتد الحصارُ بأهلها أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُنزلهم على الجلاء فأجابهم ، فبلغ ذلك أهلَ فَدَك فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضوا عليه أن يصالحهم على نصف ثمارهم ولحوالهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فهى مما لم يُوجِفْ عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار فدك طويلة ، ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ضمها أبو بكر إلى بيت المال ، فلما توفى رضى الله عنه — وكانت فاطمة قد توفيت — وولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنازع على رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب ، على يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها لفاطمة ؛ فهى لنا ، والعباسُ يأبى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وارثه ، فكانا يختصمان إلى عمر رضى الله عنه ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، أما أنا فقد أسلمتها إليكما ، فاقصدا ؛ فما يؤتى واحدٌ منكما من قلة معرفة ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله فى المدينة يأمره أن يرد فَدَكَ إلى ولد

فاطمة رضى الله عنها ، فكانت فى أيديهم أيام عمر بن عبد العزيز ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قبضها منهم ، فبقيت فى أيدى بنى أمية إلى خلافة بنى العباس ، فلما كان عهد المأمون جاء رسولُ بنى على بن أبى طالب فطالب بها ، وشكا إلى المأمون ، فأمر المأمون أن يسجل لهم بها سجل يكون بأيديهم ، فلما قرىء السجل على المأمون ودعبل الشاعر بين يديه قام وأنشد القصيدة التى مطلعها

أَصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضَحِكا   بردِّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكا

والذى بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك بالصلح مُحَيِّصة بن مسعود ، ورئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودى .

وفدك الذى ذكره زهير هو المعروف بالحائط فى هذا العهد ، سكانه اليوم يقال لهم « الحوايطة » جلدتهم سوداء ، و بلغني أن الحائط كان ملكا لابن مجلاد من رؤساء عنزة ، ثم جلا إلى العراق واستوطنها فى أواخر القرن الثانى عشر ، و بقى به عبيده وفلاحوه ، وملكوا تلك الناحية شيئا فشيئا إلى هذا اليوم ، وهم باقون فيه ، و باديتهم هتيم ، وهو واقع فى القطعة التى يتجولون فيها و يقيظون فيها أيام صِرام التمر ، وهى بين المدينة المنورة و بين حائل مدينة جبلى طى ، فى نصف المسافة بينهما تقريباً

* * *

١٥ — وقال زهير فى قصيدته التى مطلعها :

قِفْ بالدِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ   بَلَى وَغَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَالدِّيَمُ

وهذه القصيدة مدح بها هرمَ بن سنان المُرِّى ، وتوسع فى المواضع ، فذكر السر والعتكين ، وهما فى شرقى نجد ، وذكر قرقرى و برك ، وهما فى جنوبى نجد الشرقى ، وذكر صبحا وهى فى جنوبى نجد ، وذكر ظلما ، وهى فى جنوبى نجد الغربى ، وقد توسع فى المواضع كما توسع فى مديح هرم — قال :

دَارٌ لأَسْمَاءَ بِالْغَمْرَيْنِ مَاثِلَةٌ   كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرِمُ
وَقَدْ أَرَاهَا حَدِيثًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ   السِّرُّ مِنْهَا فَوَادِي الْحَفْرِ فَالْهِدَمُ (١)

الغمران : هما « غمرة » الماء المعروفُ بهذا الاسم الواقع فى بلاد غَطَفَان ، وهى واقعة على ضفة وادى الرمة الشمالية ، بين مصب الجريب فى الرمة و بين الحاجر ، وهى على هذا الاسم إلى هذا العهد . وغمرة الثانية : واقعة فى أعلى بلاد غطفان ، وهى فاصلة بين نجد والحجاز مما يلى معدن الغمران

(١) فى الديوان برواية ثعلب « بل قد أراها جميعا غير مقوية » وفى رواية « الجفر » بالجيم مكان الحاء .

بنى سليم ، وهاتان الغمرتان هما اللتان عناهما زهير ، لأنهما واقعتان فى بلاد قومه ، وأما غمرة التى فى بلاد بني أسد ؛ فهى التى يقول فيها عَبيد بن الأبرص :

تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائن ... سَلَكْنَ غميرا دونهنَّ غموض
وفوق الجمال الناعجات كواعبٌ ... محا بيض أبكار أوانسُ بِيضُ

وهى التى يقول فيها ذو الرمة :

تَقَضَّيْنَ من أعراف لبنٍ وغَمْرة ... فلما تعرفن اليمامة عن عُفرِ

والمقصود أن غمرتين الواقعتين فى بلاد غطفان إحداهما فى النصف منها ، والثانية فى أعلاها على أسمائها إلى هذا اليوم .

السر — وأما السر فإن فى نجد مواضع كثيرة تقارب أسماءها هذا الاسم : السرة ، وسرير ، وتسرير ، وسرار ، فأما على هذا الوزن الذى ذكره زهير فلا أعلم إلا الكثيب المرتكم بين خف ومرات ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضي الكلام عليه وحددنا قراه ومياهه ، وهذا اسمه فى الجاهلية ، وقد مر ذكره فى هذا الكتاب فى مُسَاجلة امرىء القيس والحارث حين قالا [1] :

فلم يَتْرُكْ بذات السر ظبيا ... ولم يترك بجلهتها حمارا

وادى الحفر — ووادى الحفر : يعرفه عامةُ أهل نجد وغيرهم ، لأنه باقٍ بهذا الاسم ، ويقال له « حفر بنى حسين » وهو بلد قديم جاهلى ، وعمر فى صدر الإسلام ، و به آثار وآبار قريبة الماء يؤمل أن تجرى على ظهر الأرض ، وآثار القصور والآطام [2] باقية إلى هذا العهد ، وقد حدثنى الشيخ العلامة عبد الله السليمان آل بليهد عن هذا الحفر وعماره ، وفي سلسلة من حديثه قال : إن الخليفة المستعين العباسى أمر والى مكة فى زمانه أن يحصى حَمَلة القرآن عن ظهر الغيب من أهل الحَفْر من الذين قَصَدُوا مكة للحج فكتبوا أسماءهم : فلان بن فلان الحفرى ، وفلان بن فلان الحفرى إلخ ، فوجدوهم إحدى عشرة مائة رجلٍ ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور ، و (كل شىء هالك إلاوجهه له الحكم و إليه ترجعون) وموقعه على حدود كشب الواقعة غرب منه وهو منهل ، ترده الأعراب ، إذا كنت على الحفر فجبل شعر منك أمام المصلى ، وجبل كشب بينك و بين الشرق ، وجبل شعر يبعد عن الحفر مسافة يوم للراكب البطىء .

الهدم — أما الهدم فهو باقٍ بهذا الاسم لم يتغير إلا بحرف واحد ، وضعوا فى موضع الميم باء فقالوا : « الهدب » وواديه هو وادى الحفر ، واقع شرق ماء الحفر المذكور ، وهو آبار قليلة الماء متهدمة .

(١) انظر ص ٦٨ من هذا الكتاب (٢) الآطام : جمع اطم ــ بزنة عنق ــ وهو الحصن

وإنى بعد أن ذكرت السر الذى فى بيت زهير[1] وذكرت السر الذى فى طريق السيارات بين خف ومرات ، اجتمعتُ برجل عارف خبير ببلاد غطفان وجميع أماكنها ، فسألته عن السر ، فقال : إنه موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذى عناه زهير ؛ لأنه واقع فى بلاد غَطَفان بين كشب وبين صفينة والسوارقية القرى المعروفة فى بلاد غطفان ، وهو وادٍ يأتي سيلُه من جهة الغرب ، وينحدر إلى جهة الشرق الجنوبى مما يلى مطالع الشمس ، ويقف فى « صبحا » قريب كراع الحرة المجاورة لجبل كشب وجبل أكباد وجبل أنياب يقعان منه فى الجهة الشمالية الغربية على أقل من مسافة نصف يوم .

* * *

١٦ — وقال زهير :

فَلاَ لُـكَانُ إِلَى وَادِى الْغِمَارِ فَلاَ ... شَرْقِىُّ سَلْمَى فَلاَ فَيْدٌ فَلاَ رِهَمُ[2]

شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى ، بِرْكٌ بِأَيْمُنِهِمْ ... وَالْعَالِيَاتُ ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيَمُ

لُكان : لا أعرفه ، ولا أعرف له اسما فى عهدنا هذا ، قال فى معجم البلدان[3] : هو موضع واستدل ببيت زهير . لكان

وادى الغمار : هو الوادى المجاور لبلد سميراء من جهة الجنوب ، شرقى سلمى وفيد ، وقد تقدم الكلام عليه ، وهو مثل الموضع الذى ذكره قبله حين قال « ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك » وقد تقدم الكلام على فيد وركك . وادى الغمار

فأما رهم المذكور فى هذا البيت فهو موضع شرق سلمي ، ولست أدرى أباقٍ هو بهذا الاسم أم قد تغير ؟ رهم

أما قرقرى : فهى واقعة فى جهة اليمامة مُتاخمة لوادى الأحيسى الذى يقال له اليوم «الحيسية» وهى أرض عريضة منها « البرة » الموجودة إلى اليوم بهذا الاسم ، ومنها « قرمى » المعروفة بهذا الاسم فى الزمن القديم ، واسمها اليوم «ضرمى» فهى والبرة ومابينهما يطلق عليها «قرقرى» وذكرها صاحب الأغانى فى ترجمة يحيي بن طالب الحنفى[4] ، وأطال عليها الكلام ، وقد قال يحيي بن طالب وهو فى بغداد وقد أجلاه الدَّيْنُ إلى تلك الناحية : قرقرى

أَحَقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً ... إلى قَرْقَرَى يوماً وأعلامِهَا الغُبْرِ

---

(١) انظر ص ١٣٢ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعلم . وروى أبو العباس ثعلب وياقوت « ولا فيد ولا رمم » براء فميمين (٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٣٣٧ (٤) الأغانى ٢٠/١٤٩ بولاق

كأن فؤادى كلما مر راكبٌ　　جناحُ غرابٍ رام نهضاً إلى وَكْرِ
أقول لموسى والدموعُ كأنها　　جداولُ فاضتْ من جوانبها تجْرى
ألا هَلْ لشيخٍ وابن ستين حِجَّةً　　بَكَى طَرَبا نحوَ اليمامة من عُذْرِ
إذا ارتَحَلَتْ نحو اليمامة رفقة　　دعاكَ الهَوَى واهتاج قلبُكَ للذكر
فواحَزَنى مما أجن من الأسى　　ومن مُضْمَرِ الشوق الدخيلِ إلى حجر (١)

فتوغَّل يحيي بن طالب فى غربته وفراره من الدَّيْن قاصداً خُرَاسان ، فلما وصل إلى قُومس قال :

أقول لأصحابى ونحن بقُومس　　ونحن على أثباج ساهمة جُرْد
بَعُدْنا وربِّ الناس عن أرض قَرْقَرَى　　وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

فلما وصل إلى خراسان قال :

أيا أثَلاَت القاع من بطن توضح　　حنينى إلى أطلالكنَّ طويلُ
ويا أثلات القاع قلبي مُوَكَّل　　بكنَّ وجَدْوَى خيركن قليل
ويا أثلات القاع قد مَلَّ صُحْبتى　　مَسِيرى فهل فى ظلكن مَقِيلُ
ألا هل إلى شَمِّ الخزامى ونظرة　　إلى قَرْقَرَى قبل الممات سَبِيلُ
فأشرب من ماء الحجيلاء شربةً　　يُدَاوَى بها قبل الممات عليلُ

أما الحجيلاء : المذكورة فى البيت الخامس فهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تقع عن بلد البرة فى الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين ، ويحيي بن طالب بلده البرة فى الجهة الشمالية من قرقرى ، انظر إلى قوله وهو فى غربته :

خليليَّ عوجًا بارك الله فيكما　　على البرة العُلْيا صدورَ الركائب
وقولا إذا ما نَوَّهَ القومُ للقرى　　ألا فى سبيل الله يحيى بنُ طالب

وقد هلك فى بغداد هذا الشاعر الأديب ، فى سفرته هذه ، رحمه الله !

وقرقرى : معروفة بهذا الاسم ، ولكن ذكرها قليل فى ألسن الناس ، لم يبق فى ألسن الناس إلا ضرمى والبرة ، وكانت تلك البلدان عامرة فيها نخيل ومزارع وقصور ، ولم يبق منها إلا الآثار الدارسة والأخبار القديمة ، والذى يدل على أنها هى التى عناها زهير أنه قرنها ببرك والعاليات وخيم.

العاليات وبرك　أما العاليات وبرك : فهى مجاورة لها فى الجهة الجنوبية منها .

(١) يريد حجر اليمامة وانظر معجم البلدان ٧ / ٥٧

وبرك قد مضى الكلام عليه ، وادٍ يصب من عارض اليمامة وينتهى سيله إلى الخَرج .

والعاليات معروفة بهذا الاسم فى عارض اليمامة ، جبل رفيع منيع ، وقد مضى الكلام عليه فى بائية امرىء القيس حين قال :

أقبّ رَبَاع من حمير عَمَاية يمجُّ لَعَاع البقل فى كل مشرب
عظيمٍ طويل مطمئن كأنه بأسْفَلِ ذى مَاوَانَ سرحة مَرْقَبِ

وقد مضى الكلام على هذا الجبل عند ذكر ماوان[1] . لأنه وادٍ عظيم واقع فى جبل علية .

خيم — وخيم : هى واد فى الحصاة التى يقال لها فى الزمن القديم «الخُصَّاء» وبهذا الوادى ماء عذب يقال للوادى والماء « خيم » وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليها فى أشعار امرئ القيس[2] :

* * *

١٧ — وقال زهير :

عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمُ فَنْدُ الْقُرَيَّاتِ فَالْعِتْكَانُ فَالْكَرَمُ

القريات — القريّات : موجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقعة قريب الحدود الشمالية من مملكة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، قال فى معجم[3] البلدان : قال أبو عبيد الله السكونى : من وادى القرى إلى تيماء أربع ليال ، ومن تَيماء إلى القريّات ثلاث أو أربع ، قال : والقريات دومة وسكاكة والقارة ، ولا أظن أن هذه العبارة صحيحة ، الصحيح : أنها هى التى يقال لها اليوم « قريّات الملح » وأنا أظن أن القريّات التى ذكرها زهير هى القريتان الواقعتان شرقى القَصيم جنوبى النبهاج وهى التى يقول فيها لبيد :

جعلن حِرَاجَ الْقَرَيْتَيْنِ وعالجٍ يميناً ونـكّبْنَ البدىَّ شمائلا

وهى التى يقول فيها معن بن أوس[4] :

لها مورد بالقريتين ومصدر لفَوْتِ فلاة لا تزال تنازِلُهْ

قال فى معجم البلدان[4] : القريتان قرية عبد الله بن عامر بن كريز ، والقرية الأخرى بناها جعفر بن سليمان ، وأهلها يستعذبون المـاء من عنيزة ، وهى منها على ميلين ، وهى التى قال فيها جرير :

---

(١) انظر ص ٣٨ من هذا الجزء
(٢) انظر ص ١٩ من هذا الجزء
(٣) انظر معجم البلدان ٧ / ٦٩
(٤) المعجم ٧ / ٧٠

تَغشَى النباجَ بنو قيس بن حَنظَلَة   والقريتَين بسُرَّاق ونُزَّال

وقد أوردنا هذه الشواهد فى غير هذا الموضع . ويوجد فى تلك الناحية موضع فيه قصور ومزارع يقـال له اليوم « القرية » تقع بين العوشزية وبين عنيزة ووادى الرمة ، تقع من عنيزة مما يلى مطلع الشمس على مسافة ميلين ، وهى التى عناها زهير .

العتكان   العتكان : باقيان على اسمهما إلى هذا العهد ، أحدُهما واقع بين قرى سدير وبين قرى المحمل التى عاصمتها « ثادق » يقال له « عتك البكرات » وهو يقسم عارض اليمامة نصفين ، تسير القوافل فيه بين الشرق والغرب ، فإذا خرجتَ منه إلى جهة الشرق رأيت العتك الثانى الذى يقسم العرمة كما يقسم الأول جبل العارض ، وكلا الطريقين سهل المنفذ ، ويقال للثانى « عتك العرمة » وهو الذى يضاف إليه الحفر الواقع فى العرمة ، فيقال له « حفر العتك » وكلاهما واقع فى بلاد بنى تميم ، قال الزِّبْرِقَانُ بن بدر[١] حين حمل صدقات قومه إلى أبى بكر رضى الله عنه :

ساروا إلينا بنصف الليل فاحتملوا   فلا رهينة إلا سَيِّدٌ صَمَدُ

سيروا رُوَيْدًا ، وإنا لن نفوتكم   وإن ما بيننا سَهْل لكم جَدَدُ

إن الغزال الذى ترجون عِزَّتَه   جمع تضيق به العَتْكان أو أطد

مُسْتَحْقبو حِلَقِ الماذِى بحفرته   ضرب طِلَخْفٌ وطعن بينه خَضَدُ

والعتكان : باقيان بهذا الاسم إلى هذا اليوم .

الكرم   والكرم : موضع ، قاله صاحب معجم البلدان[٢] ، واستشهد ببيت زهير ، وقال أيضا : كرمة[٣] هى من نواحى اليمامة ، واستشهد ببيت أبى خراش الهذلى :

وأيقنت أن الجود منك سجية   وما عشت عيشا مثل عيشك بالكرم

وأنا لا أعرف هذا الموضع بهذا الاسم ، ويمكن أنه قد دَرَسَ وتغير .

* * *

١٨ — وقال زهير :

كأنَّ عَيْنِى وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ   وَعَبْرَةٌ مَاهُمُ لو أنَّهُمْ أَمَمُ

غَرْبٌ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لُؤْلُؤٌ قَلِقٌ   فى السِّلْكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِهِ النظُمُ

عَهْدِى بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرْيَتَيْنِ وَقَدْ   زَالَ الْهَمَالِيجُ بِالْفُرْسَانِ وَاللُّجُمُ

فاسْتَبْدَلَتْ بَعْدَنَا دَارًا يَمَانِيَةً   تَرْعَى الْخَرِيفَ فأَدْنَى دَارِهَا ظَلِمُ

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ١١٧   (٣٠٢) انظر المعجم ٧ / ٢٤٥

إنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ ... كِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمُ

السليل : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو وادٍ واقع فى بلاد غَطَفان ، أعلاه يقال له « السليلة » وفيه ماءة يقال لها « السليلة » أيضا ، ماؤها مر ، وقد أكثر شعراء العرب من ذكر هذا السليل الوادى وكذلك شعراء الأعراب المتأخرون .

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان شعرا نَبَطيا منه هذا البيت :

الركايب كَنْها الاَقْوَاسْ توى ... سارحَهْ من عمق ممساها السليلة

وقال شاعر ثانٍ من تلك القبيلة من أهل تلك الناحية من قصيدة له نَبَطية :

كبدى عَليلَهْ من شراب السليلهْ ... أشْرَبْ ولا ينحى مع الحلق ماها

وقال شاعر ثالث من أهل تلك الناحية ، وهو قاطن على ماء « الوبرة » وهى عذبة الماء بين مروراة غطفان فى قصيدة نبطية :

مقيا ضنا من فوق عد قراح ... وأهل السليل مقيضين على ماه

يعنى أهل ماء السليلة الواقعة فى أسفل وادى السَّليل الذى عناه زهير ، والسليل والسليلة : باقيان على أسميهما من الجاهلية إلى هذا العهد ، وسَيْلُ السليل ينصبُّ من الشرق إلى الغرب ، و يفترق عن ماء السليلة ، ثم يصبُّ فى وادى الشعبة جاعلا ثربا وماءه وجباله جنوباً ، والحناكية والعباء شمالا ، وهو إلى الحناكية واللعباء أقرب ، وتتجه سيول الشعبة إلى جهة الغرب حتى تصب فى عقيق المدينة ، ثم يصب فى البحر الأحمر .

وقد اقتتلت عبس وأسد فى السَّليل ، وقال رجل من بنى عَمْرو بن قُعَيْن :

لئن خَتَلَتْ بنو عبسٍ بَرِيًّا ... بِغِرَّتِهِ فلم تَخْتِلْ سُوَيْدَا

فلقْنا رأسَهُ بِـقَىٍّ سمٍّ ... كَلَوْنِ الملح مَذْرُوبا جَدِيدا

فأوجَرْناهُمُ منه فراحُوا ... وهم يوم السَّليل نعى شهيدا

وقال عُبَيد الله بن قيس الرقَيَّات :

ذكرتْنِى الديارُ شوقًا قديما ... بين حرضْى و بين أعْلَى يَسُومَى

فالسَّليل الذى بمَدْفَع قرن ... قد تعفَّى إلاَّ ثلاثًا جُثومَا (١)

وحرضى و يسومى وقرن كلها واقعة فى بلاد عبد الله بن غطفان ، أما قرن وحرضي فهما قريبان من السليل ، وأما يسومى فهو جبل واقع فى شمالى جبل كشب فى حدود بلاد غطفان الجنوبية

(١) يريد بالثلاث الجاثمات أثافى القدر .

الغربية ، والسليل وقرن وحرضي ويسومي كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وقال أيضاً عبيد الله بن قيس الرقيات :

لا تحامى أن تهجُري ما بقينا   أنتِ بالوُدِّ والكرامة أحرى
يا ابنَةَ المالكيِّ عَزَّ علينا   أن تُقيمي بعد السليل بيُسْرَى
كم أجازت من مَهْمَةٍ يترك العيـ   ـسَ بِهِ ظُلَّمًا قياماً وحَسْرَى

أما السليلة : فاسمها جاهلي ، وهو باقٍ إلى هذا العهد ، قال جرير :

أيجمع قلبه طرباً إليكم   وهَجْراً بيت أهلك واجتنابا
وَوَجْدا قد طويتُ يكاد منه   ضميرُ القلب يلتهب التهابا
سألناها الشِّفاء فما شفتنا   ومَنَّتْنَا المواعدَ والخِلابا
لشَتَّان المُجاور دَيْرَ أرْوَى   ومَنْ سكن السليلة والجنابا

وباب القريتين : قد مضى الكلام عليه [1] .

ظلم — أما ظلم : فهو جبل معروف إلى اليوم بهذا الاسم ، وهو واقع في جهة نجد في الجهة الجنوبية وقد أصاب الأصمعي في تحديد موقعه ، حين قال [2] : هو جنوبي الدفينة ، هذه رواية الأصمعي ، وهي أصوب الروايات عن ظلم ، لأنه ـ على ماعرفنا ـ واقع جنوبي الدفينة ، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم ، واقع بين أجبال الحار وجُبَيل الأكوم الواقع من بلد المويه في الجهة الشرقية على مسافة يوم ، وظلم : جبل أسود له قَرْن مرتفع ، وبقية جباله متصلة به ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، طولُه من الشرق إلى الغرب مسافةُ ساعة للماشي المجدِّ على قدميه ، وعرضُه أقل من مسافة نصف ساعة ، قال النابغة الجَعْدي يذكر هذا الجبل :

أبلغ خليلي الذى تجهَّمَنِي   ما أنا عن وَصْلِهِ بمُنْصَرِمِ
إن يَكُ قد ضاع ما حملت فقد   حملْتُ إثماً كالطَّوْدِ من ظَلِمِ
أمانة الله وهي أعظم من   هَضْبِ شَرَوْرَى والركن من خِيَمِ

لما رأينا النابغة قد ذكر هضب شَرَوْرَى والركن من خيم مع ظلم وجب أن نقول : إن ظلما واقع بين الموضعين اللذين ذكرهما النابغة ، أما هضب شروري : فهو الهَضْب الذى يقال له اليوم « هضب الشرار » عند عامة أهل نجد ، وإذا كنت عند ظَلِم طلعت الشمس على جبل خيم أو عن يساره قليلا ، وإذا غربت تغرب على هضب شروري أو عن يساره قليلا ، المسافة الواقعة بين ظلم

---

(١) انظر ص١٣٥من هذا الجزء   (٢) انظر معجم البلدان ٦ / ٨٩

وهضب شرورى تتراوح مابين أربع ليال أو خمس ، والمسافة الواقعة بين ظلم و بين جبل خيم المسمى اليوم بالحصاة عند عامة أهل نجد تتراوح بين ست ليال أو سبع ، وخيم باقية بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وقد تقدم الكلام عليها فى كتابنا هذا .

وأما قول زهير * فاستبدلت بعدنا دارا يمانية ـ إلخ * فإن من لسان أهل نجد قديما وحديثا أن المتكلم إذا ذكر موضعا واقعا فى جنوبى بلده قال « يمانٍ » و إن كان الموضع شمالى بلده قال « شآمٍ » وعلى هذا ورد قول زهير فى هذا البيت ، لأن ظَلْماً واقعٌ فى جنوبى بلاد غطفان ، وهو فى عالية نجد ، لا فى اليمن .

* * *

١٩ — وقال زهير يمدح هَرِمَ بن سِنان المُرِّى وهذا مطلع قصيدته :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ
لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيَّرَهَا بَعْدِى سَوَافِى الْمُورِ وَالْقَطْرِ
قَفْرًا بِمُنْدَفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ ضَفْوَى أُلاَتِ الضَّالِ وَالسِّدْرِ
دَعْ ذَا وَعَدِّ الْقَوْلَ فِى هَرِمٍ خَيْرِ الْبُدَاةِ وَسَيِّدِ الْحَضْرِ

أما حجر : فقد غلط الأعلم فى شرحه حيث قال : حجر موضع بعينه ، وهو حجر اليمامة ، فلو أنه اكتفى بقوله «حجر موضع بعينه» لأغناه ، ولم يقع بالزيادة فى خطأ ، لأن حجرا وقنته يقعان في بلاد غطفان ، فى أعلاها المجاور للحجاز ، ولا يزال باقيا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو بين الفرع والمحانى غير أنه إلى الفرع أقرب قليلا ، وسيلُ وادى حجر وسيلُ وادى الفرع يصُبان فى الحجاز ، وسيولُ المحانى تندفع إلى الجهة الجنوبية الشرقية منها ، وحجر فى هذا العهد تسكنه حرب ، والفرع لحرب أيضا ، أما المحانى : فهى للعضيان ورئيسهم ابن ثعلى ، وقد قال الشاعر : حجر

ألا ليت شِعْرى هل تَغَيَّر بعدنا أروم وآرام فشابة فالحضر؟
وهل تركت أُبْلِى سوادَ جبالها وهل زال بعدى عن قُنَيْنَتِهِ الحِجْرُ؟

وتأمل فى هذين البيتين تجده قد ذكر ستة مواضع مع مايتبعها من المضاف ، و إن هذه الستة لباقية على أسمائها إلى هذا العهد لم يتغير منها اسم واحد ، وهى : أروم ، وآرام ، وشابة ، والحضر ، وأُبْلَى ، والحجر ، الأسماء الخمسة الأولى يطيف بها الراكب فى مسافة يومين ، وأما الحجر وقنانهُ : فهما واقعان من هذه المواضع فى الجهة الغربية على مسافة يومين أو أقل ، وفى الحجر قصور ونخيل ومزارع ومياه كثيرة ،وقراه ثلاث يُرَى بعضُها من بعض، وكلها واقعة بين وادى الفرع ووادى المحانى.

النحائت — والنحائت : موضع معلوم بهذا الاسم إلى هذا اليوم عند عامة أهل نجد ، فيهم من يسميه « النحايت » وفيهم من يسميه « النحيتية » وهي آبار كثيرة واقعة من علم هيتم فى الجهة الشرقية ومن النقرة المعروفة بمعدن النقرة فى الجهة الشمالية ، وهي معروفة عند جميع الناس إما باسم النحايت و إما باسم النحيتية على ما ذكرنا ، وهى التى عناها زهير .

صفوى — أما صَفَوَى فلم أعثر على شيء بهذا الاسم فى بلاد غطفان ، وهناك ثلاثة مواضع واقعة فى بلادهم أو قريبا منها ، يقال لكل واحد منها « صُفَية » أما الأول [1] فإذا خرجت من عفيف قاصداً القاعية وجعلت النير على يمينك كان هو على شمالك ، وأما الثانى فقريب « العسيبيات » فى وادى الجريب ، وأما الثالث فواقع فى شمالى الجثوم على مسافة ساعة ، وظنى أنه الذى عناه زهير لأنه واقع فى بلاد غطفان ، وصفوان ذكره تميم بن [أُبَيٍّ بن] مقبل فى قوله [2] :

وَطَبق إيوان القبائل بعد ما ... كسا الرِّزْنَ من صفوان صَفْواً وأكدَرَا

وقد يكون الذى ذكره زهير هو ماء الصفوية المشهور اليوم بهذا الاسم ، وهو فى وادٍ يصب سيلُه فى وادى الرمة ، وعنده جبل رفيع يقال له « صفو » واقع فى غربى عريق الدسم .

* * *

٢٠ — وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الجِوَاءُ ... فَيُمْنٌ فالقَوَادِمُ فَالحِسَاءُ

فَذُوهَاشٍ فَمِيثُ عُرَيْتِنَاتٍ ... عَفَتْهَا الرِّيحُ بَعْدَكَ وَالسَّمَاءُ

فَذَرْوَةُ فَالجِنَابُ كَأَنَّ خُنْسَ النِّـــعَاجِ الطَّاوِيَاتِ بِهَا المُلَاءُ

الجواء — الجِوَاء : معروف ، وهو فى أعلى القَصيم ، وقد تقدم الكلام عليه [3] وعلى المعمور منه .

يمن — وأما يمن : فهو ماء ، قال فى معجم البلدان [4] : هو على الطريق بين تيماء وفَيْد . وأنا أقول

(١) الموضع الذى فى قول زهير هو « صفوى » بالضاد المعجمة ، لا يختلف فى ذلك أحد ، لكنهم يختلفون فى ضبطه ، وفى العبارة عن تحديده ، فبعضهم يرويه بسكون الفاء ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ألف مقصورة ، وبعضهم يرويه بفتحات وآخره ياء ساكنة ، ثم يختلف هؤلاء فمنهم من يقول : هو مقصور قلبت ألفه ياء وسكنت ، ومنهم من يقول : هو مثنى صفا ، وصفا الوادى : جانبه . وفى تحديده يقول ياقوت (٥ / ٤٣٥) مكان دون المدينـــة . ويقول الأعلم (ص ١٤٦ طبع ليدن) والنحائت وضفوى من بلاد غطفان ، وقال ثعلب (٨٧ دار الكتب) : كل هذه مواضع من أرض غطفان .

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٦٩

(٣) انظر ص ٢٥ من هذا الكتاب

(٤) انظر معجم البلدان ٨ / ٥٢٤ .

غير ذلك ؛ لأني قد وردته في سنة ١٣٤٠ هـ ، بعثني جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عاملا إلى هتيم فوردته ، وهو ماء واقع بين جبلين و بين خيبر وتَيْماء في بلاد عنزة مقابل للحفيرة التي عمرها الأيدي العَنزي في هذا العهد ، وقد استشهد صاحب معجم البلدان عليه ببيت زهير الذي ذكرناه ، و بشطر بيت لم يُسَمِّ قائلَه وهو :

* ولو حلت بيُمْنٍ أو جبار *

و يمن باقٍ بهذا الاسم عند عامة أهل نجد .

القوادم أما القوادم : فإن جميع العرب من الزمن القديم إلى هذا العهد يطلقون هذا اللفظ على أطراف الجبال ، كما يطلقون على أطراف الـكثبان لفظ « اللوى » فأطراف الجبال إذا انقطعت في السهل يقال لها « القوادم » وأهل نجد يقولون لوجه الجبل « القدمة » إذا أفردت ، و إذا جمعت قالوا : « قدام ، وقوادم » وزهير ذكر القوادم التي بين يُمْن والحِساء .

الحساء أما الحساء في هذا البيت فهو حساء المدينة ، وهو غير « الحسى » الواقع في بلاد غطفان ، وحساء المدينة : هو الذي قال فيه عبد الله بن رَوَاحة الأنصارى رضى الله عنه :

إذا بلَّغتِني وحملتِ رحلي   مسافة أربَعٍ بعد الحساء
فشأنك والخــلا وخَلاكِ ذَمٌّ   فلا أرجع إلى أهلي ورائي

فقتل رحمه الله في تلك الغزوة ، وهي غزوة مؤتة التي قُتل فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب رضى الله عنهم .

ذوهاش أما ذو هاشٍ فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا واديا في بطن شَعَبَى الجبلِ المشهور في حِمَى ضَرِية يقال له اليوم : « مهاش » زادوا فيه ميما في أوله ، ولم أر في كتب المعاجم لهذا الموضع ذكرا يشتمل على تحديده ، غير أن صاحب معجم البلدان[1] قال : هو موضع ، واستدل ببيت زهير ، ورأيت في قول الشماخ شطر بيت : * فأيْقَنَتْ أن ذَا هاشٍ مَنِيَّتُهَا *

عريتنات وأما عريتنات : فلا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا موضعا واحدا سقطت من اسمه التاء الأولى وهو واد في جبل النير يقال له : « أبو عرينات » يصبُّ في وادى بحار ، و يندفع سيلهما إلى الرشا ، وأظن أن هذا الوادى غير الذى عناه زهير ، و بعد أن رأيت الشواهد والأخبار الواردة عن هذا الموضع جَزَمْتُ أنه واقع في عقيق المدينة أو قريبا منه .

ميث عريتنات والميثاء في اللغة هي : الرملة أو البُرْقة ، وميث عريتنات : إما رملتها أو بُرْقتها ، قال على ابن أبي جحفل[2] :

---

(١) المعجم ٨ / ٤٣٩   (٢) المعجم ٨ / ٢٢٢

أتزعم يَوْمَ الميثِ عمرة أنني لدى البين لم يَعْزِزْ على اجتنابُها
وأقسم أنسَى حبَّ عمرة ما مَشَتْ وما لم تَرِمْ أجزاع ذى المِيث لابُها

وقال بشر بن أبى خازم يذكر عريتنات :

وإذ صَفِرت عِيَابُ الود منا ولم يك بيننا فيهـا ذِمام(١)
فإن الجزع جزع عريتنات وبرقة عيهم منكم حَرَامُ
سنمنعها وإن كانت بلاداً بهـا تربو الخواصر والسنام

وهذا الشاعر قَرَنَ عريتنات ببرقة عيهم ، وبرقة عيهم مشهورة ، وهي الحد الفـاصل بين بلاد غطفان ونواحي المدينة ، وجبل عيهم : معروف اليوم عند أهل تلك الناحية ، وهو واقع فى أعلى بلاد غطفان ، والجِوَاء واقع فى شرقيها ، وقد قال جابر بن حُنَى التغلبى(٢) :

أقامَتْ بها بالصيف ثم تذكرت منازلَهَا بين الجِواء فعَيْهَم

والجواء وعَيْهم : فى بلاد غطفان .

نرجع إلى ذكر عريتنات ـ هذه عبارة معجم البلدان(٣) : قال ابن أبى الزناد : كُنَّا ليلةً عند الحسن بن زيد العَلَوى نصفَ الليلِ جلوسا فى القمر ، وكان الحسن يومئذٍ عاملَ المنصور على المدينة ، وكان معنا أبو السـائب المخزومى ، وكان مشغوفا بالسماع ، وبين أيدينا طبق فيه فريك ونحن نُصِيب منه ، فأنشد الحسن بن زيد قول داود بن سلم ، وجعل يمد به صوته ويطرب به :

مُعَرَّسُنَا ببطن عُرَيْتِنَاتٍ ليجمعنا وفاطمةَ المسـيرُ
أتنسى أن تَعَرَّضَ وهو بادٍ مُقَلَّدُها كما برق الصبير
ومن يُطِـع الهوى يُعْرَفْ هَوَاه وقد يُنْبِيك بالأمر الخبيرُ
ألا إنى زفَرْتُ غداةَ هَرْشَى وكاد يَرِيبهم منى الزَّفيرُ

قال : فأخذ أبو السائب الطبق فوحَشَ به إلى السماء ، فوقع الفريك على رأس الحسن ابن زيد ، فقال له : مالك ؟ ويلك ! أجننت ؟ فقال له أبو السائب : أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعَدْتَ إنشاد هذا الشعر ، ومددت كما فعلت ، فضحك الحسن ابن زيد وردَّدَ الأبيات ، فلما خرج أبو السائب قال لى : يا أبا الزناد ، أما سمعت مَدَّه حيث قال : * ومن يُطع الهوى يُعْرَفْ هَوَاه ؟ * قال : نعم ، قال : لو أعلم أنه يقبل مالى لدفعته إليه بهذه الأبيات

(١) العياب : جمع عيبة ، وأصلها الوعاء يضع فيه المسافر متاعه ، وفى المعجم « عتاب » محرفا
(٢) المعجم ٦ / ٢٥٩ وما بعدها (٣) المعجم ٦ / ١٦١

ذروة : هضبة حمراء فاصلة بين بلاد غطفان وبلاد بنى أسد ، وهى لبنى مرة بن عوف ، قال صخر بن الجَعْد : ذروة

بَلِيتُ كما يبلى الرداء ولا أرى جنابا ولا أكناف ذِرْوَةَ تَخْلُقُ

وزهير قرن ذروة بالجناب ، وهذا الشاعر قرنهما أيضاً ، وقد غلط أناس فى ذكر ذروة التى عناها زهير ، فهى ـ كما قلنا ـ الواقعة بين بلاد غطفان و بلاد بنى أسد ، وهناك ذروة جبل آخر فى جبل علّية من اليمامة ، قال الصمة بن عبد الله القُشَيرى وهو من أهل تلك الناحية(١) :

خليليَّ قوما أشرفا القصر فانظرا بأعيانكم هل تُؤنسان لنا نجدا

وإنى لأخشى إن عَلَوْنَا علوه ونشرف أن نزداد وَيْحَكما بُعْدا

نظرت وأصحابى بذروة نظرة فلو لم تَفِضْ عيناىَ أبصرتَا نجدا

إذا مرّ ركب المُصْعِدِينَ فليتنى مع الرائحين المصعدين لهم عَبْدَا

والصليحى فرس يقال لها ذروة ، قال من قصيدة له يصف خيله :

وطالعت ذروة منهنّ عادية وانصاعتِ الشيمةُ الشنعاء شُرّادَا

أما الجناب فأنت ترى زهيرا قد عطفه على ذروة ، ولا يكون إلا قريبا منها ، وقال ابن هَرْمَةَ وهو شاعر مدنى(٢) : الجناب

فاضَتْ على إثرهم عيناك دمعهما كما ينابيع يجرى اللؤلؤ النَّسَقُ

فاستبق عينك لا يوْذ البكاء بها واُكْفُفْ بوادِرَ دَمْعٍ منك تستبق

ليس الشؤون و إن جادت بباقيةٍ ولا الجفون على هذا ولا الحَدَقُ

رَاعُوا فؤادك إذ بانوا على عَجَلٍ فاسْتَرْدفوه كما يُسْتَرْدَفُ النسق

بانوا بأدْمَاء من وَحْش الجناب لها أحْوَى أُخَيْنِسُ فى أرطاته خرقُ

هذا الجناب الذى ذكره إبراهيم بن هَرْمة هو الجناب الذى ذكره زهير بعينه ، وهو غير الذى ذكره سُحَيم بن وَثيل الرِّياحى حيث قال :

تُذَكِّرني قَيْسًا أمورٌ كثيرةٌ وما اللَّيْلُ ما لم ألْقَ قيساً بنائم

تحمل من وادى الجناب فناشَنِي بأمْجَادِ جَوٍّ من وراء الخضارم

وأنا أعرف الجناب الذى ذكره سُحَيم وجوا والخضارم ، وكلها باليمامة ، أما جو فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والخضارم هي « الخضرمة » الواقعة فى اليمامة ، وأما الجناب : فهو ماء

(١) المعجم ٤ / ١٩٤ (٢) انظر المعجم ٣ / ١٤١

فى عرض جبل كأنه عين ، يَرِده السالك من المزاحمية البلدِ الواقعةِ قريبَ جوّ إلى بلد الحريق ، واقع فى وادى نساح فى جنوبيه الغربى ، إذا سلكتَ الطريق قاصداً الحريق انجهت إلى جهة الجنوب حتى تأتى آخر أودية نساح ، فتنعرج إلى جهة الغرب ، وتسير مسافة ساعة أو أكثر قليلا ثم تلتفت على شمالك ، فترى خضرة الشجر على ذلك الماء كأنها خضرة كروم ، أصولها شارعة فى الماء ، وأنا قد وردته ، وهو باقٍ باسمه إلى هذا العهد ، ولكنه صغير ، يقال له « جنيب » فإذا وردت جنيبا ومررت قاصداً الغرب أو بينه و بين مطلع سهيل تسير ساعتين ثم تطلع العقبة التى تُفضى إلى وادى بريك الذى فيه بلد الحريق ، وهذه العقبة قد مضى الكلام عليها فى أشعار امرىء القيس ، وهى التى يقال لها « مرقان » وذكرناها على بيت امرئ القيس فى نونيته[١] :

وما هاج هذا الشوق إلا منازل   دوارس بيت يذبل فرقان

وقلنا : إنه أبدلت فاؤه ميما ، وأعرف واديا ينصب من غربى جبل كشب إلى شرقيه يقال له « جنب » به ملزم ماء ترده الأعراب يقال له « غدير الجنب » ينصب على ماء الريمة المنهل المشهور فى شرق كشب .

* * *

٢١ — وقال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ   مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ
أُصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى   لَهُ بِالسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءُ

أما السىّ فقد مضى الكلام عليه فى بيت[٢] زهير :

جُونية كحَصَاة القسم مرتَعُهَا   بالسى ما تنبت القَفْعاء والحَسَكُ

* * *

٢٢ — وقال زهير :

تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إِذَا مَا   فَنِى الدُّحْلانُ عَنْهُ وَالإِضَاءُ
تَرَبَّعَ بِالْقَنَانِ وَكُلِّ فَجٍّ   طَبَاهُ الرَّعْيُ مِنْهُ وَالْخَلَاءُ
فَأَوْرَدَهَا حِيَاضَ صُنَيْبِعَاتٍ   فَأَلْفَاهُنَّ لَيْسَ بِهِنَّ مَاءُ
فَشَجَّ بِهَا الأَمَاعِزَ فَهْىَ تَهْوِى   هُوِىَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

أما صارة : فهى هضبة من هضاب الجواء ، وقد مضى الكلام عليها[٣] . وأما الدُّحْلَان :

(١) انظر ص ١٠٩ من هذا الجزء (٢) انظر ص ١٢٨ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٢٧ و ١٢١ من هذا الجزء .

الدحلان فهى ملازم ماء يقال لها « الدحول » صدوعٌ تُمْسِك الماء إذا جاء السيل ، وقليل أن لا يوجد فيها الماء ، وهو اسم شامل لكل دحل ، ولا توجد إلا فى الجهات الشرقية من الدهناء .

الإضاء والإضاء : يطلق على ملزم الماء الذى يسمي اليوم الغدير .

القنان والقَنَان : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرىء القيس[1] .

صنيبعات صنيبعات : موضع ، ولا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهو — على ماقالوه — واقع فى بلاد غطفان ، قال رجل من بنى حنيفة * هيهات حجر من صنيبعات *

فهذا الراجز الحنفي تذكر بلده حُجْر اليمامة وهو فى صُنَيْبعات ، قال في معجم البلدان : هو ماء نهشت عنده حية ابناً صغيرا للحارث بن عمرو الغسانى ، وكان مسترضعاً فى بنى تميم ، و بنو تميم و بكر فى مكان واحد يومئذ ، وظن الحارث أنهم قتلوا ابنه غِيلة ، فأتاهم الحارث ، فأتاه منهم قوم يعتذرون إليه ، فقتلهم جميعا ، وأورد صاحب معجم البلدان بيت زهير المذكور شاهدا عليها .

* * *

٢٣ - وقال زهير :

فَلَيْسَ لَحَاقُهُ كَلَحَاقِ إِلْفٍ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ

يُفَرِّدُ بَيْنَ خُرْمٍ مُفْضِيَاتٍ صَوَافٍ لَمْ تُكَدِّرْهَا الدِّلَاءُ[2]

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ[3]

الخرم الخرم : مواضع معلومة ، اسمها هذا جاهلى مما يلى بلاد غطفان ، وتعرف فى هذا العهد : الخرمى وخريمان ، سميت بذلك لكثرة اجتماع السيل فيها وتخرمه ، وهى مَجْمع سيل عالية نجد ، جميعُ سيولها تصب فى الرشاء ، وتندفع جميعا متجهة إلى جهة الشمال الشرقى ، ثم تجتمع فى هذا الموضع الذى يقال له : الخرمى وخريمان . والرُّشاء : وادٍ عظيم من أعظم أودية نجد ، واسمه هذا جاهلى قديم ، قال عوف بن عطية :

يقود الجياد بأرسانها يَضَعْنَ ببطن الرُّشاء المِهارَا

وتسميه عامة أهل نجد اليوم « وادى الرشا » تصب فيه سيول جبل ثهلان بأجمعها ، وأعظم تلك الأودية « وادى الشعرى » تنجذب سيوله من قريب مجيرات وحُذُنة ، وفى هذا الموضع يومٌ من أيام العرب بين بنى ضبة و بنى نُمَيْر ، فكان لبنى ضبة ، وهو الذى يقول فيه المكعبر الضبى :

---

(١) انظر ص ٣٠ من هذا الجزء (٢) هذه رواية الأعلم ، وروى ثعلب « يفرد بين خرم مفرطات » (٣) رواية ثعلب « يفضله إذا اجتهدت »

دارت رحانا قليلا ثم صبحهم ضرب تصيح منه جلة الهام
ظلت ضباع مجيرات يلذن بهم والحوهنّ منهم أىّ إلحام
حتى حُذُنَّة لم يترك بها ضَبُعًا إلاّ له جزر من شلو مقدام

وفى هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين فى سنة ١٢٦٩ هـ ، بين عتيبة وقحطان ، رئيس عتيبة تركى بن حميد و يعضده من رؤساء عتيبة رؤساء من الروقة وغيرهم ، ورئيس قحطان محمد بن هادى بن قرملة ، فكانت الهزيمة على قَحْطَان ، وانتصر العتبان . وفى ذلك الموضع سناف يسمى اليوم « سناف الطِّراد » لعظم تطارد الخيل فيه ، ولم يُسَمَّ بهذا الاسم إلا بعد تلك المعركة ، و يصب فى ذلك الوادى وادى دلعة البلدِ المعروفة لجماعة من الدعاجين ، ورئيس هذه الجماعة ابن عقيل ، وهم يقال لهم « ذوو خيوط » ثم يندفع متجها جاعلا جبل ثهلان عن يمينه ، ثم يجتمع بالرشاء مع أودية ثهلان ، ثم تتجه كلها إلى الشمال الشرقى ، ثم تصب فيه أودية جبل النير ، فما كان فى جهة النير الشرقيـة من الأودية فإنه يصب فى وادى بحار ، وتتجه إلى الشمال الشرقى فتصب فى وادى طيفان ، وهو الوادى المعروف على طريق السيارات المتجهة من مكة إلى الرياض إذا خرج السالك من ماء القاعيــة وسار ثلث ساعة مر فى هذا الوادى إذا كان فى سيارة ، و إذا كثرت الأمطار وجرت الأودية يحجز الماشى على جنباته حتى يجف ، وهو متجه بعد ما يصب فيه وادى جفنى قاصداً خنوقة ، و بها ملازم ماء ، وتجتمع عليها البوادى ، ثم يتجه بعد ما تجتمع به أودية خنوقة وما حولها قاصداً الرشاء و يصب فيه بعد ما تجتمع بالرشاء أودية ثهلان والشعرى والرمادية ، وأودية النير الشرقية المجتمعة فى وادى بحار ، تأتيه سيول النير من جهته الشمالية : وادى الرميثى وغيره ، ثم تجتمع تلك السيول فى غثاة وتعرج إلى جهة خنوقة ، ثم تجتمع بسيل النير الشرقى الذى مر ذكره ، و يصب فى وادى الرشاء قبل ماء الرشاوية ، وعندهذا الماء التحمت عتيبة وحرب ، وأمد حربا مطير ، وتقاتلوا فى ضفة وادى الرشاء الشمالية ، ودارت بينهم معارك فى سنة ١٣٢٧ هـ بعد معركة شق فيها بيت ابن هندى ، وانتهت هذه المعارك بقتل رئيسين من عتيبة: أحدهما ولد جهجاه بن حميد ، والثانى : عالى الفجرى ، وكلاهما من قبيلة المقطة ، وقتل رئيسان من مطير : أحدهما أبو عبيد الدويش ، والثاني طلال بن هذبا ، وتفرق القوم بعد ذلك ، وهذه الأودية المذكورة هى أحسن البلاد لمرعى الإبل ، ثم بعد ماء الرشاوية المتقدم ذكره يأتى سيل الوادى العظيم الذى يقال له «جهام» مع ماجتمع إليه من جميع الأودية ، و بعد اجتماع سيوله يصب فى وادى الرشاء جنوبىّ النبوان الماء المعروف فى الرشاء ، و بعد اجتماع تلك السيول تتجه بمجرى وادى

الرشا ، ثم تأتيها أودية مصدة بلد الروسان المعروفة شمالى الدوادمى ، ووادى أفقرى ، ثم تتجه جميعا فى مجرى هذا الوادى المذكور ، ثم تأتيها سيول عرجى والنشاش ، وتصب فى ذلك الوادى .

ومن عجيب المصادفات أنه قد كان فى مجيرة وحُذُنة يوم بين عرب الجاهلية ثم كان بين متأخرى العرب فى هذا المكان يوم أيضاً ، وقد ذكرنا هذين اليومين ، وهذا وادى عرجى والنشاش ، كان فيهما يوم من أيام العرب فى الجاهلية بين بنى حنيفة و بنى عقيل ، انهزمت فيه بنو حنيفة ، فقال شاعر بنى عقيل :

فلو سئلت عنا حنيفة أخبرت   بما لقيت منا بجمران صيدُهَا

وفى هذا الموضع بعينه كان يوم عظيم للعرب المتأخرين فى سنة ١٣١٣ هجرية بين حرب وعتيبة رئيسا حرب من بنى على صنيتان الفرم وعبد الله الفرم ، ورئيس عتيبة محمد بن هندى بن حميد رئيس المقطة ، ومعه رؤساء من قومه عتيبة ، وكانت الهزيمة على حرب بعد معركة دارت من الصبح إلى بعد الظهر ، وعدد حرب يومئذ على الأكثر ربع العتبان ، فكان هذا مصداق قول العامة « الكثرة تغلب الشجاعة » .

ثم تتجه تلك السيول وترفدها سيول جبلة ، ثم تسير وقد جعلت في شمالها جبلة المشهورة فى عالية نجد الشمالية ، ثم تصب فى الرشاء ، ومن تلك الأودية شِعْب جَبَلة المشهور وكان فيه يوم عظيم بين بنى عامر ومعهم أنصارهم من فزارة ، و بين بنى تميم ومعهم أنصارهم من ذبيان و بنى أسد وهو من أعظم أيام العرب ، انهزمت فيه بنو تميم ومَنْ والاها ، وفى ذلك اليوم سيقت الإبل للقتال وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال ، وسوقها على بنى تميم برأى قيس بن زهير العبسى ، وقُتل فى ذلك اليوم لقيط بن زرارة سيد بنى تميم ، واختلفوا فى قاتله ، و يقال : إنه شريح بن الأحوص العامري ، وكان بنو عبس يضر بونه وهو ميت ، وقد استدلوا على قتله بقول ابنة لقيط حين[1] قالت: يوم جبلة

ألا يالَهَا الو يلاتُ و يلَةَ من هوى   بِضَرْبِ بنى عَبْس لقيطاً وقد قضى

لقد عفروا وجْهاً عليه مهابةٌ   ولا تحفل الصم الجنادِلُ من ثوى

وما ثأره فيكم ولكن ثأره   شريح أرادته الأسنة والقنا

وهذه الوقعة العظيمة كانت قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، قال رجل من بنى عامر :

لم أر يوماً مثل يوم جَبَلَهْ   لما أتتنا أسد وحنظلة

(١) انظر معجم البلدان ٣/٥٢ .

وغَطَفَان والمـلوكُ أَزْفَلَهْ نضربهم بقُضُب منتحلة

وقال لبيد بن ربيعة العامرى فى ذلك اليوم وهو مُخَضرم :

منا حماة الشعب يوم تواعدت أسد وذبيان الصفا وتميم
فارتثّ جرحاهم عشية هزمهم حتى بمنعرج المسيل مقيم
قومى أولئك إن سألت بخيمهم ولـكلّ قوم فى النوائب خِيمُ
وإذا تواكلت المَقَانب لم يزل بالنفر منا منسر وعظيم

هذا اليوم المشهور فى الجاهلية ، وهنا يوم قريب العهد بين العرب فى سنة ١٣٤٨ ﻫ ، بين قبيلة عتيبة برقا والروقة ، رئيس برقا مقعد الدهينة النفيمي ، ومعه جماعة من رؤساء برقا ، ورئيس الروقة عمر بن ربيعان ومعه قوم من رؤساء الروقة ، فدارت المعركة بين الفئتين ، فانهزمت برقا بعد قتال ، وانتصر الروقة فى ذلك اليوم ، وهؤلاء من بقايا بني عامر التى انتصرت على بنى تميم فى ذلك الموضع ، وهذا الموضع المذكور فى جبلة هو الذى كانت به الوقعة الأولى والوقعة الثانية .

عود إلى ذكر الحرم

ثم تتجه سيول الرشا جاعلة جبلة على شمالها ، ثم يأتيها وادى نفى ووادى الحيشة من جهته الشمالية ، ويأتى وادى جمران وما والاه من الأودية فى الجهة الجنوبية ، ثم تتجه السيول إلى جهة الخرمي وخريمان التى ذكرها زهير فى بيته ، وتمر بواردات ، وتحفها السيول من جهتها الشرقية ، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب فى الجاهلية ، قتل فيه بجير بن الحارث بن مرة ، فقال مهلهل :

أليلتَنَا بذى حُسُمٍ أنيرى إذا أنت انقضَيْتِ فلا تحورى
فإن يك بالذّنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير
فإنى قد تركت بواردات بُجَيْرا فى دمٍ مثل العبير

وكان في هذا الموضع معركة فى سنة ١٣٤٨ ﻫ بين عرب مطير ـ وهم من بقايا بنى عبد الله ابن غطفان ـ ورئيسُهم ابن ظمنة ومعه رؤساء من بطون مطير ، وبين قبيلة الروقة ، ورئيسُهم عمر ابن ربيعان ، ومعه رؤساء من الروقة ، وانتهت المعركة بهزيمة مطير وانتصار الروقة .

وهذا الجيش الذى فلّ مطيرا هو الذى فلّ جيش الدهينة فى جبلة ، وليس بين المعركتين إلا ثلاث ليال تقريبا ، وهذه الانتصارات بمساعدة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وهمته وتدبيره

فإذا اجتمعت سيول الرشا فى ذلك الموضع اتجهت إلى الخرمي وخريمان ، وهما أرض متسعة واسعة الجناب تجتمع فيها تلك السيول وتحير فيها .

أما الصوافى التى ذكرها زهير حين قال فى شطر البيت : * صَوَافٍ لا تــكدرها الدلاء * الصوافى
فهى مناهل معلومة واقعة فى الخرمى وخريمان يقال لها دهيا والربقية وربيق والملقى ، كلها آبار فى تلك النـاحية فى الخرمى وخريمان ، وهى واقعة جنوبى رامة المشهورة فى جنوبى وادى الرمة ، وغربى كثيب الشقيقة الذي يمتد شمالا إلى بلد عنيزة ، وهناك وادٍ يقال له المُخَرَّم يصب سيله فى وادى الرمة فى جهته الشمالية . وهذا الوادي ــ والذى قبله ــ واقع فى بلاد غطفان ، على حدودها الجنوبية ، وهناك روضة شرقى العرمة يقال لها « روضة خريم » ينزل بها جلالة الملك عبدالعزيز أيام الربيع ، وليست التى عناها الشاعر ، لم يقصد إلا أحد الموضعين : الخرمى ، وخريمان . أو وادي المخرم ، وكلا الموضعين فى بلاد غطفان أو قريب منهما .

يعلم قارىء هــذه الأحرف أن نجدا محبوبة عند أهلها ، لما مررنا على بيت زهير الذى يقول فيه :

يفردُ بين خُزُم مفضيات صوافٍ لا تُـكَـدِّرها الدلاء

وذكرنا السيول التى تصب فى الرشا ، ومررنا على أربعة مواضع لا يبعد بعضهـا عن بعض أكثر من مسافة يومين ، ففى أربعة المواضع ثمانية أيام من أيام العرب : أربعة فى الجاهليـة ، وأربعة قريبة العهد ، الأول منها فى القرن الثالث عشر وهو بين ابن هادى و بين تركى بن حميد ، وهو الذى فى مجيرة وحذنة . وأعرف ثلاثة سواه : أحدها الذى فى عرجى والنشاش بين عتيبة وحرب ، والثانى : فى جبلة بين عتيبة برقا والروقة ، والثالث : فى واردات ووضاخ بين مطير وعتيبة ، وكل المعارك الثلاث المذكورة أعرفها ، وهى معلومة فى نجد . وأما الذى فى القرن الثالث عشر بين ابن هادى وابن حميد لحدثنى عنه والدى عبد الله بن بليهد ، لأنه عمر واستكمل من السنين مائة سنة وست سنين منها ١٠٣ لم يتغير من فـكره شىء ، ولا من حديثه ، وثلاث سنين لا يدرى عن شىء حتى انتقل إلى رحمة الله . رحمة الله عليـه ! ومواضع المعارك : الموضع الأول بين تيما ومجيرات وحذنة ، وفيه معركتان ، والثانى : فى وادى عرجى والنشاش ، وفيه معركتان أيضا ، والثالث : فى جبلة ، وفيه معركتان ، والرابع بين وضاخ وواردات ، وفيه معركتان ، فهذه ثمان معارك كلها عظام ، ونحن فى مجرى وادى واحد من هذه المواضع ، وهذه المعارك فى نجد بين أهلها ، فماذا يكون لو طمعت فيها الأعداء .

* * *

٢٤ — وقال زهير :

كَانَّ سَحِيلَهُ فِي كلِّ فَجْرٍ عَلَى أَحْسَاءِ يَمْؤُودٍ دُعَاءُ

فَآضَ كأَنَّهُ رَجُلٌ سَلِيبٌ عَلَى عَلْيَاءَ لَيْسَ لَهُ رِدَاءُ

يعؤود أما يعؤود : فلا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، ولكنه يحتمل أن يكون واديا فى بلاد غطفان ، لأنه ذكره الشماخ فى شعره ، وهو من شعراء تلك الناحية ، وذلك حين قال :

طَالَ الثَّواء عَلَى رَسْمٍ بيعؤود حينًا وكلُّ جديدٍ بَعْدَه مُودِى
دارُ الفتاةِ التى كنا نقول لها يا ظَبْيَة عُطُلا حُسَّانَةَ الجِيد

* * *

٢٥ — وقال زهير يمدح هرم بن سنان المرى :

لِمَنْ طَلَلٌ بِرَامَةَ لاَيَرِيمُ عَفَا وَخَلا لَهُ عَهْدٌ قَدِيمُ
تَحَمَّلَ أَهْلُهُ مِنْهُ فَبَانُوا وَفِى عَرَصَاتِهِ مِنْهُمْ رُسُومُ

رامة رامة : أكثبة متراكمة ليست بالكثيرة ، باقية بهذا الاسم ، معروفة عند جميع أهل نجد ، وهي منقطع أكثبة الشقيقة مما يلى الغرب ، وشرقى الأكثبة متصل إلى بلد عنيزة ، وغربها يمتد إلى جهة الرسّ البلدِ المعروف فى أعلى القَصيم ، وطرفُ الأكثبة الغربيـة المقابلة للرسّ هى التى تُسَمى بهذا الاسم ، وهى قريب وادى عاقل الذى تقدم ذكره ، وقد ذكرتْها شعراء العرب ، قال جرير :

حَيِّ الغداةَ برامَةَ الأطلالا رَسْماً تقادم عهدُهُ فأحالا
إن السوارىَ والغوادىَ غادرَتْ للريح مخترَقًا به ومجالا
لم ألق مثلك بعد عهدك منزلا فسقيت من سبل السماك سجالا
أصبحت بعد جميع أهلك دِمْنَةً قفراً وكنت محلة محلالا

وقال بشر بن أبى خازم فى ذكر رامة :

عَفَتْ من سليمى رامةٌ فكثيبها وشطت بها عَنْك النَّوَى وشُعُوبُها
وغَيَّرَها ما غـير النـاسَ قبلها فبانت وحاجاتُ النفوس تصيبها

* * *

٢٦ — وقال زهير :

يَلُحْنَ كأَنهنَّ يَدَا فَتَاةٍ تُرَجِّعُ فِى مَعَاصِمِهاَ الوُشُومُ
عَفاَ مِنْ آلِ لَيْلَى بَطْنُ سَاقٍ فأَكْثِبَةُ الْعَجَالِزِ فَالْقَصِيمُ
تطَالِعُنَا خيـالاتٌ لِسَلْمَى كَمَا يَتَطَلَّعُ الدَّيْنَ الْغَرِيمُ

لعمر أبيك ما هرم ابنُ سَلْمى بمَلْحِيٍّ إذا اللؤَماء لِيمُوا

ساق : واقع فى الجواء معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، ومنهم من يسميه « ساق الجواء » وهو منفرد من جبال الجواء ومن جبال الموشم ومن صارات ؛ وهو أسود ، ليس بالكبير شاهق إلى السماء ، فى أرض متسعة ، وأنا قد رأيته مرارا كثيرة فى أسفاري ، قال الحطيئة : ساق

نَظَرْتُ إلى فوت ضحيا وعَبْرَتي لها من وَكيف الرأس شن وواشل

إلى العير تُحْدَى بين قَوٍّ وضارج كما زال فى الصبح الأشاء الحوامل

فأتبعتهم عينى حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجائل

وقد غلط مَنْ قال إن ساق الفريد غير ساق الجواء وهذا هو الحطيئة قد ذكره باسم « ساق الفريد » لأنه منفرد ، والدليل على أنه يعنى ساق الجواء أنه ذكر معه موضعين ـ وهما قوّ وضارج ـ وهما واقعان فى ناحيته .

والعجالز : واقعة فى جهة القَصيم ، وذكروا أنها قريب النباج ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، وهى أكثبة ، قال ذو الرمة : العجالز

وقمن على العجالز نصف يوم وأدين الأواصر والخلالا

القصيم : هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، واقع فى القطعة الشمالية من نجد ، عامر ، كثير القرى والنخيل والمزارع ، تبلغ قراه وخبوبه والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتى قرية ، ومدنه : بريدة ، وعنيزة ، و بلد الرس . حدهُ الجنوبى بلد المذنب ، وحده الشمالى بلد القوارة ، وحدوده الشرقية النباج الذي يسمى اليوم الأسياح ، وحدود الأسياح الشمالية : حنيظل ، وأبو الدود ، والقيصومة ، وحدود الأسياح الجنوبية : الجعلة ، والنبقية . وحدوده الغربية شماليها : وثال ، وعيون الجواء ، والروض ، وجنوبيها : الرس وما حوله ، قال أهل اللغة عن سبب تسميته القصيم : إنه أكثبة متقصمة تنبت الغضى ، قال محمود شكري الآلوسى : سمى القصيم ، لأنه قصيمات رمل متقطعة ، وهو يشقه طريق الحاج من البصرة إلى مكة نصفين ، وهو الفاصل بين جَبَلَىْ طي وحايل وقراها و بين عارض اليمامة وقراه ، ووشم اليمامة الذى عاصمته بلد شقرى واقع فى النصف من الطريق بين القصيم والعارض ، أنشد ابن السكيت فى ذكر القصيم : القصيم

ياريها اليوم على مبين على مبين جرد القصيم

وفيه معارك فى الجاهلية والإسلام ، قال زيد الخيل الطائى :

وَنَحْنُ الجالبُونَ نِساء عَبْسٍ　　إلى الجبلين من أهل القصيم
فكان رَوَاحُها للحى كعب　　وكان غدوها لبني تميم

وتنتهى إليه سيولُ الرمة إذا حجزتها الأكثبة الواقعة عن بلد عنيزة شرقاً ، وإذا حجزته تلك الأكثبة ينعرج على يمينه ويجتمع فى روضة الزغيبية المشهورة شرقى عنيزة ، وهى موضع القريتين المذكورتين فى الزمن القديم قريب النباج ، وذكروا أن أسفل وادى الرمة تحير فيه المياه ويكون به وباء من الحمى لكثرة المياه ، قال أعرابى يذكر وَبَاء القصيم وكثرة القتال فيه :

إن القصيم بلد محمّة　　أنكد أفنى أمة فأمّة

وفى سنة ١٢٩٥ فى رجب منها جاء آلُ عاصم بطن من قحطان رئيسهم حزام بن عبدالرحمن ابن حشر ، فدخلوا فى أكثبة الشقيقة والغميس المجاورة لبلدعنيزة ، وهى حِمَى لأهل عنيزة يرعون الإبل والأغنام ويمنعون الكلأ لسوانيهم التى تسقى الزرع ، فدخلوا فى ذلك الحمى ، وأرسل إليهم أهل عنيزة أن أذهبوا عنا وعن بلادنا والفلاةُ واسعة ، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بغى وتجبر على أهل القرى وتطاول ، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التى أرسلها إليهم رئيس البلد زامل بن سليم ، وكان بها قاضٍ يقال له على آل محمد متخرج على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبى بطين[1] فجاءه أميرُ البلد وقال له : أيها القاضى ، إن هؤلاء الأعراب قد طَغَوْا وتجبروا علينا يضربون مَنْ وجدوا فى تلك الناحية من أهل البلد من الرعاة وغيرهم ، وقد آذَوْنا ، فهل يحل لنا أن نغزوهم ؟ قال : نعم ، فتأهبوا للغزو وخرجوا يوم الأربعاء ، فلما خرجت الراية مع صاحبها الصقيرى على راحلته انكسر الرمح الذى فيه الراية ، فأمر رئيس الجيش زامل بن سليم القوم أن ينزلوا ، فرجع إلى القاضى فقال له : إنا خرجنا فى هذا اليوم يوم الأربعاء ، وهو مكروه عند العرب ، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت ، فماذا ترى ؟ أنقيم اليوم ونغزو غدا نهار الخميس ؟ فقال الشيخ : خذوا رمحاً سالماً وأصلحوا رايتكم واغزوا على بركة الله ؛ فإنه لا خير إلا خيره ، ولا طير إلا طيره ، وليس عند الأيام خبر ، فمشوا من حينهم والعدو قريب مسافة يوم وكان فى بلد عنيزة رجل يقال له ابن فتنان من قحطان المَغْزُوِّين ، فقال لابنته : اذهبى إلى قومنا فى جوف الليل وأخبريهم الخبر أن أهل عنيزة واصلوهم قريبا ، وكانت ابنته ذاتَ جمال ، فلما وصلت

(١) وكان أبو بطين قاضيا فى عنيزة ، فكان ينيبه فى غيابه ، فتولى قضاء عنيزة من سنة ١٢٦٩ هـ إلى أن توفى سنة ١٣٠٤ هـ ، وهو من قبيلة الأساعدة أهل الزلفى ، وبلده علقة من قرى الزلفى ، انتهى مصنف . وقحطان إذ ذاك يشربون ماءة دخنة الهجرة المعروفة اليوم لحرب .

إلى نادى آل حشر رؤساء تلك القبيلة وقفت على النادى ثم قالت : إن أبى أرسلنى إليكم يقول : إن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذركم فإنى لم آتكم بنفسى خوفا أن يغضب على جيرانى ، وأرسلنى لأخبركم ، فضحكوا ، والتفت بعضهم إلى بعض ، فقال بعضهم : هذا النذير أحسن مايفعل به أن يزغب[1] فهم فى ضحكهم وتهكمهم بها إذ طَلَعت عليهم جيوشُ أهل عنيزة فقتلوهم قتلة عظيمة أصابت من آل حَشْر الرؤساء أحدَ عَشَرَ قتيلا ، منهم : الرئيس حزام بن حشر أبو فيصل بن حشر الرجل المشهور فى معية جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفيصل المذكور فارس من رُمَاة أهل نجد المشهورين ، هلك سنة ١٣٥٨ هـ تقريبا ، فانهزم القحطانيون ، ودفنوا قتلاهم ، وحملوا أميرهم حزاما حين أثخنته الجراحات ، فلما وصلوا ماء نفى المشهور فى عالية نجد مات فى ذلك الوادى ، فدفنوه ، وقال شاعر آل عاصم أبياتاً نَبَطية بعد دفنه وارتحالهم من نفى ، وهى قصيدة طويلة قالها ابن معمر :

لو أجملنا إلى يشيل الروايا ... الياقربو للشيل وثنات الجمال

لو ان الربيع من دفوفه دمايا ... مهوب من كثر العلايق بملال

فى جال فيحان عليه البنايا ... خلوه فى خرب الجبا مظلم الجال

شلنا وخلينا زبون الحفايا ... على نفى شرق عن القصر نزال

فيحان : اسم لوادى نفى عند جميع الأعراب ، وقوله « خرب الجبا مظلم الجال » أراد به القبر ، فيحان

ومصلط بن ربيعان الروقى كان به تجبر على أهل القرى ، فجاء إلى حمى أهل عنيزة[2] ففعل مثلما فعل مَنْ قبله من التضييق على أهل عنيزة ، والرئيس هو الرئيس الأول ، والوقعتان قريب بعضهما من بعض فى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة ، فصبحوه وأخذوا إبله وأمتعته ، وكانت إبله يسميها سبلا ، فقال قصيدة نبطية منها فى سنة ١٢٨٩ :

يلميت سبلا يوم جاها بلاها ... مهيب عند مصرفة خضر أَلرّباع

(١) الزغيب : عند قحطان وقسم من الأعراب أهل نجد وقراها هو كناية عن الجماع ، وقد حدثنى من أثق به عن أبيه أنه حدثه ابن فتنان لما رجعت إليه ابنته وأخبرته بكلام قومه وتهكمهم بها ، التهب قلبه التهاب النار من أجل تهكمهم بابنته ، وفى غد أتاه الخبر بقتلهم وقتل أحد عشر رئيسا منهم وأخذهم وطردهم ، فسكن عند ذاك اللهب ، فنصر الله الشيخ وابنته كما نصر أهل عنيزة ، وإن ربك لبالمرصاد

(٢) وذلك فى شوال سنة ١٢٨٩ هجرية ، وهو إذ ذاك قاطن على ماءة الثامرية الواقعة عن بلد عنيزة شرقا . مصنف

خضر الأرباع : عملة يتعامل بها أهل القصيم .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ تقريباً جاء قوم من حرب يقال لهم « الفردة » رئيسهم ابن هديب ، فدخلوا في ذلك الحمى حِمَى عنيزة ، ورئيسها يومئذ ابن سليم ، فأرسلوا إلى الأعراب وحذروهم أن اذهبوا عن هذا الحمى ، فلم تربع الأعراب إلى هذا الإنذار ، فخرج أهل عنيزة عليهم ، فقتلوا رئيس الفردة ابنَ هديب .

أما موقعها : فشرقيها قور[1] وجبال صغار ، متصلٌ بعضها ببعض ، وغربيها كثيب أحمر ، وهي بين الكثيب و بين القور ، في أرض منخفضة عذبة الماء كثيرة النخيل ، وشماليها وادي الرمة به لهم نخيل ومزارع ، ويُسميه بعضُ أهل نجد « وادي عنيزة » .

بريدة أما بريدة : فهي بلد واسعة ، جميع القصيم يُعَدُّ من ملحقاتها ، وهي أكبر من عنيزة في موضعها و إمارتها وملحقاتها ، أدركت أمراءها آل أبي الخيل من عنزة ، ثم استعمل عليها جلالةُ الملك عبد العزيز آل سعود عمالاً من أبناء عمه وغيرهم ، وبها قصر منيع يسكنه الأمير وخَدَمُه ، وأهلها أمة مطيعة للولاة ، وجميع الحدود التي حددناها سابقا للقصيم تابعة لها .

القصيم أما القصيم : فهو مواضع جاهلية لها ذكر في أشعار العرب قبل الإسلام و بعده ، كالنباج الذي يسمى اليوم الأسياح ، وقرى الجِواء والقريتين موضع روضة الزغيبية اليوم ، والرس والرسيس والعاقلي ، وأكثر قرى القصيم مذكورة في أشعار العرب وتاريخهم . أما بريدة[2] : المدينةُ المشهورة في وسط القَصيم ؛ فالذى اكتشفها الدريبي من أهل ثرمدا من العناقر ، اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً ، و بقايا ذريته هم آل أبي عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة ، وهم رؤساؤها وأمراؤها ، منهم حجيلان الذي له ذكر في زمن الإمام سُعُود بن عبد العزيز ، ومنهم عبد العزيز آل محمد الذي له ذكر في زمن الإمام فيصل ، ومنهم محمد آل علي بن عرفج ، فكل هؤلاء من آل أبي عليان .

وآل عرفج منهم المرأة التي قتلت قاتل أبيها ، قال شاعر في قصيدة له نَبَطية :

عيسى يقول الحرب للمال نفاد   أنشد مسوى السيف هو كيف حانيه
إن كان ماترويه من دم ألَضْداد   كزوه لم العرفجية ترويه

وقصتها مشهورة عند عامة أهل نجد ، وأعرف ثلاث نسوة من نساء أهل نجد قَتَلْنَ الرجال :

(١) القور : هي الجبيلات الصغار ، مفردها قارة ، وهي لغة قديمة ، قال كعب بن زهير في لاميته :
« كما تلفع بالقور العساقيل »

(٢) ذكرها صاحب منجم العمران المستدرك على معجم البلدان ، لأنه كتاب حديث .

الأولى : العرفجية آنفة الذكر ، قتلت قاتل أبيها ، و بنت الأصقة العجمى ، قتلت ابن حثلين شيخ العجمان قاتل أبيها ، و بنت المطرودى راعى الموشزية ، أخذت إبلهم يوم الجمعة وأهلها غائبون للصلاة ، فأخذت البندقية وركبت الفرس وعليها ثياب أخيها ولحقت الأعداء وقتلت رئيسهم ورجعت بالإبل ، ولها حديث طويل فى ذلك ، وهى خالة عبد الله بن جلوى أمير الأحساء ، رحمه الله !

وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة ، هم من قبائل شتى ، ولكن كلمتهم مجتمعة ، يتجرون فى الإبل ، وفى السنين الأخيرة اتجروا فى جميع أنواع التجارة ، وأميرهم فى هذا العهد سنة ١٣٦٦ هجرية عبدُ الله بن فيصل آل فرحان من أقارب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود[١] .

وقول زهير * تطالعنا خيالات لسلمى * لعله[٢] يريد بسلمى فى هذا البيت الجبلَ الثانى من جبلَىْ طيىء أجأ وسَلْمى ، وهو معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وذلك أن سَلْمى قريب من جهة القصيم ، وفيه بطن من الأسلم من شمر ، وأجبلتها بين الحرة والواد ، وقد مضى الكلام عليها فى مواضع من هذا الكتاب موقعها بين جبل رمان وجبل أجأ ، شرقيها فيد وركك ، وغربيها مُتاخم لغربى جبل رمان .

* * *

٢٧ — وقال زهير يخاطب بنى تميم لمَّا بلغه أنهم يريدون غزو غَطَفان :

أَلاَ أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ ... وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ الظُّنُونُ[٣]

بِأَنَّ بُيُوتَنَا بِمَحَلِّ حَجْرٍ ... بِكُلِّ قَرَارَةٍ مِنْهَا نَكُونُ

إِلَى قَلَهَى تَكُونُ الدَّارُ مِنَّا ... إِلَى أَكْنَافِ دُومَةَ فَالْحُجُونِ

بِأَوْدِيَةٍ أَسَافِلُهُنَّ رَوْضٌ ... وَأَعْلاَهَا إِذَا خِفْنَا حُصُونُ

حجر : قد مضى الكلام عليه فى أشعار زهير فى رائيته التى مطلعها :

* لمن الديار بقُنَّةِ الحجْرِ *

أما قلَهى فقد قال عرام بن الأصبغ السلمى[٤] فى كتابه عن جبال الحجاز وتهامة وأوديتها : وبالمدينة وادٍ يقال له « ذو رَوْلاَن » به قرًى منها قَلَهَى ، وهي قرية كبيرة . اهـ . فأما الذى قلهى

(١) وأمير بريدة وملحقاتها فى هذا العهد عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك المعظم ووالده عبد العزيز بن مساعد أمير على حائل وملحقاتها .

(٢) ولعله يريد بسلمى اسم امرأة ينتابه خيالها

(٣) روى ثعلب « وقد يأتيك بالنصح الظنون » . (٤) انظر معجم البلدان ٧ / ١٥٤ .

عَنَاه زهير فهو ماء يقال له قَلَهَى واقع فى بلاد غطفان ، وهو الماء الذى نزلته عبس وفزارة بعد حروبها ، وتصالحت عليه ، و بعد ما تواثقُوا قامت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان وطالبوا بنى عبس بدماء عبد العُزّى بن جداد ومالك بن سبيع ، ومنعوهم الماء حتى أعطوهم الدِّية ، فقال معقل ابن عوف بن سبيع الثعلبي :

لَنِعْمَ الحىُّ ثعلبةُ بن سَعْدٍ إذا ما القوم عَضَّهُم الحديدُ
هم رَدُّوا القبائلَ من بَغِيضٍ بغيظهمُ وقد حَمِىَ الوَقُودُ
تَطَلُّ دماؤهم والفَضْلُ فينا على قَلَهَى ونحكم ما نريد

دومة — دُومَةُ : هى دُومَةُ الجندل ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، والمواضع التى تُسَمَّى بدومة كثيرة ، ولكن الشاعر لم يَعْنِ إلا دُومَةَ الجندلِ ، وهى ثلاث قرى عظام : دومة ، والقارة ، وسكاك ، واسمها القديم سكاكه ، بها عامل على تلك المقاطعة لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فنقلت دائرة الإمارة من بلدة دومة إلى بلد سكاك ، وأميرها فى سنة ١٣٦٦ عبد الرحمن آل أحمد السديرى ، وفى تلك الناحية حصن يقال له « مارد » وهو حصن أُكيدر ابن عبد الملك الذى ينتهى نسبُه إلى أشرس بن ثور بن عُفَير ، وهو من كندة ، وهو الذى وَجَّه إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد من تَبُوكَ ، وقال له : ستلقاه يصيدُ الوحشَ ، وجاءت بقرة وحشية فحكت قرونها بحصنه ، فنزل إليها ليلاً ليصيدها ، فهجم عليه خالدُ ابن الوليد ، فأسره ، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك ، وافتتحها خالدُ عنوةً ، وذلك فى السنة التاسعة من الهجرة ، ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم صالح أُكيدر على دُومة ، وأمَّنه ، وقرر عليه وعلى أهله الجِزْيَةَ ، وكان نَصرانياً ، فأسلم أخوه حُرَيث ، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ما فى يده ، ونَقَضَ أُكيدر الصلحَ بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأجلاه عُمَرُ رضى الله عنه من دُومَةَ فيمن أجلى من مُخَالفى دين الإسلام إلى الحِيرة ، فنزل فى موضع منها قريب عين التمر و بنى به منزلاً وسماه دومة ، وقيل : دوماء ، باسم حصنه بوادى القرى ، فهو قائم يعرف إلا أنه خراب ، وقال الشاعر فى إجلاء عمر رضى الله عنه أُكيدر :

يا من رأى ظُعُناً تحمل غدوة مِنْ آل أُكدر شَجْوُهُ يعنيني
قد بُدِّلَتْ ظَعَناً بدار إقامةٍ والسير من حصن أشَمّ حصينِ

الحجون — الحَجُون : هو الواقع فى أعلى مكة مما يلى مقابرها ، وهو الذى عناه مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمى حين قال يتشوق إلى مكة :

كأنْ لَمْ يَكُنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا أنيسٌ ، ولم يَسْمُرْ بمكة سامر
بَلَى نحنُ كُنَّا أهْلَها فأزالنا صرُوفُ الليالى والجدودُ العوائر

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ومعنى بيت زهير أن غطفان ملأت ما بين دومة الجندل إلى الحَجُون ، ولكنه يكذب فى آخر الأبيات حين يقول : * وأعلاها إذا خِفْنَا حُصُون * فيظهر من هذا الشطر أنهم لم يملأُوا الذى بين دُومَةَ فالحجون ، ولم يملأُوا بلاد غطفان

* * *

٢٨ — وقال زهير :

عَلَى رِسْلِكُمْ إنَّا سَنُعْدِى وَرَاءكُمْ فَتَمْنَعُكُمْ أرْمَاحُنَا أوْ سَنُعْذَرُ
وَإلاَّ فَإنَّا بِالشَّرَبَّةِ فَاللِّوَى نعقر أُمَّاتِ الرِّبَاعِ وَنَيْسِرُ

أما الشَّرَبَّة فقد مضى الكلام عليها على قصيدة امرئْ القيس عند هذا البيت[١] . الشربة

تَخَطَّفَ خِزَّان الشَّرَبَّةِ بالضُّحَى وَقَدْ حجرت منها ثعالب أوْرَالِ

* * *

٢٩ — وقال زهير :

إنَّ الرَّزِيَّةَ لاَرَزِيَّةَ مِثْلُهَا مَاتَبْتَغِى غَطَفَانُ يَوْمَ أضَلَّتِ
إنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَامرَّةٍ بِجُنُوبِ نخل إذَا الشُّهُورُ أحلَّتِ

أما نخل فقد مضى الكلام عليه فى أشعار زهير حين قال فى لاميته[٢] نخل

تَرَبَّص فَإنْ تُقْوِ المروراةُ منهمُ وداراتها لا تُقْوِ منهمْ إذاً نَخْلُ

* * *

٣٠ — وقال زهير :

غَشِيتُ دِيَارًا بِالبَقِيعِ فَثَهْمَدِ دَوَارِسَ قَدْ أقْوَيْنَ مِنْ أمِّ مَعْبَدِ[٣]
أربَّتْ بِهَا الأرْوَاحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ[٤]

(١) انظر ص ٨٧ من هذا الجزء . (٢) انظر ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٣) فى رواية ثعلب « غشيت الديار بالبقيع » وأقوين : أقفرن

(٤) أربت : أقامت ، والإرباب : الإقامة وعدم البراح .

البقيع أما البقيع : فقد مضى الكلام عليه فى ذكر مياه الجِواء على معلقة امرئ القيس على ذكر بقيعا ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وأما ثهمد : فسيأتى الكلام عليه ـ إن شاء الله ـ فى معلقة طَرَفَةَ .

* * *

٣١ — وقال زهير :

إلَى هَرِمٍ سَارَتْ ثَلاَثاً مِنَ اللِّوَى   فَنِعْمَ مسِير الْوَاثِقِ الْمُتَعَمِّدِ
سَوَاء عَلَيْهِ أىَّ حِينٍ أتَيْتَهُ   أسَاعةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أمْ بأَسْعُدِ

اللوى اللوى : الواقع فى بلاد غَطَفان لوى عربق الدسم الذى يقع طرفه بالقرب من أبان الأحمر الجنوبى الواقع على ضفة الرمة الجنوبية ، ويمكن أن يكون زهير قد عَنَى منقطع هذا الكثيب فى بلاد غطفان

* * *

٣٢ — وقال زهير يمدح سِنَان بن أبى حارثة المرى :

أمِنْ آل لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولاَ   بِذِى حُرُضٍ مَاثِلاَتٍ مُثُولاَ
بَلِينَ وَتَحْسَبُ آيَاتِهِنَّ   عن فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقًّا مُحِيلاَ

حرض حرض : هذا الاسم يطلق على مواضع كثيرة ، منها حرض فى جهة المدينة عند قناة قريبَ أُحُد ، وهو الذي قال فيه حكيم[1] بن عكرمة الديلمى وهو يتشوق إلى المدينة :

لعمرك لَلْبلاط وجانِبَاهُ   وحَرَّة واقِمٍ ذات الْمَنَارِ
فَجَمَّاء العَقِيق فَعَرْصَتَاه   فَمَفْضَى السيلِ من تلك الحِرَارِ
إلى أُحُدٍ فذى حُرُضٍ فَمبْنَى   قِباب الحىِّ من كَنَفَىْ صرار
أحبُّ إلىَّ من فج بِبُصْرَى   بلا شك هناك ولا اثتمار
ومن قريات حمص وبعلبك   لَوَ أنِّى كنت أُجْعَلُ بالخيار

ولما استولى اليهود فى الزمن القديم على المدينة وتغلبوا عليها كان لهم ملك يقال له : الفِطْيَوْن ، وكان قد سن فيهم سنة أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى يكون هو الذى يَفْتَضُّها قبله ، فبلغ ذلك أبا جُبَيْلة أحدَ ملوك اليمن ، فقصد المدينة ، وأوقع باليهود بذى حُرُض ، وقتلهم ، فقالت سارة القرظية تذكر ذلك :

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٥٢ .

بأهل رِمَّةٍ لم تُغْن شيئاً　　بذى حُرُض تُعَفيها الرياحُ
كهول من قريظة أتلفتهم　　سيوفُ الخَزْرجية والرماحُ
ولو أذنوا بحربهمُ لَحَالَتْ　　هنالك دونَهُمْ حَرْبٌ رَدَاحُ

وقد قال كثير ذاكرا هذا الموضع المُجاور للمدينة .

أَرْبَعْ فحيِّ معارف الأطلال　　بالجزع من حُرُض فهنَّ بَوَالِ

وهناك موضع آخر يقال له « حرض » فى هذا العهد واقع بين الخَرْج ومقاطعة الأحساء ، وهو فى الزمن القديم يقال له « دحرض » ، وسيأتى الكلام عليه فى معلقة عنترة إن شاء الله تعالى .

وفى جهة الأفلاج موضع يقال له « حراضة » واقع فى بلاد الأفلاج كثير النخل .

وهناك موضع فيه ماءة يقال لها « حراضة » واقع غربي حَضَنِ الجبلِ المشهور الواقع جنوبى ركبة ، وكان بخيت بن ماعز الروقى قد طرد قوما من البقوم وقد أيقنوا بالهلاك فالتجئوا إلى طرف حَضَنِ المطل على ماء حراضة المذكورة ، فقال فى ذلك قصيدة نبطية منها :

رب نصفنى من بنى عم عاضه　　بشلف تروى حدها والمسامير
ظلع البقوم إلى أمقاد حراضه　　اكسيه يالبقا ثياب مشاهير

ذكر للبقوم أنه يجب عليهم أن يَكْسُوا هذا الجبلَ الذى مَنَعهم منه .

والذى عناه زهير فى قصيدته وادٍ فى بلاد غَطَفَان فيه ماء قليلٌ يقال لهذا الوادى حرض ، واقع فى جبل في العلم ، وهو فى حدود بلاد غطفان الشمالية ، يوجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، إذا خرجْتَ من ماء النقرة قاصدًا الشمالَ وجعلْتَ جبل العَلَمِ على شمالك ، وسلكت الطريق المسمى قعضب عند أهل تلك الناحية ، وخرجت منه ، فماء النحائت التي تقدم ذكرها على يمينك ، وماء حرض على شمالك .

انتهى ذكر الأماكن الواردة فى شعر
زهير بن أبى سُلْمَى المزنى
والحمد لله أولا وآخرا

٣

طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ الْبَكْرِيُّ

طرفة بن العبد البكرى

(مات سنة ٧٠ قبل الهجرة ـ ٥٥٠ للميلاد ، تقريبا)

١ — قال فى مطلع معلقته :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِى ظَاهِرِ الْيَدِ
بِرَوْضَةِ دُعْمِىٍّ فَأَكْنَافِ حَاجِرٍ ... ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِى وَأُبْكِى إِلَى الْغَدِ[1]
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

ثهمد أما ثهمد و برقةُ فإنا لما أمعنا النظر فيما وقفنا عليه من تحديد موقعه فى كتب المعاجم وشروح الأشعار الواردة فى ذلك ، اهتدينا إلى موضعه الآن ، لكنه قد تغير اسمه ، حدده الهَمْدانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » فقال : هو واقع فى حزيز وضاخ الذى يمتد منه إلى حليت ؛ والموجود هنالك سناف أسود يقال له اليوم « حيد الردامى » يتصل غربا بحزوم وأبارق ، وهى البرقة التى ذكرها طَرَفة فى قوله « ببرقة ثهمد » وثهمد : هو من حيد الردامى المسمى اليوم بهذا الاسم ، قال الأعشى :

هَلْ تذكُرِين العهدَ يابنة مالكٍ ... أيام نرتبع السِّتار فثَهْمَدَا

والستار الذى عناه الأعشى موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، لا يبعد عن أبارق ثهمد إلا أقل من مسافة نصف يوم ، والستار المذكور : واقع بين غول ومنية اللذين ذكرهما لبيد بن ربيعة فى معلقته .

ولست أعرف في جزيرة العرب موضعا يطلق عليه اليوم اسم ثهمد ، ولكنه على حسب تحديد الهمدانى واقع عند حيد الردامى من غير إشكال .

والأبارق المضافة إليه واقعة فى غربيه الجنوبى مما يلى الستار ، الذى ذكره الأعشى ، وهو غير الستار الذى ذكره امرؤ القيس ؛ لأن الذى ذكره امرؤ القيس فى حِمَى ضَرِيَّة ، والذى ذكره الأعشى واقع فى شرقى طخفة شمالى غول قريبا من منية .

وفى جزيرة العرب خمسة جبال كلها تسمى بالستار ، وكلها أسماء جاهلية باقية إلى هذا العهد .

---

(١) هذا البيت ساقط من رواية التبريزى والزوزنى ، وقد رواه ياقوت (٤ / ٣١٦) وفيه عنده « فأكناف حائل » .

روضة دعمى

روضة دعمى : لم أعرف فى بلاد العرب روضة بهذا الاسم إلا روضة واحدة تقع بين قنيفذة وكثيب نفود السر، وقنيفذة : هى الأكثبة المتراكة بين مراة و بين السر ، وروضة دعمى واقعة بين قنيفذة والسر غربى مراة ، وهى : روضة كبيرة كثيرة السِّدْر والسَّلَم والطلح ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، تسمى « روضة بن دعمان » يعرفها الكثيرون من أهل نجد ، تقع فى النصف بين كثيب السر وكثيب قنيفذة ، وهى لكثيب قنيفذة أقرب ، بين أبرق المتياهة و بين (خَلْ)[1] سعود وهى التى تسميها العامة « روضة سدران » وهذا الاسم حديثٌ ، سَبَبُه أن السيول كثرت فيها عاما من الأعوام فخرج فيها ماء بين سِدْر فسميت هذه المساءة « سدران » ثم غلب هذا الاسم حتى قيل لها « روضة سدران » وهى بنفسها « روضة دعمان » وهذا الاسم الأخير قديم ، وأنا أعرفها من مدة قديمة بهذا الاسم ، وهى التى عناها الشاعر بقوله :

هَيْهَات مسكنُها من حيث مسكننا   إذا تضمنها دعمان فالدور

ولست أعرف فى بلاد العرب موضعا بالاسم الذى ورد فى شعر طرفة غير الذى ذكرنا .

وقول طرفة « أكناف حاجر » فى لغة العرب قديما وحديثا أن الموضع الذى ينحجر فيه السيلُ من الأرض يسمى « حاجراً » فهو اسم جنس غير معين ، فإن كان طرفة عنى بذلك ماحَجَر السيل من الأرض فهو قريب من «روضة دعمى» من محاجر السيل التى هى مجاورة لها ، و إن كان قصد موضعاً بعينه فلست أعلم موضعاً يقال له حاجر إلا موضعاً واحداً يقع عن وادي الرمة شمالا ، وهو قريب النقرة ، يبعد عنها مسافةَ نصفِ يومٍ تقريباً ، يقال له فى هذا العهد « الحاجر » وهو منهل تَرده الأعراب .

النواصف ودد

النواصف ودد : كلها واقعة فى البحر الشرقى ، لأن طرفة حين قال : * خلايا سفين بالنواصف من دد * أتبعها بقوله * عَدَوْلِيَّة أو من سَفِين ابن يامن * وامرؤ القيس لما وصف الظعائن وقال :

فشبهتهم فى الآل لما تكمشوا   حدائق دَوْم أو سفيناً مُقَيَّرا

من المكرعات من سَفِينِ ابن يامن   دُوَيْنَ الصَّفَا اللائى يلين الْمُشَقَّرَا

والصَّفَا والْمُشَقَّر فى هَجَر بغير خلاف ، وطرفة ذكر سفينَ ابن يامن ، ودَد : اسم لوادٍ يصب فى البحر الشرقى .

والنواصف : هى نواصف هذا الوادى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وأما صاحب معجم البلدان فإنه قال[2] على ذكره : هو موضع ، واستدل بقول طرفة فى معلقته ، ومنهم

(١) الخل . طريق نافذ بين كثيبين من الرمال .   (٢) المعجم ٨ / ٣١٩

من قال : إنه وادٍ من أودية عمان يصب فى البحر ، والنواصف التى ذكرها طَرَفَة هي نواصف دد وقد ورد لها ذكر فى أشعار كثيرة ، قال ود بن منظور الأسدى :

ألا حَيٌّ رَبْعًا بالنواصف أو رَسْمًا خَلاَ دمية الأرواح تلسمه طسْمًا[١]

وقد دَرَسَ ذكر الناس للنواصف ولِدَدٍ ، وظنى أن أحداً لا يعرفهما اليوم بهذين الاسمين ، وقد أطَلْتُ البحث عن دَدٍ وموضعه ، فقال لى بعضُ أهل الأدب : أنا أظن أن « ددا » هى المدينة الواقعة فى عمان التى يقال لها اليوم « دبي » وأن الاسم قد تغير فأبدل القوم دالها باء ، فرجعت إلى كتب المعاجم الاستقصاء عن دد ، وعن دبى ، فوجدت دبى هذا الاسم من عهد الجاهلية فقد كان يقال له فى الزمن القديم « دبا » واتل أيهـا القارىء هذه العبارة التى أوردها ياقوت فى معجمه عن الأصمعى حتى يزول عنك الشك، وتعلم أن ددا اسمُ قديم جاهلى ودبى أيضا اسم قديم جاهلى قال ياقوت [٢] : و بعمان مدينة مشهورة قديمة يقال لها « دبا » وهى قصبة عمان ، ولعل هذه السوقَ المشهورة التي فتحها المسلمون فى أيام أبى بكر رضى الله عنه عنوة سنة إحدى عشرة وأميرهم حُذَيفة ابن محصن فقتل وسبا ، قال الواقدى : قدم وفد الأزد من « دبا » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقرين بالإسلام ، فبعث عليهم مُصَدِّقا منهم يقال له حذيفة بن محصن البارقى ، ثم الأزدى من أهل « دبا » فكان يأخذ صدقة أغنيائهم وَيَرُدُّها إلى فقرائهم ، و بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرائض لم يجد لها موضعاً ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدُّوا ، فدعاهم إلى النزوع ، فأبوا ، وأسمعوه شتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فكتب حذيفة فى ذلك إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بن أبى جهل ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات عامر ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم انحاز عكرمة إلى تبالة : أن سِرْ فيمن قِبَلك من المسلمين ، وكان رئيس أهل الردة لقيط بن مالك الأزدى ، فجهز لقيطٌ إليهم جيشا ، فالتقوا ، فهزمهم الله ، وقتل منهم نحو المائة حتى دخلوا مدينة « دبا » فتحصنوا بها فحاصرهم المسلمون شهراً أو نحوه ،ولم يكونوا قد استعدوا للحصار ، فأرسلوا إلى حُذَيفة يسألونه الصلح فقال : لا أصالح إلا على حكمى ، فاضطروا إلى النزول على حكمه ، فقال : اخرُجُوا من مدينتكم عُزْلا لا سلاح معكم ، فدخل المسلمون حصنهم ، فقال : إنى حكمت فيكم أن أقتل أشرافكم وأسبى

(١) وقع فى معجم البلدان « نطمسه طمسا » بتقديم الميم على السين ، وهو تحريف ، وتقول « طمس الطريق » و « طسم » بمعنى واحد ، ومعناها درس ، وانظر شواهد ذلك فى اللسان (ط س م) . (٢) المعجم ٤ / ٣٠ .

ذراريكم ، فقتل من أشرافهم مائةَ رجلٍ ، وسبى ذراريهم ، وقدم سبيهم المدينة ، فاختلف المسلمون فيهم ، وكان فيهم أبو صُفْرَةَ أبو المُهَلَّب غلاماً لم يبلغ ، فأراد أبو بكر رضى الله عنه قتلَ مَنْ بقى من المقاتلة ، فقال عمر رضى الله عنه : ياخليفةَ رسولِ الله ، هم مسلمون ، إنما شحُّوا بأموالهم ، والقومُ يقولون : ما رجعنا عن الإسلام ، فلم يزالوا موقوفين حتى توفى أبو بكر رضى الله عنه، فأطلقهم عمر رضى الله عنه ، فرجع بعضهم إلى بلاده ، وخرج أبو المُهَلَّب حتى نزل البصرة ، وأقام عِكْرِمة بدَبَا عاملا لأبى بكر ، وآلُ المهلَّبِ استوطنوا البصرة ، وكانوا قُوَّادًا وعمالا لبنى أمية حتى قَضَتْ عليهم تلك الدولة ، وأحزم من تولى منهم قتال الخوارج المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة ، وله عليهم انتصارات عظيمة ، وهو الذى فَلَّهم بعد الصبر والمُطاولة .

* * *

٢ — وقال طرفة :

تُبَارِى عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

تَرَبَّعَتِ القُفَّيْنِ فِى الشَّوْلِ تَرْتَعِى حَدَائِقَ مَوْلِىِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ

أما القفان فإن المواضع التى تسمى بهذا الاسم كثيرة منها « قف » قريب حَفْر أبى موسى الأشعرى فى الصَّمَّان ، و « قف » فى جنوبى الصَّمَّان مما يلى طريق الأحساء السالك إلى نجد ، و « قف » فى جهة المدينة ، و « قف » قريب الرس جنوبى وادى الرمة ، و « قف الجواء » شمالىّ الرمة ، ورد لها ذكر فى أشعار العرب ، فإذا قال الشاعر « القُفَّان » بالتثنية فهما فى الصمان ، وقد مر ذكرهما ، وإذا أفرد فهو يقصد أحدهما ، وإذا ثناهما شاعر غَطَفانى كزهير وغيره فهما الواقعان قريب الرمة ، وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخى ذى الرمة وهى تذكر القف القريب من المدينة ، وقد رحل بها زوجها إلى تلك الناحية[١] : القفان

نَظَرْتُ ودونى القفُّ ذو النخلِ هل أرَى أجارعَ من آل الضُّحَى فى ذرى الأمل
فيالك من شوق رَجيعٍ ونظرة ثناها علىَّ القفُّ خبلا من الخبل
ألا حَبَّذَا ما بين حُزْوَى وشارع وأنقاء حُزْوى من حزون ومن سَهْل
لعمرى لأصْوَاتُ المَكَاكِىِّ بالضُّحى وصوتُ صباً فى حائط الرِّمْثِ بالدحل
وصوتُ شمالٍ زعزعت بعد هَدْأة الاء وأسْبَاطا وأرْطَى من الحبل
أحبُّ إلينا من صياحِ دَجَاجَة وديكٍ وصوتِ الريح من سَعَفِ النَّخْلِ

(١) انظر معجم ياقوت ٧ / ١٤٠ .

فياليتَ شعرى هل أبيتنّ ليـلة   بجُمْهورِ حُزْوَى حيث رَبتنى أهلى

وقد قال زهير حين أفرد القف :

لمن طَلَل كالوحى عافٍ منازِلُه   عفا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقِلُه
فقفٌ فصاراتٌ فأكناف مَنْعَج   فشرقىُّ سَلْمى حَوْضُهُ فأجاوِلُهْ

هذا القف الذى يقع عن الرُّمة شمالا مختلطا بصارات ، وقال أيضاً حين ثناه :

كم للمنازل من عامٍ ومن زمن   لآل سَلْماء بالقُفَّيْن فالركُنِ

فهو حينئذ قد قصد القفين اللذين يقع أحدهما شمالى الرمة ، والثانى جنوبيها ، وهذا الذي قصده طرفة ؛ لأنها من أصلح الأرض للابل ، وهن باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٣ — وقال طرفة :

وأَتْلع نَهَّاضٌ إذا صَعدَتْ بهِ   كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بدَجْلَةَ مصعِدِ[1]

دجلة — دَجْلة : نهر معروف يصبُّ فى بحر الخليج الفارسى ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال أبو العلاء المعرى[2] :

سُقياً لدَجْلَةَ والدنيـا مفرقة   حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا أحِبُّ الشرب من نَهَرٍ   كأنما أنا من أصحاب طَالُوتا
ذَمَّ الوليدُ ولم أذْمُمْ بلادكمُ   إذ قال « ما أنصفت بغداد » حوشيتا

وقال ابن التمار الواسطى يصف ضوء القمر على دَجْلَة :

قم فاعتصم من صُرُوف الدهر والنُّوَب   واجمع بكأسك شَمْلَ اللهو والطَّرَبِ
أما تَرَى الليلَ قد وَلَّتْ عساكرُه   مهزومةً وجيوشُ الصبح فى الطَّلَبِ
والبدر فى الأفقِ الغربىِّ تحسَبُهُ   قد مَدَّ جسراً على الشَّطَّين من ذَهَبِ

ودجلة هى التى عناها طرفة بقوله « بدجلة مصعـد » وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، عليها مُدُن وقُرًى عامرة كثيرة النخل والمزارع ، تنحدر من الشمال متجهة إلى جهة الجنوب ، وكذلك نهر الفُرَات على هذا الاتجاه ، ودجلة : موضع آخر فى ديار العرب بالبادية ، وهو قسم من

(١) الأتلع : المشرف ، وأراد عنقهـا الطويل ، والسكان ــ بضم السين وتشديد الكاف ــ ذنب السفينة الذى تقوم وتسكن به (هو المسمى اليوم فى لسان ملاحى مصر : الدفة) والبوصى : السفينة فارسى معرب ، ويروى « كسكان نوتى » والنوتي : اللاح .   (٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٤١ .

الرُّمة ، قال يزيد بن الطَّثْرية :

خلا الفَيْضُ ممن حَلّه فالحائلُ فدجلة ذو الأرطى فقَرْنُ الهوامل
وقد كان محتلا وفي العيش غِرّةٌ لأسماء مفضى ذو سليل وعاقل
فأصبح منها ذاك قفْراً وما محتْ لك النفس فانظر ماالذى أنت فاعل

هذه الشواهد على دجلة التى فى البادية ، وعليها شواهد كثيرة ، وهى واقعة قريب الرُّمة ، كانت تعرف بهذا الاسم فى الزمن القديم ، وقد انقطع ذكر هذا الاسم اليوم .

* * *

٤ — وقال طرفة يصف أذنى راحلته :

وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أو لصَوْتٍ مُنَدَّدِ
مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلَ مُفْرَدِ

حومل : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرىء القيس لما قرنه بالدَّخول ، وهو قريب من ماء الدخول كما ذكرنا فى كلامنا على معلقة امرىء القيس فى تحديده(١) . وحومل : قد أطال أهلُ المعاجم عليه ، واختلفوا فى تحديده ، فحددته فيما مضى تحديدا شافيا مصيباً عن علم و يقين . حومل

* * *

٥ — وقال طرفة :

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المرء مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فَذَرْنِي وَخُلْقِي ؛ إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِيًا عِنْدَ ضَرْغَدِ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَو بْنَ مَرْثَدِ

أما « ضرغد » فأنا أعرفه يقينا ، يقال له اليوم « ضرغط » أبدلوا داله طاء ، به قصر ومزارع ، واقع فى جبال حرة سوداء منيعة ، يلتجىء إليها المُجْرم ، يقع بين قرية المستجدة الواقعة جنوبىَّ جبل رمان ، وشرقى بلد الحائط التي كانت تسمى فى الزمن القديم « فدك » ، وحرة ضرغد : تقع غربيه ، وهى مَنْهَل ترده الأعراب ، و به قصر ، فإذا أغير على أهله دخلوا فى تلك الحرة فسلِموا ، وهى حرة عظيمة سوداء منيعة ، تُسميها العامة اليوم « لابَة ضرغط » وهو الذى ذكره طرفة فى معلقته ، لم يتغير من اسمه شيء إلا هذا الإبدال الذى أشرنا إليه ، وموقعه بين بلاد بنى أسد و بلاد غطفان ، وقد وردته ، قال(٢) عامر بن الطفيل العامرى : ضرغد

(١) انظر ص ١٧ من هذا الجزء . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٥٣٠ .

وَلَتَسْأَلَنْ أَسماءُ ـ وَهْيَ حَفِيَّةٌ ـ نُصَحاءَها : أَطُرِدْتُ أم لم أطرد
قالوا لهـا : فَلَقَدْ طردْنا خيلَهُ قلح الـكلاب وكُنْتُ غيرَ مطرَّدِ
فَلأَبْغِيَنَّـكُمُ قَنًا وعوارضاً ولأُقْبِلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضرغدِ
بالخيـل تمثر بالقصيد كأنها حِدَأٌ تتابع فى الطريق الأقصَدِ
ولَأَثأرَنَّ بمالك ، وبمـالك وأخى المروءاتِ الذى لم يسند[1]
وقتيلِ مرة أثأرَنَّ فإنَّهُ فرع ، وإن أخاهُ لم يقصـد
يا سَلْمِ أُخْتَ بنى فَزَارة ، إننى فَانٍ ، وإن المرء غير مُخَلَّدِ[2]
وأنا ابنُ حَرْب لا أزال أَشُبُّهَا سمرا وأُوقِدُها إذا لم تُوقَدِ

انتهت معلقة هذا الشاعر الفحل ، وهى من أطول المعلقات ، ولـكن لم يرد فيهـا من ذكر البقاع إلا القليل ، وهو الذى أوردناه فى كتابنا هذا ، وطرفَةُ من أقدم شعراء المعلقات ، وقد اختلفوا فى عمره ؛ فمنهم من قال : إنه هلك وعمره عشرون سنة[3] ، ومنهم من قال : إنه عاش ستاً وعشرين سنة[4] ، وذكروا عنه نباهةً وحدةَ ذهنٍ فى صغره ، قالوا : إنه كان فى نادى قومه وهو ابنُ عشر سنين وخالُه المتلمسُ الشاعر يُلْقِى قصيدةً ، فلما بلغ قوله :

وقد أتنفينَ الهمَّ عند احتِضَاره بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّة عيهم

فقال طرفة : اسْتَنوَقَ الجملُ ياخال ، فقال المتلمس : ادْنُ منى ، فلما قرب منه مَسَح قمّةَ رأسه وقال : ويل لهذه من تلك[5] .

* * *

انتهى ذكر الأماكن الواردة فى معلقة
طرفة بن العبد البكرى

---

(١) فى معجم ياقوت (٥ / ٥٣٠) « وأخى المرورات » وما أحسبه إلا محرفا عما ذكرت

(١) فى المعجم « إنى غان » وما بعده من عجز البيت يؤيد صحة ما أثبتناه

(٣) والأدباء يسمون طرفة « ابن العشرين » وانظر المزهر (١ / ٢٤٣) والشريشى (١ / ١٩١) والخزانة (١ / ٤١٦)

(٤) وأخته لأمه ، وهى الخرنق بنت بدر بن هفان تقول فى رثائه :

عَدَدْنَا لَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمَا
فُجِعْنَا به لـما استتمَّ تمامُه على خير حال لا وَلِيدًا ولا قحما

ولا شك أن أخته أعرف بسنه .

(٥) يريد ويل لرأسك من لسانك

٤

لَبِيدُ بن رَبِيعَةِ الْعَامِرِيُّ

لبيد بن ربيعة العامرى

ذكروا أنه بلغ من العمر ١٥٧ سنة ، وهو أكثر أهل المعلقات فى معلقته ذكراً لمواضع البلاد العربية ، وهذا مطلع قصيدته المعلقة :

١ — عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا ... خَلَقًا كما ضَمِنَ الوحيَّ سِلاَمُهَا

ذكر لبيد أربعة مواضع فى هذين البيتين : منًى ، وغول ، والرجام ، والريان ، وكلها متقاربة لا يكون بين واحد منها وآخر أكثر من مسافة نصف يوم .

منى فأما منى التى ذكرها لبيد فهى هضبة حمراء واقعة بين طخفة ونفى ، فيها ماء عذب ، وهى تسمى اليوم عند عامة أهل نجد « منية » لا تزال تذكر بهذا الاسم ، وكثير من الناس قد ظن — غالطا — أن منى فى هذا البيت الموضع الواقع قريب مكة ، وقد أكثر الشعراء فى ذكر منى على اختلاف مقصودهم ، قال كُثَيِّر عزة :

ولما قضينا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ

وجدتُ بها وَجْدَ المضِلِّ ركابه ... بمكةَ والركبانُ غادٍ ورائحُ

وهذا الشاعر الخزاعى إنما عنى بمنًى البلدَ الذى يجتمع فيه الناسُ أيام الحج ، وقال العَرْجى :

نَلْبَثُ حَوْلاً كُلَّهُ كاملاً ... لا نَلْتَقِى إلا على منهج

فى الحجِّ إن حَجَّتْ ، وماذا منى ... وأهله إن هِىَ لم تَحْجُجِ

وهذا الشاعر القُرَشى أراد منى الذى أراده كثير ، وأما منى الذى ذكره لبيد فهو الذى ذكره شاعر من بنى عامر حين قال :

أتبعْتُهم مُقْلَةً إنسانُها غرق ... كالفص فى رقرق بالدمع مغمور

حتَّى تواروا بشعف والجبال بهم ... عن هَضْب غولٍ وعن جنبى مِنًى زورُ

والشواهد كثيرة في ذكر منى الواقعة فى عالية نجد الشمالية .

غول وأما غول فقد مضى الكلام عليه فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وهو جبل أحمر فيه ماء ، يقع من منى تحت مطلع سهيل ، بينهما أقل من مسافة نصف يوم ، ذكروا أنه كان فى

الجاهلية عامرا به نخيل وعيون ، فأما فى هذا العهد ففيه نخيل حديثة شارعة فى الماء ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وكان به يوم من أيام العرب لضبة على بنى كلاب ، قال أوس بن غلفاء :

وقد قالت أمامةُ يوم غولٍ   تقطع يابن غلفاء الحبال

وقال أعرابى من أهل تلك الناحية :

ألا ليت شعرى هَلْ تَغَيَّرَ بعدنا   معارفُ ما بين اللوى فأبانِ

وهل برح الريَّانُ بعدي مكانَه   وغول ، ومن يبقى على الحدثان ؟

إذا كنت متجها إلى جهة الشرق وأنت في غول ، فإذا التفتَّ عن يمينك رأيت الكبشات والبكرات ، كلها جبال ، أما الكبشات فهى سود ، والبكرات حمر ، وهى من حدود حِمَى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شرقى الحمى ، ثم اتَّسع الحمى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ودخل فيه غول وطخفة والريان ومنى المذكورة ونفى ، وهو حده الشرقى قف ؛ وإذا التفتَّ على شمالك رأيت طخفة تبعُد منك مسافةً أقلّ من ساعتين ، وهو جبل أحمر له رءوس شاهقة ، وبه يوم من أيام العرب عظيم ، وكان السبب فيه أن ردافة النعمان بن المنذر كانت فى بني يَرْبُوع ، فطلب حاجب بن زُرَارة من النعمان أن يجعلها فى بنى مُجَاشع ، فهمَّ النعمانُ بذلك ، فأبى عليه بنو يَرْبوع ، فقال له حاجب بن زرارة : أَبعَثْ إليهم جيشا ، فإنهم لن يصبروا له ، فبعث إليهم جيشا برآسة ابنه قابوس ، ومعه حسان بن المنذر على المقدمة ، فأتوا بنى يربوع فى طخفة وقد نُذِرُوا بهم ، فالتقوا ، وكانت معركة عظيمة ، فضرب طارق بن عميرة اليربوعى فرسَ قابوس بن النعمان وأخذه ليجُزَّ ناصيته ، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجَزُّ نواصيها ، فقال : نمُنُّ عليك ونبعثك إلى أبيك ، فمنّ عليه وبعثه إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر بن عمرو الرياحى ثم منّ عليه وأرسله ، فقال مالك بن نُوَيْرة اليربوعى فى ذلك :

ونحن عَقَرْنَا مهر قابوسَ بعد ما   رأى القوم منه والخيول تلهب

عليه دِلَاصٌ ذاتُ نسج وسيفُه   جراز من الهندىِّ أبيض مقْضَبُ

طلبنا بها إنا مداريك قبلها   إذا طلب الشأو البعيد المقرب

وقال جرير يعنى هذا اليوم :

بطخفة جالدْنَا الملوكَ وخيلُنا   جرين ببسطام بن قيس على نحب

وهذا الجبل ـ أعنى طخفة ـ مشؤوم ، كثيرة فيه المعارك ، وتلتجىء إليه اللصوص إذا أجرمت ، وأنا أعرف فى أوائل القرن الرابع عشر رجلا يقال له « عمير البراق » نزل فى أعلاها فى موضع

منيع ، ومعه زوجته وابنان له : الـكبير يقال له « غشام » قد حمل البندقية وأتقن الرمى ، والثانى يقال له « زبن » صغير السن فى ذلك الوقت ، وابنة له ، وكان إذا طلع عليه الصبح تجهز هو وابنه غشام وأخذا بندقيتهما وذهبا يلتمسان الرزق ، وكانت تلك السنة مجدبة ، فـكانا إذا وجدا بعيراً أخذاه ، وإن وجدا غنما أو بقرا ساقاه إلى تلك الهضبة ، وشكا الناس أفعالهم وكان فيما شكوه منهم أنهم أكلوا الآدميين ، فقد صح أنهم أكلوا أربعةً ثلاثةَ رجالٍ وامرأةً ، فلما تم القضاء والقدر عليهما ذهبا كما كانا يذهبان ، فاستاقا بقر أهل مسكة القريةِ الواقعة فى الحى فى القرب من ضرية تبعد عنها مسافةً أقلَّ من يوم شماليَّ ضرية ، فخرج أهلُ تلك القرية يطلبون البقر ، فاقتصُّوا آثارها ، حتى وجدوا الآثار تلج فى طخفة ، فعلموا أن الذى أخذها عمير وابنه غشام ، وهم يعلمون طرق تلك الهضبة الشامخة فى السماء ، فولَجوا الطرقَ ليلا ، وأخذوا عليهم المسالك المؤدية إلى محلهم فقبل بزوغ الشمس أحسَّ بهم عمير ، فأخذ بندقيته ، فلما علموا أنه علم بهم ثارت البنادق بين الطرفين فقُتل عمير فى حينه ، وقَتَلَ ابنه غشام رجلا من أهل مسكةَ يقال له الهاجرى ، فأسر أهلُ مسكةَ غشامَ بن عمير ، وذهبوا به إلى بلادهم، فقال مشاري الهاجرى أخو الرجل المقتول : إن الذى قتل أخى هو غشام ، وأسرَّ فى نفسه أن يقتله من غير أن يستأمر قومه ، فلما جن عليه الليل قتل غشاما ، فثار رجال القرية فقالوا : تقتل رجلا أسيراً بين أيدينا ، قال : قتلت قاتل أخى ، وأما عمير فسوقوا دِيَتَه ، فانتهى بهم الأمر على أن ساقوا دية عمير ، فدفعوها لابنه الصغير وقبيلته .

وفى تلك الهضبـة جرت معارك كثيرة فى الإسلام ، فالأكثر من المواضع التى نمر عليها فى كتابنا هذا إذا وجدنا موضعا فيه يوم من أيام العرب فى الجاهلية وجدنا به يوما فى الإسلام فى الموضع نفسه .

الرجام — وأما الرجام فهي واقعة بين غول ومنى وطخفة ، وهى هضبات صغار على رءوسها حجارة متصل بعضُها ببعض ، وفيها أبارق ، وهى بين السواد والحمرة ، ولا تزال باقيةً بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد ، فقد وقع فى اسمها تغيير حيث أبدلوا الراء لاما فسميت اللجام ، وسألت شيخا من أهل تلك الناحية فقلت : إن هذه الهضبات الصغار كانت تسمى فى الجاهلية الرجام وذلك لأنها فيما يرى الناظر رجوم مبنيـة فى رؤوس الهضاب ، وهى تسمى الآن « اللجام » فما السبب ؟ قال : إن هذا صحيح فإن مشايخنا يعرفون أنها الرجام ، ولـكن فى هذا العهد جاء رجل منا وقال : مَنْ سمى هذه الهضاب الرجام فقد أخطأ ، لو أنه سماها اللجام ، فقد سدت الطريق النافذ بين طخفة وغول كما يسد اللجام فم الفرس ، فتغلب هذا الاسم ، وبقى إلى هذا العهد ، وفى هذا الموضع نزل

جيش لأبي بكر أيام الردة قاصدا عمان ، وشربوا من ماء غول ، وبه يوم من أيام العرب في الجاهلية ، وبه يوم بين حرب وعتيبة في القرن الرابع عشر قريب النصف منه ، وفيه انهزم العتبان ، قال شاعر من بني عامر :

وطخفة ذلت والرجام تواضعت   وأدعقن حتى مالهن جنان

أدعقن[١] : وطئن قال الضبابي عن الأصمعي :

وغول والرجام وكان قلبي   يحب الراكزين إلى الرجام

وقال الراجز :

كأن فوق المتن من سَنَامها   عنقاء من طخفة أو رجامها

* مشرفة النِّيقِ على أعلامها *

النيق : هي أعلى الشواهق من الجبال ، وقد عرفت أن هذا الموضع يسمى في هذا العهد اللجام .

الريان — أما الريان : فهو وادٍ بين طخفة وغول ، يتجه إلى جهة الشرق جاعلا الرجام على شماله حتى يصب في وادي الرمادية ، وهذا الوادي غير وادي الرمادية الواقع في طريق السيارات بين وادي طينان ووادي الرشا .

ووادي الريان معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، لم يتغير منه حرف واحد ، أما الأودية[٢] المسماة بهذا الاسم فهي كثيرة : منها واد يصب من جبل ثهلان ويجتمع بوادي الشعراء ، وهو الذي قال فيه جرير :

يا حَبَّذَا جبلُ الريان من جبل   وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا

وحبذا نفحاتٌ من يمانيـةٍ   تأتيك من قِبَلِ الريَّانِ أحيانا

ووادي الريان أيضا : يصب من جبل قريب معدن بني سليم ، كان الرشيد ينزله إذا حج ، وبه قصور ، وقال الشريف الرضي في ذلك :

أيا جَبَلَ الريَّان إن تَعْرَ منهمُ   فإني سأ كسُوكَ الدموعَ الجواريَا

ويا قُرْبَ ما أنـكرتمُ العهدَ بيننا   نسيتُمْ فما استودعتم السرَّ ناسيا

فيا ليتني لم أعْلُ نَشْزا إليـكمُ   حَرَاما ، ولم أهبط من الأرض واديا

والريان : اسم لأُطُمٍ من آطام المدينة ، وهو الذي قال فيه شاعر مدني :

---

(١) اختلف علماء اللغة في « أدعقن » فقال الأصمعي : لا يقال أدعقن – بالهمز – وإنما يقال دعقن – بغير همز ، وقال غيره : دعقن وأدعقن ، لغتان .   (٢) انظر معجم البلدان ٣٤٦/٤

لعل ضرارا أن يعيش يباره ... وتسمع بالريان تبنى مشاربه

وهناك وادٍ بالقرب من ضَرِية فى نفس الحِمَى يقال له الريان ، وهو الذى عنته الشاعرة بقولها:

أَلا قاتَلَ اللهُ اللِّوى من محلة ... وقاتَلَ دنيانا بها كيف وَلَّتِ

غَنِينَا زمانا بالحِمَى ثم أصبحت ... بُرَاق الحمى من أهله قد تَخَلَّتِ

أَلا مالعينى لا ترى قُلَلَ الحِمَى ... ولا جَبَلَ الريان إلا استهلَّتِ

وأما الذى عناه لبيد فهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد بين طخفة وغول ومنية ، وهو الذى قال فيه الراجز :

خلية ألوانها كالطيقان ... أحمى لها الملك جنوب الريان

وكبشات فجنوبى انسان

وكبشات : قريب هذا الوادى المذكور .

* * *

٢ — وقال لبيد :

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا ... وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا

مِنْ كل سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ ... وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا

فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ ... بِالْجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا

الأيهقان : نوع من النبات ، وقد غلط من قال : إنه موضع(١) .

الجلهتان — الجلهتان : جنبات كل وادٍ يقال لها : جلهتان ، وما ارتفع من الأرض ارتفاعا ليس بالكبير يقال له : جلهة ، ولا أعلم موضعا يقال له الجلهتان ، قال فى معجم(٢) البلدان : إن أبا زياد الكلابى قال : الجلهتان مكانان بالحمى حمي ضرية ، وأورد بيت لبيد شاهداً ، وأنا لا أعرف موضعاً فى حمى ضرية يقال له : الجلهتان ، والذى أعرفه مما يقرب من هذا الاسم موضع يقال له « الجلوه» معروف بهذا الاسم قديما وحديثا ، ولا يزال إلى هذا العهد يعرف بالجلوه ، واقع بين نفود السر ونفود قنيفذة ، إذا خرج السالك على طريق السيارات من مكة إلى الرياض من نفود السر . فهو على

(١) ومما يؤيد أن « الأيهقان » نبت كما قلنا أنه يروى « فاعتم نور الأيهقان » واعتم : ارتفع والنور — بفتح النون وسكون الواو — النوار ، و « فروع الأيهقان » فى روايتنا يروى مرفوعا ويروى منصوباً على معنى علا السيل فروع الأيهقان ، والرفع أجود ، ومعناه ارتفعت فروع الأيهقان وطالت .

(٢) انظر المعجم ٣ / ١٣٠ .

يمينه ، حتى يجيز كثيب قنيفذة ، حدودهُ الجنوبيــة ماء الأنجل ، وهو ماء كثير بين أكثبة مرتــكمة ، ماؤه مر ، واسمه فى الجاهلية النجيلة ، قال فى معجم[(١)] البلدان : إن النجيلة وادٍ بين اليمامة وحمى ضَرِية ، وهذا واقع بين اليمــامة وحمى ضرية ، ولــكنه تحديد بعيد الأطراف ، ويلى ماء الأنجل فى جهة الجلوه الجنوبية جبيلٌ صغير يقال له المضباعة يعرفه جميعُ أهل نجد ، ولها ذكر فى كلام العرب ، قال الشاعر :

فالجزع بين ضباعة فرصافة — فعوارض جو البسابس مقفرا

ومياهه الجنوبية : دلقان ، وسديرة ، ماءة قديمة جاهلية ، وهى لبنى قشير فى الزمن القديم ، قال شاعر منهم :

تسائلنى كم ذا كسبت ولم أكد — بنفسىَ من يوم السديرة أفلتُ

والمياه الواقعة فى حدوده الغربية : حلوان ، والطويلة ، والعجرمى ، أما حلوان : فله ذكر فى أشعار العرب غير أنه غلب عليه ذكرُ حلوانِ العراقِ ، فاضمحل ذكر هذا .

ومياه الجلوه الشرقية : تبراك ، وهو ماء قديم جاهلى ، موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهو الذي ذكره جرير فى شعره حين قال[(٢)] :

إذا جلست نســاء بنى نُمَيْرٍ — على تبراك خبثن الترابا[(٣)]

وهو الذى قال فيه ابنُ مقبل :

جزى الله كعبا بالأباتر نعمة — وحيًّا بهبُّود جزى اللهُ أسعُدَا

وحيًّا على تبراك لم أر مثلهم — رجاً قطعت منه الحبائل مفردا

بكيت بمُخْضَمَىْ شَنَّةٍ يوم فارقوا — على ظهر عجاج العَشِيَّاتِ أجردا

وهو الذى قال فيه أبو كدراء رزين بن ظالم العجلى :

أرى الله نَجَّانى وصَــدَّق بعد ما — خشيت على تبراك أنْ لا أصدقا

وأعيس إذ كلفته وهو لاغب — سُرَى طيلسان الليل حتى تمزقا

وقال شاعر من بنى نُمَيْر :

أعرفت الدار أم أنــكرتها — بين تبراك فَشَــىَّىْ عَبْقَرِ

والأباتر التى ذكرها ابنُ مقبل : أكثبةٌ واقعة شمالىّ قنيفذة على مسافةٍ أقلَّ من نصف يوم يقال لها البتر إلى هذا العهد ويلى تبراك ماءة حديثة يقال لها « مشاش الرخمان » .

ومياه الجلوه الشمالية كلها قديمة قد دَرَست ، ولــكن عُثِر عليها فبُعِثت فى صــدر القرن

---

(١) انظر المعجم ٨ / ٢٧٠ . (٢) معجم البلدان ٢ / ٣٦٠ . (٣) فى المعجم « نساء بنى عمير »

الرابع عشر ، فإذا هى آبارٌ منحوتة فى الصفا طولُها من ثلاثين باعا إلى خمسة وعشرين باعا كأنها من النحائت العادية ، ماؤها عذب ، وحدها الجنوبى بئر يقال له « سامودة » ويليها بئر يقال لها « البديعة » وحدودُها الشمالية آبار كثيرة يقال لها « البعائث » واقعة فى روضة كبيرة ، وهذه الآبار حماها صاحبُ الجلالة الملك عبدُ العزيز آل سعود لخيله ، وهى الآن معروفة فى تلك الناحية باسم « الحمى » وجميعُ الجلوه التى ذكرنا واقعة بين كثيب السر وكثيب قنيفذة ، إذا خرجت من نفود السر قاصدا مراة فهى على يمينك ، فإذا قطعت قنيفذة خَلَّفْتَها ، ومعظَمُها جنوبى طرف قنيفذة الشمالى .

* * *

٣ — وقال لبيد :

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْحَىِّ حِينَ تَحَمَّلُوا ... فَتَكَنَّسُوا قُطُنًا تَصِرُّ خِيَامُهَا
زُجَلاً كَأَنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا ... وَظِبَاءِ وَجْرَةَ عُطَّفًا آرَامُهَا
حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا ... أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُهَا وَرِضَامُهَا

توضح : قد مضى الكلام عليها فى معلقة (١) امرىء القيس .

ووَجْرَة : قد مضى الكلام عليها فى أشعار (٢) امرىء القيس فى كتابنا هذا .

بيشة — أما بيشة : فقد ذكرناها فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا عند ذكر تبالَةَ ، وهى واد عظيم كثير النخل والزروع والكروم يصب من الحجاز متجها إلى جهة الشرق ، به مأسَدَة لها ذكر فى أشعار العرب ؛ وكان يسكنها فى الجاهلية من العرب : خثعم ، وهلال ، وسواءة بن عامر بن صَعْصَعَة ، وسلول ، وعقيل ، والضباب ، وقريش ، وفى هذا العهد يقيم فيها قبيلتان ، وهما : بنو سلول ، و بنو معاوية ، ولهما فيها مدينتان : مدينة بنى سلول يقال لها : الروشن ، ومدينة بنى معاوية يقال لها : نمران ، وقُرَاها كثيرة ، وبها سوق عظيمة يجتمعون فيها فى آخِرِ يوم الأربعاء ، ثم يبتدئون صبح يوم الخميس ويستمرون إلى منتهى ذلك اليوم ، وهذا الموضع باقٍ إلى هذا العهد ، ووادى بيشة يُقَارِع وادى بيش ، فوادى بيش يصب فى تهامة مغربا ، ووادى بيشة مشرقا ، وأعرابُ أهل تلك الناحية يسألون الرعاة : أين رعيتم ؟ فيقولون : ضحينا فى وادى بَيْشْ ، وعشينا فى وادى بيشة ، تجتمع سيولها أعنى بيشة بسيل وادى رنية ، وتنتهى فى موضع يقال له « رغوة » غربى المضب ، وقد أكثر الشعراء من ذكر بيشة بَلْهَ لبيد ، قال السمهرى :

(١) انظر ص ١٧ من هذا الجزء (٢) انظر ص ٢٠

وأنبتت ليلى بالغريين سلّمت علىّ ودونى طخفةٌ ورجامُها
فإن التى أهْدَتْ على نأى دارها سلاما لَمَرْدُودٌ عليها سَلامُها
عديد الحصى والأثل من بطن بيشةٍ وطرفائها مادام فيها حمامها

وهى من أكبر أودية الحجاز الجنوبية ، ويجاورها من الجهة الشمالية : وادى تَبَالة ، ثم وادى رنية ، ثم وادى تربة ، كل هذه الأودية عظام واقعة بين الحجاز واليمن ، ويليها من الجهة الجنوبية مقاطعة « أبها » وما حولها ، وهى مساكن أزدِ السَّراة فى الجاهلية ، وبقايا عسير اليوم من بقايا الأزد ، وجميعُ الجهات اليمانية لها أسواق معروفة ، كلُّ مقاطعةٍ تنتقل من مكان إلى مكان وهذه الأسواق تبتدىء بالسبت وتنتهى بالجمعة ، وفى كل يوم سوق فى جهة من تلك المقاطعة للاتجار والبيع والشراء ، فإن مرّ موضع من تلك المواضع فى شعر وضّحنا جهته وسكانه ، فإن من شروط كتابنا ألا نذكر من المواضع إلا ماورد ذكره فى شعر ، فلولا ذكر بيشة فى شعر لبيد لما ذكرنا شيئاً من ذلك ، وبيشة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

* * *

٤ — وقال لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الْحِجَازِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

وقد غلط أناس كثير فى هذا البيت في الشطر الأخير منه ، والصحيح روايته هكذا [١] :

مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الجِبَالِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا
بِمَشَارِقِ الجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّرٍ فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا
فَصُوَائِقٌ إِنْ أَيْمَنَتْ فَمِظَنَّةٌ مِنْهَا وِحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا

الجبال : أراد بها جبال طيىء ، والمشهور منها أجأ وسلمى ، وقد مضى ذكرها . الجبال

وأما فَيْدُ : فقد مضى ذكره فى شعر زهير [٢] ، وهو واقع بمشارق جبلى طيىء أجأ وسلمى ، فيد وقد تحرينا تحديده فى شرح قول زهير :

ثم استمرّوا وقالوا : إن مَشْرَبكم ماء بشرقىّ سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ

وأما محجر : فهو موضع مشهور ، وقد تقدم الكلام عليه فى أشعار امرىء القيس [٣] ، وأشعار محجر

(١) ذكر التبريزى فى شرح المعلقات ـ بعد أن روى البيت بالرواية الأولى ـ أنه روى على ما ذكرنا أنه الصواب (٢) انظر ص ١٢٧ من هذا الجزء (٣) انظر ص ٦٥ من هذا الجزء

زهير ، وهو واقع بين شُعَبَي وعريق الدسم ، تنحجر فيه سيول شعبى ، ويسمى اليوم « الحجرة » هذا هو المعروف عند عامة أهل نجد .

فردة — وأما فردة التي عناها لبيد فهى باقية على هذا الاسم إلى هذا العهد ، وأنا أعرف بهـذا الاسم ثلاثة جبال صغار ، كلٌّ واحد منها يسمى فردة ، وهى باقيات بهذا الاسم إلى هذا العهـد ، فأما أحدها فواقع فى بلاد طى منفرد من الجبلين أجأ وسلمى ، ويروى أن زيد الخيل لما قَفَل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ووصلها أخذته الحمى ، فأقام ثلاثة أيام ، عنـد حى من جرم ، فلما أحسّ بالموت قال :

أَمُطَّلِـعٍ صَحْبِي المشارقَ غدوةً — وأَتْرَكُ فى بيت بفَرْدَةَ منجد
سَقَى اللهُ ما بين القفيل فطابةٍ — فما دون أرمام فما فوق منشد
هنالك إنى لو مرضتُ لعادَنى — عوائد من لم يشف منهنّ يجهد
فليت اللواتى عُدْنَنى لم يَعُدْننِي — وليت اللواتى غِبْنَ عنىَ عُوَّدى

والمشارق التي ذكرها زيد الخيل هى مشارق الجبلين التي ذكرها لبيد .

وفردة الثانية مما أعرفه هى التي عناها لبيد ، وهى واقعة على ضفة الجريب الجنوبية الشرقية فى معراجه إلى جهة الرمة تاركا جبال المضيَّح على يمينه ، فإذا أنت قطعت جبال المضيّح فانظر فردة فهى هضبة حمراء شاهقة إلى السماء عن يمين الجريب ، وسميت فردة لانفرادها من جبال المضيح ، وهى التي عناها الراعى بقوله :

عجبت من السارين والريح قَرَّةٌ — إلى ضوء نارٍ بين فردة فالرحا
إلى ضوء نارٍ يَشْتَوِي القد أهلُهَا — وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى

وفردة الثالثة : هضبة صغيرة بين جبلى ذقانين ، وهى فى عالية نجد الجنوبية .

وفردة التي مَرَّ ذكرها ، والتي عناها لبيد ، واقعة فى عالية نجد الشمالية ، وفردة الأولى : واقعة بالقرب من جبلى طيىء ، هذا الذى أعلمه بهذا الاسم فى نجد .

تهامة — وأما تهامة : ففيها جبال كثيرة بهذا الاسم ذكِرَتْ فى غَزَوَات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ولها ذكر فى أشعار شعراء تهامة .

ثم إنى بعد أن انتهيت من ذكر فردة وتحديد أماكن ثلاثة أجبل يسمى كل واحد منها فردة عثرت على جبلين آخرين يسمى كل واحد منهما فردة ؛ الأول : جبل منقطع من جبلة المعروفة فى عالية نجد يقال له « فردة جبلة » الثانى : جبل منقطع من جبـل اليمامة مما يلى الأفلاج قريب

« الجويفا » الطريق السالك إلى وادى الحر ثم السالك إلى الأفلاج ، ويقال له « فردة الجويفا »

وأما الجبال التى يقال لها « الفريدة » فهى كثيرة فى عالية نجد : منها فريدة دمخ ، وهو الجبل المشهور الذى قد مرّ ذكره فى أشعار امرىء القيس عند ذكر غرور ، ومنها فريدة شعر ، وهى التى إذا توجَّهْتَ من عفيف قاصداً الرياض ، وسرت ربع ساعة على ظهر سيارة ، ثم انعرج بك طريق القصيم فإنك تجد شعرا على شمالك ، يمر به ذلك الطريق ، وهو جبل أسود به ماءة يقال لها « الأشعرية » تقف السيارات عندها أو قريبا منها ، وهذه الفريدة هى التى ذكرها فيحان ابن ثمر الرقاص من الروقة فى قصيدة له نبطية ، وقد أغار جلالة الملك عبد العزيز على الحفاة الذين منهم هذا الشاعر وأخذ إبلهم وهم قاطنون على « سجا » الماء المعروف فى عالية نجد ، وكسرت رجلُ ذلك الشاعر عند إبله وحُمِل إلى بلد الشعرا ، وبقى بها ينتظر برأه ، فتذكر أهلَه وأوطان قومه ، فقال قصيدةً نبطية مشهورة منها :

ترحّلوا من ديرة المُدْ والصَّاعْ   دار بَخيله مير أهلها مشاكيل

تقللن الصبح والَفَى قد راع   والعصريم الخنفسية مخاليل

عدوا فريدة شعر حيث أنه أسناع   وإن كان ما شفتوا فد واد رابيل

ومنها فريدة الانكير ، وفريدة مجيرة ، وفريدة أبو دخن ، ولكن هذين الموضعين يفردان ويجمعان فيقال : فرايد ، وفريدة أبو دخن ، وفريدة مجيرة . قال رجل من أهل القويعية ، وقد حل فى بلد الشعراء مريضا ، ولم يكن يحب أن يموت فى بلد الشعراء ويقبر فيها ، وإنما كان يحب أن يموت فى بلد القويعية ويقبر بها :

إن مت مروا بى فرايد مجيره   وتنحروا بى دار وضاح الأنياب

ثم اقبرونى فى منازل منيره   شرق عن البركة وغرب عن الباب

وفى الحمادة جبل يقال له « الفريدة » بين بلد القصب وبلد الُحْرَيّقْ ، بين نفود الوشم وجبل طويق شمالى اليمامة ، وهناك جبل منقطع من جبل الأكوم يقال له « الفريدة ، فريدة الأكوم » وقد قال مصنف هذا الكتاب قصيدة نبطية لما استعاضت العرب ركوب السيارات من ركوب الإبل ، قال فيها :

أثر ركب البكس فى الدار البعيدة   عندى أحسن من ركوب الموجفات

إلى أن قال :

ينشرون الصبح من خشم الفريدة   حقت الأكوم والممسى مرات

رخام   ورخام : جبل أحمر ، وكأن أعلاه مطلى برخام ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، واقع فى

بلاد غطفان فى جهة أبلى الشمالية الشرقية ، على ضفة وادٍ يقال له « الركو » وهذا الوادى يتّجه سيله مُغَرِّباً حتى يصب فى الشعبة ، وسيلُ الشعبة يتجه إلى عقيق المدينة فيصب فيه ، ثم تتجه سيول تلك الأودية وتصب فى وادى الحمض حتى تصب فى البحر الغربى ، إذا كُنتَ فى طرف كُشب الشمالى الشرقى منه فانظر جبل رخام هنالك يطلع عليه القطب الشمالى ، وجميع الجبال المحيطة به سود إلا جبل رخام فإن أعلاه أبيض يقع غربىّ هضب « شَرَوْرَى » الذى يسميه الناسُ اليوم « هضب الشرار » والذى يقع بين جبل كُشب وأبلى وحرة بنى عبد الله بن غطفان التي فى شرقيها صفينة والسويرقية القُرَى المعروفة بهذه الأسماء فى عهدنا هذا ، وأغلب أسمائها جاهلى ، ورُخام : يُعَدُّ من الجبال الواقعة فى أعالى بلاد غطفان ، وهو ـ كما قلنا ـ لا يزال باقيا بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا .

صوائق — وصُوَائق : جبال حجازية واقعة بين بلاد هُذَيل و بلاد بنى سليم و بلاد الرُّوقة ، تقع شمالىّ وادى نخلة الشامية ، وقد يُظَن أن صوائق التى حددناها غيرُ التى عناها لبيد ، وذلك لأن لبيدا يقول

فصُوائق إن أيْمَنَتْ فمظنة — منها وِحافُ القهر أو طِلْخَامُها

والمعروف أن وحاف القهر واقع فى اليمن ، وصوائق التى حَدَّدناها حجازية باقية إلى اليوم على هذا الاسم تعرف به ، ولكن ياقوتا الرومى يذكر فى معجم البلدان (١) عن أبى زياد : أن القهر فى أسافل الحجاز مما يلى نجداً من قبل الطائف . وقد أكثر الشعراء من ذكر صوائق هذه ، وهذا لبيد يقول فى قصيدة أخرى :

أقْوَى فعُرَّى واسط فبرام — من أهله فصُوَائق فخِرامُ

وصوائق فى هذا البيت هى صوائق الحجازية بغير شك ، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكرها قال أبو جندب الهذلى :

وقد عصبت أهل العَرْج منهم — بأهل صُوَائق إذ عصبونى

ويقع كثيرا فى أشعار العرب أن أحدهم إذا ذكر صوائق ذكر معها برام ، و برام جبل به مياه مشهور بهذا الاسم عند أهل المدينة وباديتهم ، يقع قريب النقيع ، ذكروا أنه جنوبى المدينة على مسافة عشرين فرسخا ، وقد ذكر الزبير بن بكار أودية العقيق ، وقال فى كلامه : ثم قلعة برام ، وفيها يقول المحرق المزنى ، وهو ابن أخت مَعْن بن أوس المزنى المشهور (٢) :

وإنى لأهوى من هوى بعض أهله — براما وأجزاعا بهنّ برامُ

(١) المعجم (٧ / ١٩٠)

(٢) انظر معجم البلدان ٢ / ١٠١

وذكروا أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي قد أغار على هوازن وهم فى وادى برام فسَبى منهم سَبْيا ، فقصده أبو بَرَاء عامر بن مالك مُلاَعب الأسنة ، فطلبهم منه ، فأطلقهم له وكساهم ، فقال أبو براء :

ألم ترنى رحلت العيس يوماً — إلى أوس بن حارثة بن لام
إلى ضخم الدسيعة مَذْحِجِيّ — نَمَاه من جديلة خيرُ نام
وفى أسرى هوازن أدركْتُهمْ — فوارسُ طيىء بلوَى برام
تَقَرَّبَ ما استطاع أبو بجير — وفَكَّ القوم من قبل الكلام
فما أوس بن حارثة بن لام — بغمر فى الحروب ولا كَهَام

وذكروا أن عبد الله بن الزبير لما تغلب على الحجاز نفى من المدينة مَنْ كان بها من بنى أمية ، وكان فيهم أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، فلحق بالشام ، فحنّ إلى أوطانه ، فقال أشعارا يتشوق إلى تلك الأوطان منها :

ليت شعرى وأين منى ليت — أعَلَى العهد يَلْبَن فبرام ؟
أم كعهدى العقيقُ أم غيَّرَتْهُ — بَعْدِىَ الحادثاتُ والأيام ؟
وبقومى بُدِّلْتُ لَخْماً وعكاً — وجُذَاما ، وأين منى جُذَامُ ؟
وتبدلْتُ من مساكن قومى — والقصور التى بها الآطامْ
كل قصر مشيد ذى أواس — يتغَنَّى على ذُرَاهُ الحَمامْ
اقر منّى السلامَ إن جئت قومى — وقليل لهم لدَىَّ السَّلامْ
أقْطَعُ الليل كلَّه باكتئاب — وزفير فما أكادُ أنام
نحو قومى إذ فرقت بيننا الدا — ر وحادتْ عن قصْدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عَنَتُ الده — ر وحربٌ يشيب فيها الغلام
ولقد حان أن يكون لهذا الـ — بعد عنَّا تباعُد وانصِرَامُ

فبلغت هذه الأبيات وغيرها من شعره عبدَ الله بن الزبير فقال : حن أبو قطيفة إلى وطنه ، مَنْ رآه فليُبْلِغْه عنى أنى قد أمنته ، فليرجع ثم رجع فمات قبل أن يبلغ المدينة .

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدى على ذكر برام وقد أجاد حين قال :

لقد أحميت ذات الروض حتى — تَرَبَّعَهَا أداحِيُّ النعام
يسيِّر بين خطم اللوذ عمرو — فلوذ القارتين إلى برام

فصفح حَبَوْتَنٍ فخليف صبح   فنخل إلى رنين إلى بشام

وَبِرَام الذى قَرَنه الشعراء بصُوَائق قد قرنوه بمواضع أخر موجودة إلى هذا العهد على أسمائها منها « خليف صبح » وقد غلط فيه كثير من أهل المعاجم بقولهم إن صبحا موضع « أما الخليف» المذكور فهو مخلاف على واد لقبيلة يقال لها صبح فى نواحى المدينة باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهم بطن من حرب يقال لهم صبح ، وصبح : تتفرع إلى بطون كثيرة .

وأما نخل فقد مضى الكلام عليه عند الكلام على أشعار زهير ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد حددنا مكانه على قول زهير.

تَرَبَّصْ فإن تُقْوِ المروراة منهم   وداراتها لا تقو منهم إذا نخل

ورنين ، و بشام : باقيان على اسميهما هذين إلى هذا العهد ، وهما واقعان جنوبىَّ المدينة ، و إنما أطلنا فى ذكر برام لأن الشعراء يذكرونه مع صوائق فى مواضع كثيرة ، وصوائق التى ذكرها لبيد فى قوله :

أقوى فَعُرَّىَ واسط فبرام   من أهله فصوائق فحرام

حجازية كما قلنا : برام ، وصوائق ، وحرام ، جميعُ تلك المواضع حجازية معروفة بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، كلها جبال ، صوائقُ بين حدود هُذَيل وسليم ، وحرام و برام مما يلى المدينة قريب وادى النقيع .

وقد تكون صوائق التى ذكرها لبيد فى معلقته حيث يقول :

فصوائق إن أيمنت فظنة   منها وحاف القهر أو طلخامها

هى صوائق الحجاز ، إن صح كلام ياقوت الذى ذكرناه ، وقد تكون موضعاً آخر غير صوائق الحجاز ، ولكنى لم أعثر عليه بهذا الاسم إلى هذا العهد ووجْهُ هذا أنه قرنَها بالقهر و بطلخام

القهر فأما القهر المشهور فهو معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، وهى جبال فى بلاد عبيدة بطنٍ من قَحْطان بها معدن بارود ، وأهل نجد كلهم يعرفونه ، وشعراء بنى عامر بن صعصعة يذكرونه ، قال مزاحم العقيلى :

أتانى بقرطاس الأمير مغلس   فأفزع قرطاسُ الأمير فؤاديا
فقلت له : لامرحبا بك مُرْسَلا   إلىّ ولا لَبىَّ أميرك داعيا
أليست جبال القهر قصا مكانها   وعروى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبى أن تُعَدَّ ببابه   وما قد أزلَّ الكاشحون أماميَا
ولا أستريم عُقْدة الأمر بعد ما   تورط فى يهماء كعبى وساقيا

وقال خِداش بن زُهَير في ذكر القهر :

فيا أخوينا من أبينا وأمنا إليكم إليكم ، لا سبيلَ إلى جسر
دَعُوا جانبى إنى سأنزل جانبا لـكم واسعا بين اليمامة والقَهرِ
أبى فارس الضَّحياء عَمرو بن عامر أبَى الذمَّ واختار الوفاء على الغدر

وربما دلَّ على أن القهر الذى ذكره لبيد واقع فى بلاد قَحْطان ، فى الجهة اليمانية ، قولُ لبيد «إن أيمنت» فقد جعل القهر يمانيا ، وهو واقع فى بلاد قحطان والقهر معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ومعدن البارود الذى بها : معروف بقوة انتزاعه من البندقية وإصابته للفريسة ، وفى ذلك يقول شاعر أعرابى فى أبيات له نبطية ، وهو شاعر معروف عند عامة أهل نجد يقال له : مخلد القثامى من قبيلة القثمة :

يالايمى بضرب على حَدّ الْبهَرْ يأخذ إلى حوْله صوابه مجيفى
بمثوْمنن حاديه خفان وأعْشَرْ وملح القهر وابواردى ظريفِ

المثومن : نوع من البندقيات كان مستعملا فى زمن ذلك الشـاعر ، والخفان : نوع من الـكبريت الذى يخلط به البارود ، والعشر : الفحم من العشر وهو الذي يصـير البارود أسوداً ، والملح : هو أصل البارود .

والقهر : يقرن فى أشعار العرب فى كثير منها بعروى . وعروى : موضع معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، وقد تقدم فى الشواهد الذى ذكرنا على القهر بيت شعر لمزاحم العقيلى ذكر فيه القهر وعروى وهو قوله :

أليست جبال القهر قعسا مكانها وعروى وأجبال الوحاف كما هيا

وعروى : منقطعة من عرض ابنى شمام غربا قريبا منه ، وهو واد عظيم كثير المياه ، جاهلى ، استنبطه قوم من عتيبة من المقطة والنفعة يرأسهم ابن حميد المقاطى ، وهى اليوم بلد بها نخل وزرع وعليها جبل مطل على بطن هذا الوادى شاهق إلى السماء ، يقال له « عروان » يتصل به فى جهته جبيلات صغار يقال لها « عريويات » ويشمل تلك الناحيـة واديَها وجبالَها اسمُ عروى . وهذا الاسم يطلق على تلك الناحية ، وهو اسم قديم جاهلى ، وهو باقٍ إلى هذا العهد ، وهى واقعـة فى بلاد بنى كلاب بن عامر بن صعصعة . وقال حديج بن العَوْجاء النصرى [(١)] :

بمَلْمُومَةٍ عَمْياء لو قَذَفُوا بهـا شماريخ من عروى إذا عاد صفصفا

وقال ابن مقبل :

---

(١) انظر المعجم ٦ / ١٦١ .

يا دار كبشة تلك لم تتغير بجنوب ذى بقر لخزم عصنصر
لجنوب عروى فالقهاد غشيتهـا وَهْناً فهيج لى الدموع تذكرى

أما ذو بقر الذى ذكره ابن مقبل فهو وادٍ معروفٌ بهذا الاسم قريبَ مُنْقَطَعِ جبلِ اليمامة فى جهته الشمالية ، والقهاد التى ذكرها مع عُروى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد جنوبى عروى ، و بين بلد الرويضة و بلد الروضة هضبات يقال لها القهاد إلى هذا اليوم .

طلخام أما طلخام : فلا أعلم اليوم موضعا بهذا الاسم أو يقارب به إلا موضعين : أحدُهما : جبلٌ فى بلاد طى لبنى شَمَجَى فى الزمن القديم ، وهم بطن من طى ، يقال له «طخام» ليس به لام ، وهو بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو غير الذى عناه لبيد ، الثانى : يوجد على ضفـة وادى الجريب الشمالية هضبة سوداء شاهقة إلى السماء ، و يليها هضبة صغيرة ، وحدثنى شيخ من أعراب تلك الناحيـة يقال له فراج بن طو يق من الحفاة ، وهذا الشيخ هو والد سو يد بن طو يق الرجل المعروف الذى لم يهلك إلا قريب النصف من القرن الرابع عشر ، قال : إنى أعرف أن هذه الهضبـة الـكبيرة السوداء كان يقال لها طلخام ، والهضبة الصغيرة كان يقال لها طليخيم ، تصغير طلخام ، ثم إنالقوم سموا الهضبتين معا « طخفات » عوضاً عن طلخام ، وهذه الهضبات الواقعة على ضفـة الجريب الشمالية هى طلخام الذى ذكره لبيد ، وهى اليوم تعرف عند عامة أهل نجد بطخفات ، وأنا لمأجد فى كتب المعاجم لطخفات ذكرا ، وهذا دليل على أن هذا الاسم كاحدثنى فرّاج بن طو يق، وماءة الغثمـة تقع جنو بى طخفات هذه على مسافة أقل من مسافة نصف يوم ، والذنائب المعروفة من الدفينة تحت مطلع القطب الشمالى ، وهى من طلخام المعروفة اليوم بطخفات تحت مظهر سهيل على مسافة يوم ، وليس فى عالية نجد جبل يسمى طخفة ، وله ذكر فى كتب المعاجم ، إلا طخفة المشهورة التى بين ضرية ونفى .

* * *

٥ — وقال لبيد يصف راحلته :

فَلَهَا هِبَابٌ فى الزِّمَامِ كأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَوْ مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاحَهُ طَرْدُ الْفُحُولِ وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الإِكامِ مُسَحَّجٌ قَدْ رَابَهُ عِصيَانُهَا وَوِحَامُهَا
بِأَحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبأُ فَوْقَهَا قَفْرَ الْمَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرَامُهَا

الثلبوت الثلبوت : واد يكنفهُ آكام سود بين قطن وجبال الموشم والحاجر ، سيـل ذلك الوادى

يصبُّ فى الرمة ، تسكنه بنو عَبْس من غطَفان ، وهو واقع بين بلاد أسد و بلاد غطفان ، قال الحطيئة(١) :

ألم تر أن ذبيانا وعَبْسًا لباغى الحرب قد نزلا براحا
فقال الأجربان ونحن حىٌّ بَنُو عَمٍّ تجمعنا صلاحا
منعنا مَدْفَعَ الثلبوت حتى نزلنا راكزين به الرماحا
نقاتل عن قرى غطفان لما خشينا أن تذل وأن تباحا

وقال مرة بن عياش بن عم معاوية بن خليل النصرى ينوح على بنى جذيمة بن نصر :

ولقد أرى الثلبوت يألف بينه حتى كأنهمُ أولو سلطان
ولهم بلادٌ طالما عُرِفَتْ لهم صحنُ الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكمُ أن الأجيفر قسمه شطران

انظر إلى هذه الأبيات الأخيرة فقد ذكر السبعان وذكر الأجيفر ، والأجيفر تصغير الأجفر والسبعان والأجفر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وموقع السبعان من الثلبوت شمالا على مسافة يومين ، والأجفر من السبعان فى جهته الشرقية على مسافة يوم ونصف ، والسبعان موقعه قريب سَلْمَى الجبلِ الثانى من جبلَىْ طى ؛ و يلى الثلبوت موضع يقال له الثُّلَيْبِيت ، وهما باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفهما بعضُ سكان قرى الجوى ، وقد أخذ هذا الاسم يذهب عند أكثر أهل نجد ، وهو كثير فى أشعار العرب ، وذكروه فى معاجمهم .

* * *

٦ — وقال لبيد :

حَتَّى إذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثرَى أزْلَامُهَا
عَلِهَتْ تَرَدَّدُ فى نِهَاءِ صُعَائِدٍ سَبْعًا تُؤَامًا كَامِلاً أيامُهَا

صُعَائد : موضع معروف واقع بين بلاد غطفان و بلاد بنى سليم ، من الفاصلات بين الحجاز ونجد ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال الشاعر(٢) : صعائد

وتطربت حاجات رب قافلٍ أهواء حب فى أناس مصعد
حضروا ظلال الأثل فوق صُعائد ورموا فراخ حمامه المتفرد

وأنا لا أعرف موضعا بهذا الاسم فى هذا العهد ، وقد غلط كثير من أهل المعاجم بين صعائد

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢١ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٥٧

وصعائق فأما صعائد : فهي على ما ذكرت ، وأما صعائق : فهي موضع بنجد في ديار بني أسد كانت فيه حرب ، وموضعه ـ على ما ذكروا ـ بين سميراء ورمان ، وأنا لا أعرفه .

* * *

٧ — وقال لبيد :

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُها مَجْهُولَةٍ تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا
غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا
أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

البدي — ذكره البدي يحتمل أنه قصد جنّ البادية كما قال عنترة في شطر بيت :

* إنسٌ إذا قَعَدُوا جِنٌّ إذَا رَكِبوا *

فأما البدي : الذي ذكرته الشعراء في أشعارها فيظهر لي أنه واديان كل واحد منهما يسمى البدي ، أحدهما : يصب في الركاء ، واقع في القطعة الجنوبية من نجد . والثاني : يقع في شرق القَصيم ، قال لبيد في بيت غير الذي تقدم :

جعلن حراج القريتين وعالجا يمينا ونكبن البديَّ شمائلا

أما القريتان : فهما معروفتان ، واقعتان شرقي عنيزة ، بعثهما عبد الله بن عامر بن كريز ، وقد تغير اسمهما قليلا ، وهناك في روضة الزغيبية الواقعة من عنيزة في الجهة الشرقية موضع يقال له « القريّة » بهذا الاسم إلى هذا العهد .

وعالج الذي ذكره لبيد : رمالٌ مرتكمة تقع شمالي النباج الذي يسمى الأسياح اليوم ، يقال له اليوم العروق .

والبدي : لا أعلم موضعا في جهة القَصيم يقال له البدي ، إلا موضعاً واحداً اسمه يقارب هذا الاسم يقال له « اللبيّد » يقع بين النباج وبلد بريدة ، يحميه العامل على بريدة لمواشيه ، وهو موضع خصب .

ومن الدلائل الواضحة على أن الذي يسمى البدي موضعان قول الراعي :

يطأن بجَوْن ذي عَثَانين لم تدع أشاقيص فيه والبديان مصنعا

فثناه الراعي في هذا البيت ، وقال امرؤ القيس[1] :

أصَابَ قُطَيَّات فسال له اللِّوى فوادي البدي فانتحَى للأريض

(١) انظر ص ٨١ من هذا الجزء ، ومعجم البلدان ٢ / ٩٢

قَعَدْتُ له وصحبتى بين ضارج وبين تلاع يثلث فالعريض

هذا الوادى الذى ذكره امرؤ القيس هو الواقع فى القطعة الجنوبية من نجد ، وقال الأعشى :

أتنسين أياما لنا بدحيضة وأيامنا بين البدىِّ فثهمدا

وهذا الموضع الذى ذكره الأعشى هو الواقع فى شرق القَصيم الذى ذكرنا أن « اللبيد » عنده أو قريب منه ؛ لأن الأعشى قرنه بدحيضة ، ودحيضة ماءة لبنى تميم ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم اليوم ، ولكنها ــ فيما حَدَّده أهل المعاجم ــ واقعة فى القطعة الشرقية الشمالية من نجد .

وأما وادي البدىّ الذى يقع فى القطعة الجنوبية من نجد فقد أوضحه لبيد نفسه ، وذلك حيث يقول :

لاقى البدىُّ الكُلَابَ فاعتلجا سيل أتيهما لمن غلبا

فدعدعا سرة الركاء كما دعدع ساقى الأعاجم الغربا

ذكر لبيد أن سيل الكُلَاب والبدىّ يجتمعان حتى يَصُبان فى السرة ، ثم تتجه السيولُ إلى الركاء ، أما الكلاب : فقد تقدم الكلام عليه فى أشعار امرىء القيس ، وهو اليوم يسمى « وادى قحقح » على ما ذكرناه وأطلنا فى الاستدلال لما ذكرناه ، وليس يجتمع بسيل هذا الوادى ــ على ما بين لبيدٌ ــ إلا سيل وادى يقال له اليوم « الجلة » فهو إذن البدىّ الذي وقع في معلقة لبيد ، ودليلُنا على ذلك هذا الذى يقوله لبيد نفسه فى البيتين اللذين أثرناهما لك ، وشىء آخر يدل على أن هذا البدىّ هو « الجلة » وذلك أنهم عثروا فى هذا الوادى على بئر قديمة كانت قد طمرت ، فلما بعثوها قال مشيخة من أعراب تلك الناحية من بنى شيبان — وهم بطن من عتيبة — : إن هذه البئر كان يقال لها « البدية » ؛ فتسميتها القديمة بهذا الاسم يدل على أنهم أضافوها إلى وادى البدى الذى تقع هى فيه ، وأن الوادى كان له هذا الاسم . وأكثر سيول نجد الجنوبية تصب فى وادى الركاء ، فأما الأودية التى تصب فى وادى السرة قبل أن تجتمع بوادى الركاء فهى : وادى قحقح ، ووادى الجلة ، ووادى البيضا ، وجميعُ أودية جبل العلم وأودية جبل دمخ ، كل هذه الأودية تصب فى وادى السرة ، وأما أودية شُريف نجد فهى : وادى شبيكان ، ووادى الشبكة ، ووادى الشاة ، ووادى الشواة ، ووادى حلبان ، ووادى عليان ، ووادى عصيل ، جميع تلك الأودية تصب فى وادى السرة ، وجميع أودية الحرة المجاورة لبلدالرويضة رويضة العرض شمالها وادى عصيل ، وجنوبها أودية صبحا والأنكير ، جميعُ هذه الأودية تصب فى السرة ، ثم تجتمع سيولُ تلك الناحية فى بطن السرة ، وتتجه جنوبا إلى وادى الركاء .

ووادى الركاء متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية ، والقاسم بين وادى السرة ووادى الركاء جبل الحصاة المشهور فى الجاهلية بالحصّاء ، ووادى الحصاة يجعل ذلك الجبل على شماله ، ووادى السرة يجعل ذلك الجبل على يمينه ، فإذا خلفا ذلك الجبل اجتمعا ، وانقطع ذكر السرة ، و بقى وادى الركاء ، ثم اتجه قاصدا مطلع الشمس ، ثم يأتيه وادى لجع ، ووادى العمق ، ووادى بتران ، ووادى قران ، جميع تلك الأودية تصب فى وادى الركاء ، ووادى بتران ووادى عمق من أكبر تلك الأودية ، و بتران واقع فى طرف بلاد بنى عامر الجنوبية ، قال مجنون بني عامر صاحبُ ليلى :

وأشرفت من بتران أنظر هل أرى ... خيالا لليلى رأية وترانيا
فلم يترك الإشراف فى كل مرقب ... ولا الدمع من عينيك إلا المآقيا

وقال عمرو بن معديكرب يذكر عمقا :

لمن طَلَل بالعمق أصبح دارسا ... تَبَدَّل آراماً وعيناً كوانسا
بمُعْتَرك ضنك الحبَيّا ترى به ... من القوم محدوسا وآخر حادسا
تَسَاقَت به الأبطالُ حتى كأنها ... حنىّ براها السير شُعْثاً بوائسا

وقد غلط ناس كثير بين عمق والعُمَق ، فأما العُمَق فواقع فى بلاد بنى عبد الله بن غطفان وعَمْق الذى أوردناه واقع فى القطعة الجنوبية من نجد ، والعمق ميمه مفتوحة ، وهو الذى قال فيه الراجز :

كأنها بين شرورى والعُمَق ... وقد كسون الجلد نظما من عرق
نوّاحة تلوى بجلباب خلق

و بتران والعمق كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، فإذا اختلطت سيولُ تلك الأودية بوادى الركاء وهو متجه إلى جهة مطلع الشمس انعرج إلى جهة الشرق ، ثم يأتيه وادى الرين وهو وادٍ عظيم به قصور ومزارع ونخيل لأهل بلد القويعية ، ثم يتجه وادى الركاء وتأتيه أودية صغار بعد أن كل سيله الذى يسير إليه من أودية الزيدى وأودية العريف وأودية جبال السوادة وجبال الحصاة وجبال صبحا ، والأودية الصغار تأتيه من جبيلات صغيرى المضبة فتصب فيه ، ثم يرده كثيب يقال له « نفود الدحى » و يتجه ذلك الوادى إلى الجهة الشرقية الشمالية ، فإذا انقطع عنه ذلك الكثيب انعرج إلى جهة الجنوب حتى يصل إلى أعلى وادى برك الواقع فى اليمامة ، ثم يصب فيه ، وتختلط سيول الركاء بسيل وادى برك ، و تتجه إلى الجهة الشرقية الشمالية ، فتصب فى وادى الخرج بعد ما تجوز بلد الحوطة وقراها ، و يأتيها وادى ماوان ، ووادى نساح ، ووادى الأوسط ،

ووادي الحائر ، ووادي حنيفة ، ثم تجتمع تلك السيول العظيمة في موضع يقال له السهي في جهة الخرْج الشمالية الشرقية ، وهذا الاسم اسم جاهلي قديم يقال لها السهي ، قال جرير :

كَلَّفْتُ صحبيَ أهوالاً على ثقة ... لله درهُمُ ركبا وما كلفوا
ساروا إليك من السهي ودونهمُ ... فَيْحَانُ فالحَزْن فالصَّمَّان فالوكف
يُزْجُونَ نحوكَ أطلاحًا مُخَذَّمة ... قد مسها النكب والأنقاب والعجف

وقد كنت قبل أن أكتب هذه الكتابة عن سيل وادي الركاء ومَسِيره واتجاهه أشك في أنه يصب في وادي برك ، وكنت أظن أنه يقف بين كثيب الدحى وجبل العارض ، ولكني أخذت هذه الأخبار عن الثقات الواقفين على حقيقة أمره وسيره عند جريانه ، وقد شاهدوه بأعينهم وهو يصب في وادي برك ، وقالوا : إن وادي برك أطْمَنُ من وادي الركاء أكثر من مائة وخمسين مترا ، وكنت أظن قبل ذلك أن وادي الركاء أطمن من وادي برك بمائتي متر ، ولكني أخذت الخبر عن الثقات ، وكتبت بعد التثبت ، فهذا الوادي العظيم — أعني وادي الركاء — أعلاه تأتيه سيول من جهة دفائين والدخول وتنتهي في أسفل وادي الخرج ، وهذه المسافة قريب شهر لسير حاملات الأثقال من الإبل ، وقد انتهينا من سيول الرشا وأوديته ، وسيأتي الكلام على سيول الرمة في موضعها عند بيان موضع تلك الجهة .

* * *

٨ — وقال لبيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَعْلَامُهَا
أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا

تبالة : وادٍ في جهة بيشة ، وهو وادٍ عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد مضى الكلام عليه في أشعار امرىء القيس [1] . تبالة

انتهت معلقة لبيد ، وهي المعلقة الرابعة من العشر .

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء .

٥

عَمْرُو بْن كُلْثُوم التَّغْلِبِيّ

عمرو بن كلثوم التغلبى

مات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بائنتين وخمسين سنة تقريبا

هو عمرو بن كلثوم التغلبي الذى ينتهى نسبه فى تغلب بن وائل ثم يمتد إلى جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ذكر المواضع الواردة فى معلقته :

١ – أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ... وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا
مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا ... إِذَا مَا الْمَاءَ خَالَطَهَا سَخِينَا

الأندرين — الأندرين : اسمُ قرية [1] فى جنوبيَّ حَلَب ، بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب ، فى طرف البرية ، ليس بعدها عمارة ، وهى الآن خراب ليس فيها إلا بقية جدران ، وأهل تلك الناحية يعرفونها بهذا الاسم ، وكانت تُبَاع فيها الخمور فى الجاهلية ، وهى التى عناها عمرو بن كلثوم وقد اختلف أهل اللغة وأهل المعاجم فى لفظها : فمنهم من قال : إنها جمع أندرىّ — بياء النسبة — فلما جمع اجتمع فيه ثلاث ياءات ، فحذف ياء النسبة كما قالوا « الأشعرين » فى جمع أشعرى ، وقال الأزهرى : الأندر : قرية بالشام فيها كروم ، وجمعها الأندرين .

* * *

٢ – وقال عمرو بن كلثوم :

صَدَدْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو ... وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا
وَمَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ أُمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِي لاَتَصْبَحِينَا
وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ ... وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا

بعلبك — بَعْلَبَكُّ : اسم لمدينة من أعمال دمشق ، وكان بها صنم لقوم إلياس النبى عليه السلام ، وهو الذى قال الله جل ذكره فيه (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلم يطلق هذا الاسم على هذه المدينة إلا بعد أن وضع هذا الصنم فيها ، وهو معظم عند اليونانيين ، وقد أطال الكلام عليه أهل المعاجم وذكروا فيه روايات كثيرة ، وهذا الاسم معروف إلى هذا العهد عند جميع أهل تلك الناحية .

---

(١) انظر معجم ن ١ / ٣٤٥

دمشق : معروفة بدمشق الشام ، وهى عاصمة سوريا اليوم ، قال فى معجم البلدان[1] : دمشق البلد المشهور ، قصبة الشام ، وهى جنة الأرض بلا خلاف ، لحسن عمارة ، ونضارة بقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب ، هذه عبارة من عبارات المعجم ، وقد أطال عليها صاحب معجم البلدان ، ومما قيل فى دمشق وحسنها ونضارتها من النثر والنظم قول أبى المطاع ابن حمدان فى وصف دمشق : دمشق

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلى بجنوب الغوطتين شجونُ
وما ذقت طعم الماء إلا استخفَّنى إلى بَرَدَى والنيربَيْن حنينُ
وقد كان شكى فى الفراق يروعنى فكيف أكون اليومَ وَهْوَ يقينُ
فوالله ما فارقتكم قاليا لكم ولكن ما يقضى فَسَوْفَ يكون

وقال الصنوبرى :

صَفَتْ دنيا دمشق لقاطنيها فلست ترى بغير دمشقَ دُنْيَا
تفيض جداول البِلَّوْرِ فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
مُكَلَّلة فواكهن أبهى الـ مناظر فى مناظرنا وأهيا
فمن تفَّاحه لم تعد خدا ومن أترجّة لم تعد ثديا

وقال البحترى :

أما دمَشْقُ فقد أبدت محاسنها وقد وَفَى لك مُطرِيها بما وعدا
إذا أردت ملأت العَيْنَ من بلد مستحسن وزمان يُشْبه البَلَدَا
يُمْسِى السحابُ على أجبالها فرقاً ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا وَاكِفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِرا أو طائرا غَرِدا
كأنما القَيْظُ ولّى بعد جَيْئَته أو الربيعُ دَنَا من بعد ما بَعُدَا

وقال أبو محمد بن عبد الله النقاد يمدح دمشق :

سَقَى الله ما تَحْوِى دمشقُ وحَيَّاها فما أطيَبَ اللَّذَّاتِ فيها وأهناها
نَزَلْنَا بها واستوقفتنا محاسن يحنُّ إليها كلُّ قلب ويهواها
لَبِسْنَا بها عيشاً رقيقاً رِدَاؤهُ ونلنا بها من صَفْوة اللهو أعلاهَا
وكم ليلةٍ نادمْتُ بدر تَمَامِها تقَضت وما أبقَتْ لنا غيْرَ ذكراها

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٧٢

فآهاً على ذاك الزمانِ وطيبـه وقلْ له من بعده قَوْلتى آها
فيا صاحِبى إمَّا حملت رسـالةً إلى دار أحباب لنا طاب مغناها
وقُلْ ذلك الوَجْدُ المبرِّحُ ثابتٌ وحرمة أيام الصبـا ما أضعناها
فإن كانت الأيام أنْسَتْ عهودَنَا فَلَسْنَا على طول المَدَى نتناساها
سَلَامٌ على تلك المعـاهد إنهـا مَحَطُّ صباباتِ النفوس ومَثْواها
رعى الله أياما تَقَضَّت بقربهـا فما كان أحلاها لديها وأمراها

وقال آخر فى ذم دمشق :

إذا فَاخَرُوا قالوا ميـاهٌ غزيرة عِذَابٌ وللظامى سُلَافٌ مُرَوَّقُ
وقد قال قوم جَنَّةُ الخلد جِلّقٌ وقد كَذَبوا فى ذا المقال وخَرَّقُوا
فما هى إلا بلدة جاهليـة بها تـكسدالخيراتُ والفسقُ يَنْفُقُ
فحسبهمُ جيرون فخراً وزينة ورأس ابنِ بنت المصطفى فيه عَلَّقُوا

ودمشق باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

قاصرين — وقاصرين : بلدة عظيمة مما يلى بالس ، قال فى معجم البلدان (١) : بالس بلدة بالشـام بين حلب والرقة ، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت على ضفة الفرات الغربية ، فلم يزل الفرات يُشَرِّق عنها قليلا قليلا حتى صار بينهما فى أيامنا هذه أربعة أميال .

قال البلاذرى فى فتوح البلدان : سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين ، وقدم مقدمته إلى بالس ، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى قاصرين ، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أُقْطِـعَا القُرَى التى بالقرب منهما ، وجُعِلا حافظين لما بينهما من مدن الروم ، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء ، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ، ولم يكن الجسر يومئذ ، وإنما اتُّخذ فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه للصوائف ، ويقال : بل كان له رسم قديم ، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادى ، ثم رفضوا قاصرين ، وبلغ أبو عبيدة إلى الفرات ، ثم رجع إلى فلسطين ، فكانت بالس والقُرَى المنسوبة إليهـا كقاصرين وغيرها فى حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء عشرية ، فلما كان مسلمة بن عبدالملك توجَّه غازيا إلى الروم من نحو الثغور الجَزَرية عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل بوبلس وقاصرين

(١) انظر معجم البلدان ٢ / ٤٦ ثم انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٥٧ .

وعابدين وصفين ، وهى قرى منسوبة إليها ، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشروط ، ورمّ سور المدينة وأحكمه ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته ، فلم تزل فى أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية وقبض عبدُ الله بن على أموالَ بني أمية ، فدخلت فى تلك الأموال ، فأقطعها السفاح محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما مات صارت للرشيد فأقطعها ابنَه المأمونَ ، فصارت لولده من بعده .

والداعى إلى ذكر بالس أن قاصرين لم تذكر إلا معها فى تلك العبارات ، وقاصرين باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفها أهل تلك الناحية .

* * *

٣ — وقال عمرو بن كلثوم : (١)

فَمَا وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الْحَنِينَا
وَلاَ شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلاَّ جَنِينَا
تَذَكَّرْتُ الصِّبَا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ حُمُولَهَا أُصُلاً حُدِينَا
فَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

اليمامة : اختلف أهل اللغة فى تسميتها اليمامة واشتقاقها ، قال الأصمعى : اليمام ضَرْبٌ من الحمام البرى ، واحِدَتُهُ يمامة ، واستدل فى آخر هذه العبارة بقول المرار الفقعسى : اليمامة

إذا خَفَّ ماء الْمُزْنِ فيها تيممت يمامتها أىَّ العِدَادِ تَرُومُ ؟

وكانت فى الزمن القديمة مساكن طَسْم وجَدِيس والعماليق ، سكنتها سنين قديمة ، وقاعدتها حَجْر اليمامة ، وتسميتها باليمامة تسمية قديمة ، لأن زرقاء اليمامة مضافة إليها ، وهى امرأة من طَسْم كانت متزوجة فى جديس ، وهم فى أوائل القرون البائدة ، فإن كان الذى ذكره الأصمعى صوابا أن اليمامة الحمامة ، فالجبل المحيط باليمامة يقال له طوق اليمامة كطوق الحمامة ، فصغر حتى سمى طويقا وجو اليمامة : هو الواقع شرق الأكثبة الحمر مما يلى بلد المزاحمية ، قال جحدر اللص (٢) فى ذكر جو :

وإنَّ امرأً يَعْدُو وحجر وَرَاءه وجَوٌّ ولا يغزوهما لَضَعِيفُ

---

(١) البيتان الأول والثانى متأخران فى رواية المعلقات عن الثالث والرابع

(٢) انظر المعجم ٣ / ١٧٧ .

إذا حُلّةٌ أبْلَيْتُهَا ابتعت حُلّةً بسانية طوع القياد عليف
سعى العبد إثرى ساعةً ثم ردّهُ تذكُّرُ تنورٍ له ورَغِيفُ

وقال بعضهم، وهو الأعشى يقوله وهو وافد على هُوذَةَ بن على الحنفى :

تَجَانَفُ عن جو اليمامة ناقتى وما عَدَلَتْ عن أهلها لِسِوَائكا

وهو من مساكن هُوذة بن على الحنفى الرجلِ الكريم الجواد العاقل، ولكن لم ينفعه عقله بشيء؛ فقد أدرك الإسلام وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إليه، فأبى وخرج إلى بلاد عبد القيس وهلك بها، وهو من مشاهير العرب، وفد على كسرى فأدناه من مجلسه وسأله وأعجب بكلامه، قال له كسرى : كم لك من الولد ؟ قال : أحَدَ عَشَر ولدا ، قال : أيهم أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يئوب ، ثم التفت كسرى إلى أشراف قومه من العجم فقال : أسمعتم كلام هذا العربى ؟ ما أحسنه ! ثم التفت إلى هُوذة ابن على فقال : ما نتاج بلادك ؟ فقال : البر، فقال : نعم المأكول إنه يصفى العقل ويقوى الدماغ

قال مصنف هذا الكتاب : كنا فى مجلس وقرأنا هذه العبارة فى كتاب الأغانى ، وفى ذلك المجلس الشيخ عبد الله بن حمد الدوسرى قاضى الحوطة اليوم، وهو فى ذلك الوقت قاضى بلد القويعية مدينة العرض، فالتفتُّ إليه، وقلت له : ياشيخ إن نتاج بلادكم فى العرض البر، ولكنى لم أجد عقل هوذة بن على فيكم ولا قريبا منه ، فضحك والتفت إلىّ . ثم قال : يا أخى إن البر الذى تنتج بلادنا ثلثاه شعير، فإن وجدت اختلافا فى العقول فهو منه .

ولهوذة بن على أخبار طويلة تملأ صفحات التاريخ .

اليمامة : يطلق هذا الاسم على جميع أنحائها ، وفي أخبار المغازى عبارات كثيرة منها : افتتحت اليمامة فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ، ورئيس الجيش خالد بن الوليد رضى الله عنه، أخذها عنوة، ثم صولحوا، ذكروا أنه لما قرب منهم خالد بن الوليد خرج مُسَيلمة الكذاب وعَسْكر فى عقرباء، وعقرباء موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريبَ بلد مسيلمة التى قتل فيها، قتلَهُ وَحْشِى، وهو عبد أسود مولى جُبَيْر بن مُطْعم، وهو قاتل حمزة رضى الله عنه يوم أحد، وللمسلمين و بنى حنيفة وقائع فى نواحى عقرباء كثيرة قبل قتل مسيلمة، قال ضرار بن الأزْوَرِ (١) :

ولو سُئلت عنا جَنوب لأخبرَتْ عشيةَ سالت عقرباء ومَلْهَمُ

(١) معجم البلدان ٦ / ١٠٤ وانظر شرح شواهد الأشمونى للأستاذ محمد محي الدين ٢ / ٤٤٣

وسال بفرع الواد حتى ترقرقت ... حِجَارتُه فيه من القوم بالدَّمِ
عشيةَ لا تُغني الرماحُ مكانها ... ولا النَّبل إلا المشرفيُّ المصمّمُ
فإن تبتغى الكفارَ غير مُنيبة ... جَنُوب فإنى تابعُ الدين مسلِمُ
أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمةً ... وَلَلَّهُ بالمرء المجاهدِ أعلَمُ

والقاعدة الثانية بعد قاعدة جوّ هى قاعدة حَجْر الموجودة بهذا الاسم إلى هذا اليوم فى بلد الرياض قاعدة المملكة العربية السعودية اليوم ، وأطال المؤرخون الكلام على حجر . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى [1] : خرجت بنو حنيفة بن لُجيم بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل يتبعون الريف و يرتادون الكلأ ، حتى قاربوا اليمامة على السَّمْت الذى كانت عبدُ القيس سلكته لما قدمت البحرين ، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة منتجعا بأهله وماله يتبع مواقع القَطْر حتى هَجَم على اليمامة ، فنزل موضعا يقال له : قارات الحبل ، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة ، فأقام بها أياما ومعه جار له من اليمن من سعد العشيرة ثم من بنى زبيد فخرج راعى عبيدٍ حتى أتى قاع حَجْر فرأى القصور والنخل وأرضاً عرف أن بها شأنا ، وهى التى كانت لطسم وجديس ، فرجع الراعى حتى أتى عبيداً ، فقال : والله إنى رأيت آطَاماً طِوالاً وأشجاراً حساناً ، هذا حَمْلها ، وأتى بالتمر معه مما وجده منتثراً تحت النخيل ، فتناول منه عبيد وأكل وقال : والله هذا طعام طيب ، وأصبح فأمر بجَزُور فنُحرت ، ثم قال لبنيه وغلمانه : احترزوا حتى آتيكم ، وركب فرسه ، وأردف الغلام خلفه ، وأخذ رمحه ، حتى أتى حَجْرا ، فلما رآها لم يَحُلْ عنها ، وعرف أنها أرض لها شأن ، فوضع رمحه فى الأرض ، ثم دفع الفرس ، واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حَجْرا ، وكانت تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها ، فقال فى ذلك :

حللنا بدار كان فيها أنيسها ... فبادُوا وخَلَّوا ذاتَ شيد حصونها
فصاروا قَطيناً للفلاة بغُرْبة ... رميا ، وصرنا فى الديار قطينها
فسوف يليها بعدنا مَنْ يحُلُّها ... ويسكن عرضاً سهلها وحزونها

ثم ركز رمحه فى وسطها ، ورجع إلى أهله فاحتملهم حتى أنزلهم بها ، فلما رأى جاره الزبيدى ذلك قال : ياعبيد الشرك ، قال : بل الرضا ، فقال : مابعد الرضا إلا السخط ، فقال عبيد : عليك بتلك القرية فانزلها ، القرية بناحية حَجْر ، على نصف فرسخ منها ، فأقام بها الزبيدى ثم غرض [2]

---

(١) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٢١ (٢) غرض ـ بالغين المعجمة ـ أى ضجر وسئم ومل .

فأتى عبيداً فقال له : عَوِّضْنى شيئا فإنى خارج وتارك ماطهنا ، فأعطاه ثلاثين بَـكْرة ، فخرج ولحق بقومه ، وتسامعت بنو حنيفة ومَنْ كان معهم من بكر بن وائل بما أصاب عبيد بن ثعلبة ، فأقبلوا فنزلوا قرى اليمامة ، وأقبل زيد بن يربوع عم عبيـد حتى أتى عبيداً فقال : أنزلنى معك حَجْراً ، فقام عبيد ، وقبض على ذكره ، وقال : والله لاينزلها إلا من خرج من هذه ، يعني أولاده ، فلم يسكنها إلا ولده ، وليس بها إلا عبيدى ، وقال لعمه : عليك بتلك القرية التى خرج منها الزبيدى فانزلها ، فنزلها فى أخبية الشَّعَر حتى بنوا القصور ، وكان عبيد يقول لولده : انطلقوا إلى باديتنا ، يريد عمه ، فيمضون يتحدثون هناك ، فمن ثم سميت البادية ، وهى منازل زيد وحبيب وقطن وابيد بنى يربوع بن ثعلبة بن الدّوْل بن حنيفة ، ثم جعل عبيد يفسل النخل ، فيغرسها فتخرج ولا تخلف ففعل أهل اليمامة كلهم ذلك ، فهذا هو السبب فى تسميتها حَجْراً ، وقد أكثرت الشعراء من ذكرها والتشوق إليها ، فروى عن نفطويه قال : قالت أم موسى الـكلابية ، وكان قد تزوجها رجل من أهل حَجْر اليمامة ونقلها هناك :

قد كنت أكره حَجْراً أن ألمّ بها ... وأن أعيش بأرض ذاتِ حيطان
لا حبذا الغرف الأعلى وساكنه ... وما يضمن من مال وعِبْدَانِ
أبيت أرقب نَجْمَ الليل قاعدةً ... حتى الصباح وعندَ الباب عِلْجَانِ
لولا مخافة ربِّى أن يُعاقبنى ... لقد دعوت على الشيخ ابن حيّان

ولعل الشيخ ابن حيان هو الذى عَقَد لزوجها عليها .

وكان رجل من بنى جشم بن بكر يقال له جحدر اللص يُخيف السبيلَ بأرض اليمن ، وبلغ خبرُه الحجاجَ بن يوسف ، فأرسل إلى عامله باليمن يُشَدد عليه فى طلبه ، فلم يزل يجدُّ فى أمره حتى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط ، فقال له : ماحملك على ماصنعت ؟ فقال : كَلَبُ الزمان ، وجرأة الجنان ، فأمر بحبسه ، فحبس ، فحنّ إلى بلاده وهو من أهل حَجْر فقال :

لقدْ صدَع الفؤاد وقد شَجَـانى ... بـكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتـا بصوت أعجمى ... على غُصْنَيْنِ من غَرب وبَانِ
فأسبلت الدموع بلا احتشام ... ولم أك باللئيم ولا الجبان
فقلت : لصاحبىَّ دعا ملامى ... وكُفّا اللوم عنى واعـذرانى
أليس الله يعـلم أنّ قلبى ... يُحبّكَ أيهـا البرقُ اليمانى
وأهوى أن أعيد إليك طَرْفى ... على عُدواء من شغلى وشانى

أليس الليـل يجمع أم عمرو ... وإيانا فذاك لنـا تدانى
بلى ، وترى الهلال كما أراه ... ويعلوها النهار كما علانى
فما بين التفرق غـير سبع ... بقين من المحرم أو ثمان
ألم ترنى غذيت أخا حروب ... إذا لم أجن كنت مجن جاني
أيا أخوىّ من جُشَم بن بكر ... أقلاّ اللّوم إن لا تنفعانى
إذا جاوزتما سَعَفات حَجْر ... وأودية اليمامـة فانعيـانى
لفتيَان إذا سمعوا بقتـلي ... بـكى شبانهم وبـكى الغَوانى
وقولا جَحْـدَر أمسى رهينـا ... بحـاذر وقع مَصْقُول يمـانى
ستبـكى كلُّ غانيـة عليـه ... وكل مُخَضَّب رَخص البَنَـانِ
وكل فتًى له أدبٌ وحلم ... مَعَدِّىٌّ كريم غـير وانى

فبلغ شعره هذا الحجاج ، فأحضره بين يديه ، وقال له : أيهما أحب إليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك للسباع ؟ فقال له : أعطنى سيفا وألقنى للسباع ، فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجَوّع فزأر السبع وجاءه ، فتلقاه بالسيف ففلق هامته ، فأكرمه الحجاج واستتابه ، وخلع عليه ، وفرض له فى العطاء ، وجعله من أصحابه .

وقد أنشد ابنُ الأعرابى فى نوادره لبعض اللصوص وقد طال سجنه فى حَجْر :

هل البـاب مفروج فأنظر نظرةً ... بعين قَلَتْ حَجْرا وطال احتمامها ؟
ألا حبذا الدهنا وطيبُ ترابها ... وأرضٌ فضاء يَصْدَح الليلَ هامُها
وَسَيْرُ المطايا بالعشيَّات والضحى ... إلى بقر وحش العيون أكامها

وحجر اليمامة : هى البلد العظيمة فى الجاهلية والإسلام ، قال ابن بطوطة فى رحلته فى القرن السـابع : دخلت اليمامة وقاعدتها حَجْر فوجدت بلداً عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع وأطال عليها الـكلام ، ثم كانت قاعدة تلك الناحيـة فى بلد الدرعية ، فى أوائل الدعوة التى قام بها الشيـخ محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره ونُصْرة تلك الدعوة الإمام محمد بن سعود وابنهُ الإمام عبد العزيز بن محمد ومِن بعده ابنهُ الإمام سعود بن عبد العزيز الذى امتدت الفتوحات على يديه ثم انتقلت قاعدة المملـكة إلى بلد الرياض ، وبها سِرٌّ غَامِضٌ خبأه الله عن خلقه ، وهو هذا الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، قال الشاعر الـكبير محمد بن عثيمين ، فى قصيدة له مطلعها وهو يخاطب فيها نفسـه على طريق التجريد فيها المعروف عند أهل البلاغة :

قد بلّغتك المهارى منتهى الأمل ... فما التنقّل من سهل إلى جبل ؟
أرحْ ركابك فالأرزاق قد قسمت ... وليس يعدوك ما قد خط فى الأزل
فطالما أوضَعَتْ خوصُ الركاب بنا ... فى مَهمه قُذُفٍ أو مَجهل غُفُلِ
سَبَاسب يقلب الألوان صَيْخَدُها ... وتارةً فوق ألواح بذى زجل
فالآن لما أقال الله عثرتنا ... فى دولة المرتضى فى القول والعمل
فخفض الهم وأنم فى ذُرَى ملك ... وأعف الركائب من حلّ ومُرْتحَلِ

إلى أن قال :

لو كان فيصل يدرى قبل ميتته ... بأنَّك من صُلْبه استبطى مدى الأجل

إلى أن قال :

و إن كسوتك من حُسْن الثَّنا حُلَلا ... فأنت من قبلها أبهى من الحلل

وهى من عزيز الشعر ، وله قصائد فى جلالة الملك عذبة الألفاظ ، جيدة المعانى ، مات هذا الشاعر فى بلد الحوطة — رحمه الله ! — قريب منتصف القرن الرابع عشر .

وحجر قد أعاد الله عليه تاريخَه الأغر بوجود هـذا الملك العادل الـكريم فقد اطلعت على تاريخ الأمم والملوك في الدولة الأموية والدولة العباسية من منتصف القرن الثانى إلى هـذا العهد فلم أجد لأحد منهم ذكرا يضاهى ما أرى لهذا الملك من مكارم الأخلاق وعظيم الشيم و بذل المـال و إهانته له ، مع تقًى وورع ورفق برعيته ووفاء بالعهد ، فقد كان الملك من الملوك السابقين إذا وضع قسما من زكاة قوم فى فقرائهم نطقت الشعراء والخطباء بعدله ، فأما الملك عبد العزيز فإنه يفرق الشئ الـكثير من الزكاة على الفقراء ، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحلل فتفرق على جميع الجهات فى رعيته ، يُفَرِّقها أمناء وكُتَّاب على أهل كل جهة ، يأتيهم المقرر لهم وهم فى أماكنهم بغير طلب منهم ولا تـكلف ، ثم تأتيه الوفود وتتتابع أرسالهم إلى تلك العاصمة زَرَافات وأفواجا ، يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلّق وأعراب نجران وأعراب اليمن ، وما بين تلك الجهات من الأمم التى لا يحصى عددها إلا الله ، تأتى إلى هذه الـدّة الملـكية فتمتاح منها كأنها تمتاح من دجلة أو الفرات ، فبعض الأيام يبلغ عدد الوافدين عليه فى اليوم الواحد عشرة آلاف رجل وقد يزيدون أو ينقصون عن هذا العدد ، و يمتد هذا الترسل ستة أشهر ، فلو أن رمل عالج نَقَد لنفِد ولكن البركة واصلة فيما تحوى تلك الكف المباركة ، فلو علم عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدؤل بن حنيفة الذى اكتشف حَجْرا بمـا تم لحجر اليوم من العز والشرف لسكانه ، وما

أدركوا من المجد والعلى ، لسُرَّ بذلك ، وهـذا الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور صاحب بلد منفوحة قد فاته أمران :

الأول — وهو أهم من الذي بعده — أنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوجَّه إليه وافداً من بلدهِ منفوحة معتقداً الإسلام ، وقال قصيدته المشهورة التى مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمَدَا ٭ وبتَّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال :

فآليت لا أرثى لها من كَلالَة ٭ ولا من حَفًى حتى تلاقى محمدا

إذا ما أناخَتْ عندباب ابن هاشم ٭ أراحت وتَلْقَى من فواضله نَدَى

فلما قدم مكة رده مشركو قريش ، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ ، فرجع من مكة بعد أن بذلت له قريش الإبل والحُلَل ، فلما وصل بلده منفوحة نفرت به راحلته فسقَطَ منها وهلك ، نعوذ بالله من تلك الحالة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته قال : كاد أن يسلم .

الأمر الثانى : لو أدرك الأعشى هذا الوقتَ وجعله الله من أهل هذا القرن لا استراح من الحِلِّ والترحال ، واستراحت راحلته من الإدلاج والإرقال ، فى وفاداته على ملوك نجْران بنى عبد المَدَان وعلى الملوك اللَّخْميين بالعراق وملوك الغَسَّانيين بالشام ، فلو أدرك هذا الوقت لقصرت خطاه ، وكانت وفادَته قريبة الانتهاء سريعة المأخذ قريبة الامتياح من هـذا النهر الفياض الذي أوجده صاحب الجلالة الملك عبد العزيز من تيار كرمه المتتابع الذى لم يسبقه إليه سابق ، ويتعب على أثره اللاحق ، فلو كان الأعشى موجوداً لـكان يخرج من بلده منفوحة بعد طلوع الشمس وفى حينه يصل إلى السُّدَّة الملـكية ويقضى وَطَره ويعود إلى بلده قبل أن تشتد ضاحية النهار ، وحينئذ يرى كثرة الوافدين ، ويسمع وَسْوَاس النقود وكثرة الرهج والأصوات عند تلك السدة الملكية ، وإذن لجادت قريحته بجيد الشعر كما درّت قريحة الشاعر الـكبير محمد بن عثيمين حين قال فى قصيدة له مطلعها :

رَبْعٌ تأبّد من شِبْه المَهى العِينِ ٭ وقفت دمعى على أطلاله الجون

إلى أن قال :

مَنْ مُبلغ الصحب عنى قولَ مبتجح ٭ بمـا يلاقى قرير القلب والعين

إنى أوَيْتُ من العَلْيا إلى حَـرَم ٭ قبل الإناخة بالبشرى يحيينى

ينتابه الناسُ أفواجا كأنهمُ ٭ جاءوا لنسكٍ على صُهْب الهَجَانين

ترى الملوك قياماً عند سُدَّته ... وتنظر ابنَ سبيل وابن مسكين

ذا يطلبُ العفو من عُقْبَى جريرته ... وذا يؤمل فضلا غير ممنون

وهذه القصيدة من عزيز الشعر . .

والملك عبد العزيز ـ أطال الله بقاءه ! ـ يعطى القاصى والدانى ، والمثرى والمعدم ، وفضله لم يفت إلا القليل من أهل مملكته ، عَمَّرَ المساجد ، وأسس المدارس ، وطهر الحرمين من جميع المحرمات ونصر المظلوم ، وقمع الظالم ، وأنقذ الله به مَنْ تحت حمايته ، وله تاريخ لو سطر لضاقت به صفحات الكتب ، ولله فى خلقه سرٌ لا يعلمه غيره ، ومنه ادّخار هذا المَلِكِ الفاضل فى أصلاب هذا العنصر المبارك إلى هذا الوقت الذى أدركناه حتى فزنا بوجوده .

قال مصنف هذا الكتاب : لقد أدركت الطرق وهى محوفة بمن أخذ على السالكين مسالكها من قطاعها ، فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة ، فأما فى هذا العهد فإن المرأة تخرج من بلد إلى بلد بحَلْيها وحُلَلها فلا يجسر أحد أن يدنو منها رافعة يديها إلى السماء تدعو الله ببقاء هذا الملك .. ومن التصادف العجيب أنى قلت فى وقعة تربة سنة ١٣٣٧ قصيدة مطلعها :

بسمر القنا والمرهفات القواضب ... ينال العلى والعز أعلىٰ المراتب

إلى أن قلت :

فلا بدَّ من فتح إذا شاء ربنا ... به يظهر التوحيد بين الأخاشب

فصدق الله تعالى قولى فى عام ١٣٤٣ من الهجرة حيث افتتحت مكة ونادى المنادى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بعد ست سنوات .. وقلت أيضاً لما قَدِمَ صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بجنود أهل نجد مَدَداً للغُزَاة المحاصرين لجدة قصيدة هذا مطلعها :

لنجلك السعْد قبل اليوم مشهود ... وفى لواه أطيد العز معقود

وقادها حزبا من كل ناحية ... وقد شكت من سُرَاه الضُّمَّرُ القُودُ

فصدق الله تعالى هذا وافتتح جدةَ صاحبُ هذا اللواء الذى ذكرناه . .

وقال الشاعر البليغ محمد بن عثيمين فى قصيدة مطلعها :

عُجْ بى على الربع حيث الرند والبَانُ ... وإن نأى عنه أحباب وجيران

إلى أن قال :

أقول للعيسِ إذ تلوي ذفاريَهَا ... لإلفها ولها فى الدَّوِّ تَحْنَان

رِدى مياهاً من المعروف طامية ۞ نَبَاتُها التبرُ لا شِيحٌ وسعدان

حتى انتقل الشاعر من هذا المعنى إلى معنى آخر فقال :

خبيثة الله فى ذا الوقت أظهرها ۞ وللمهيمن فى تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به ۞ أما ترى عمهم أمن وإحسان
حاط الرعية من بصرى إلى عَدَن ۞ ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم ۞ يدعو له بالبقا ما بَقْىَ إنسان(١)

وهذه القصيدة من غرر الشعر ، وللشاعر قصائد كثيرة فى جلالة الملك على هذه السلسلة . فإن الله تعالى لما أوجد جلالة الملك ووسع ملكه فى جميع أنحاء بلاد العرب حفظ له الدين والتوحيد الذى ما عمر هذا الملك إلا حفظهما ، وهذه الدولة لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به . كما قال الشاعر فى قصيدة له قد مرّ مطلعها وقطعة من أبياتها :

قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت ۞ بهم ربيعة من فاس إلى الصين
وحين خفيَتْ رسوم الدين وانطمست ۞ وسِيمَ أهلُ التقى بالخسف والهون
اختارك الله للأمر الذى سبقت ۞ به السعادة للدنيا وللدين
فكنت فى هذه الدنيا القوام لهم ۞ وكنت للدين قسطاس الموازين
أعطوا بسعدك حظًّا ما توهمه ۞ فكر ولم يك فى الدنيا بمظنون
قال العزيز الذى أنت العزيز به ۞ قُمْ واسْتَعِنْ بى فإنّى ناصرٌ دينى
أجَبْتَ حظك إذ ناداك معتزما ۞ بالمُرْهَفَات وجُرْدٍ كالسراحين
إذا سَرَيْن بليلٍ خلت أنجُمَهُ ۞ من قَدْحِهن الحصَى يشعلن فى الطين

فثبت هذا الملك وثبتت قواعده على الدين والتوحيد والإنصاف ومناهج الحق ، فإن حُفِظَ حفظهم الله فى الدنيا والآخرة .

فهذه العاصمة القهارة مَنْ تَجَوَّلَ بها ورآها علم أن ملكها ملك صالح قد أصلح الله ملكه ، فجميعُ التجارة النجدية تجلب إليها كالإبل والأغنام والدهن والحبوب والكلأ والحطب والفحم والملح ، أضف إلى ذلك جميع الأقمشة التى ترد الحجاز وترد الخليج الفارسى والسكر والشاى والقهوة والهيل ، جميعُ هذه الأنواع على اختلافها ترد إلى تلك العاصمة ، وقد ساعد على نقلها آلات النقل الحديثة كالسيارات وغيرها ، فكل يوم ترد تجارة جديدة فتباع وتشترى فى ذلك اليوم؛ فهى زهرة البلاد النجدية فى هذا العهد الزاهر ، هذا السياق على اليمامة ، وحجر اليمامة قد درس رسمه

(١) بقى ، هنا بتسكين القاف للتخفيف ولإقامة الوزن ، وهو عربى جيد .

ولم يبق إلا اسمه الذى كان يعرف به فى الزمن القديم ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

كأن حُدُوجَ الحَيِّ حين تحمّلوا   حدائق دوم القادسية أو حجر

وتلاشى هذا الاسم فى اسم الرياض (١) ، كما يتلاشى الملح فى الماء . وقد ذكر صاحب معجم البلدان المصانع الواقعة بين المدينة التى تسمى الرياض اليوم و بين منفوحة ، والمصانع فى اللغة : الآبار والأحواض ، وهذه تصنع عادة للزرع والبساتين ، والمصانع أيضاً : المبانى ، قال غَيْلان ذو الرمة :

ألفَّ أجادت فَتْلَه أسَدِية   ذِرَاعِية حَلاَّلة بالمصانع

يصف النباتَ والمطرَ الذى أجاد نبته حتى اشتبك من سحابة سكبت عليه ماءها فى برج الأسد من نوء الذراع حَلاَّلة بالمصانع : ألقت على تلك الرياض المطر ، وقال الله تعالى فى البناء : (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) وموضع الرياض اليوم ظنى أن البقاع المنخفضة منه المتساوية كانت رياضا فسمى بها (١) .

والأسماء المشهورة فى الجاهلية باليمامة : حجر اليمامه ، وجو اليمامة ، والوادى المسمى بوادى حنيفة يشق جبل اليمامة ، و بنو حنيفة يسكنونه من أعلاه إلى أسفله ، وما حوله يمنة و يسرة قصور ونخيل ومزارع ، أعلاها البرة وما حولها ليحيى بن طالب الحنفى ، وقد مر ذكرها عند الكلام على قرقرى فى قصائد زهير ، وضَرَمَى وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر هذه مساكن ثُمَامة الحنفى ، وتسمى إلى هذا العهد بوادى ثمامة ، ومن أعلى الحيسية إلى بلد الخَرْج كلها لبنى حنيفة ، ثم انتقل منهم بُطُون وجماعات كثيرة بعد الفتوحات إلى جهة العراق والشام ، واستوطنوا فى تلك الجهات إلى هذا العهد ، ولهم فى ذلك الوادى بقايا من العنصر الحنفى ، وأهل تلك الناحية يُعْرَفون بشدة البأس ، والصبر عند القتال ، والثبات فى موطنه ، وقد شوهِد لهم ذلك فى مواطن كثيرة ، قالت العرب : فتحنا فارس والروم بعد علم أخذناه عن بنى حنيفة فى القتال ، والذين قالوا هذا القول من العرب هم الذين قاتلوا بنى حنيفة مع خالد بن الوليد رضى الله عنه .

واليمامة : جبل معترض فى نجد الشرقية ، كما قال عمرو بن كلثوم فى صفته ، و إنما يصف وجهه

---

(١) ظنى أن هذه اللفظة غلبت على حجر ، وقد ذكر صاحب معجم البلدان عند الكلام على الرياض « روضة القميعة » وذكر رياض السلى ، والقميعة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند موضع الرياض ، والسلى : قريب الرياض ، فلعل هذه الأماكن جمع بعضها إلى بعض فقالوا « الرياض » وهم يعنون جمع روضة ، ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه .

الغربي وأنوفه الشاهقة حين قال :

* كأسياف بأيدى مصلتينا *

فلا ترى لهذا الجبل العظيم خشما شاهقا إلا متيمّا القبلة كأنه يصلى ، فإذا رأيته وقد أشرقت فيه الشمس تبادر إلى ذهنك بيت عمرو بن كلثوم ، إذا أتيت هذا الجبل من جهته الغربية جزمت أنه من أرفع جبال الأرض ، فإن أتيته من جهته الشرقية ظننت أن ليس هناك جبل ، لأنه يكاد يكون لاطئاً بالأرض ، ولهذا الجبل شأن عظيم ، وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور : إما أن تكون فيه ، أو تراه بأعينها جاثمةً فى غربيه أو شرقيه ، وجميع غراس هذه الجهة يشرب من ماء هذا الجبل أو من سيله ، فهى من أجود غراس نجد ، وثمرتها خالصة بغير جلد ولاقشر ، ويكفيه فخراً أن هذه العاصمة القهارة العظيمة الرياض قد بركت بأجمها فى وسطه ، وألقت رحلها فيه ، وهى قاسمة بين الناحيتين الشمالية والجنوبية منه ؛ ما كان منها شمالا إلى نهاية طرفه الشمالى فغروسها خضرى ، وهو نوع من النخل ، وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وما كان فى الناحيـة الجنوبية منه إلى طرفه الجنوبىّ فغروسُها يقال لها « الصفرى ، والسري » وما عدا ذلك يسمى « الدقل » وطرفه الشمالى محاذٍ النباج ، وطرفُه الجنوبى محاذٍ للأفلاج منقطع فى الجهة الشمالية منه يضعف إذا خلف بلد « لغاط » مقر السدارى أخوالِ جلالة الملك ، و بلد لغاط قديمة جاهلية واقعة فى سفح جبل اليمامة فى غربيه ، وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وقد قال المرار بن حكيم الربعى فى أرجوزة له[1] :

والجوف خير لك من لُغاطِ ومن ألاتَ وإلى أراطِ
وسبط محـدَّم الأوسـاط ومن جواد الشطّ ذى اهتياط

وقال عقبة بن قدامة يمدح بنى مازن :

وهم حَصَدُوا بنى سعد بن قيس على القصبات بالبيض القصارِ
وردوهم غـداة لغاط عنهم بأكبادٍ وأفئـدة حرارِ

والقصبات موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى مزارع وقصور و بلد بها نخل فى غربى عتك اليمامة يقال لها اليوم القصب .

نرجع إلى ذكر لغاط ، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر :

وعلى لغاط بات يلغط سَيْله ويثجُّ فى لبب الكثيب و يَصْخَبُ

(١) انظر المعجم ٧ / ٣٣٢ .

ولقد صدق عمارة فى وصف سيل هذا الوادى ، فإنه يثج فى لبب كثيب أحمر ، وقد رأيته يثج فيه ، فإذا انعرج جبلُ اليمامة مما يلى موضعاً يقال له « خشم العرنية » ضَعُف كأنه عزم على الهلاك ، فينقطع فى موضع يقال له «جزرة » لأن هذا الجبل العظيم جزر فيه كما يجزر البحر ، وتحاذيه مما يلى الغربَ أكثبةٌ حمراء متراكمة ، غربى تلك الأكثبة النباج وقراها ، وشرقيها بلد الزافى وقراها ، وهى التى كان يقال لها فى الجاهلية : زليفات ، وزلفة ، وقد غلط صاحب المعجم فى قوله[1] : إنها ماء شرقى سميراء ، وقد قال الحطيئة فى ذلك يخاطب رجلا :

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وأراط : وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب من جهة غربى اليمامة الشمالى ، ويصب فى جهتها الجنوبية الشرقية ، ويفيض فى العتك فى جَرَيانه جاعلا وادىَ سدير على شماله .

وقال عبيد بن أيوب اللص فى ذكر زلفة ، وهو من قطاع الطريق فى تلك الناحية :

لَعَمْرُكَ إنى يوم أقواع زلفة على ما أرى خلف القنا لوقور

أرى صارما فى كف أشمط ثائرٍ طوى سِرَّه فى الصدر فهو ضمير

وقال عبد الرحمن بن حزن في ذلك الموضع :

سقى جدثا بين الغميم وزلفة أحَمُّ الذُّرَى واهى العَزَالى مطيرُها

إذا سكنت عنها الجنوب تجاوبت جلاد مرابيع السحاب وخورها

وإنى لأصحاب القبور لغابط بسوداء إذ كانت صَدًى لا أزورها

كأنَّ فؤادى يوم جاء نَعِيّها مُلاءة قزٍ بَيْنَ أيدٍ تُطِيرها

وتلك الناحية هى مساكن مالك بن الرَّيْبِ الرجلِ المشهور الذى هلك فى خراسان ، وله قصائد مشهورة ، وقد ذكر أوطانَ قومه فى تلك الناحية ، وقد مضي كلامنا عليها ، ومما ذكره السمينة وهى من تلك القرى ، وكان يقال لها « سمنان » وجميعُ المواضع الذي ذكرها زياد بن حَمَل بن سعد بن عميرة بن حريث التميمى النسب وهو فى صنعاء يتشوق إلى أوطانه واقعةٌ فى القطعة الشمالية من اليمامة ، فمن ذلك قوله فى قصيدة رواها أبو تمام فى ديوان[2] الحماسة :

وحَبَّذَا حين تُمسِى الريحُ باردةً وادى أُشَىٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ

الواسعون إذا ما جرَّ غيرهم على العشيرة والكافُونَ ما جَرَمُوا

---

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٩٨ .

(٢) انظر شرح التبريزى بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين (٣ / ٣٢٤) .

وادي أشى : موجود بهذا الاسم فى وادي المشقر مما يلى بلد المجمعة المشهورة بهذا الاسم ، وقال فى هذه القصيدة :

مَتَى أمرُّ على الشَّقْراء معتسفا   خَلَّ النَّقا بمَرُوحٍ لحمها زِيَمُ
والوَشْمُ قد خرجت منه وقابلَها   من الثنايا التى لم أقلها ثَرَمُ
ياليت شعرىَ عن جَنْبَيْ مكشَّحَة   وحيث تُبْنَى من الحناءة الأُطُمُ
عن الأشاءة هَلْ زالت مَخَارِمُهَا   وهل تغير من آرامها إرَمُ
وجنةٍ ما يذمُّ الدهرَ حاضِرهَا   جَبَّارُهَا بالندى والحمل مُحْتَزِمُ

ذكر هذه المواضع ، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد : الشقراء التى ذكرها هى جبل أشقر بين شقرى وذات غسل ، فسميت « شقرى » عاصمة بلاد الوَشْم اليوم بهذا الاسم ، بعد أن حذف حرف التعريف ، والوشم : بلدان معروفة متفرقة يقال لها الوشم إلى هـذا العهد ، وقرى الوشم : شقرى ، وهى عاصمة تلك النواحى ، ويليها فى الجهة الشمالية من البلاد : أشيقر ، والفرعة ، ويليها من ناحيتها الشمالية الشرقية الداهنة : الجريفة ، والحريق ، والقصب فى جهاتها الشرقية والمشاش فى تلك الناحية منها ، ويليها فى الجهة الجنوبية منها : القراين ، وهما قريتان : الوقف ، وذات غســل ، وهى بلد مصنف هذا الـكتاب ، ومما يلى القراين فى الجهة الجنوبية : أثيثية ، وهى بلد جرير الشاعر وذريته ، ويليها فى الجهة الجنوبية منها : مراة ، مساكن بنى امرىء القيس التميمى ، وثرمداء لبنى سعد وبنى منقر فى الجاهلية ، وقد ذكروا أن قيس بن عاصم المنقرى كان يرتاد ثرمداء من باديته ، وهى التى يقول فيها علقمة الفحل :

ما أنت أم ما ذكرها رَبَعِيَّة   يخطّ لها من ثرمداء قليب

وأشيقر وذات غسل وأثيثية ومراة وثرمداء والقصب ، جميعُ هذه المواضع أسماؤها جاهلية وهى باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، والوشم يبعد بعضُه عن بعض مسافة يوم ، والثنايا التى ذكرها الشاعر ثنايا الأديراب ، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وخَلُّ النقا : معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم ، فى شرقى شقرى الشمالى ، ينفذ من الـكثيب الأحمر الواقع شرقىَّ شقرى ، والأشاءة هى أشَىّ الذى تقدم ذكره ، وقال فى قصيدته :

* جَبَّارها بالندى والحمل محتزم *

تلك الناحية التى ذكرها لاأعلم أعظم من جبارها إلى هذا العهد ، تسمى النخلة العظيمة جبارة ، وقال فى قصيدته :

بل ليت شعرى متى أغدو تُعَارضنى جَرْدَاء سابحةٌ أو سابح قُدُم
نحو الأمَيْلح أو سمنان مبتكرا بفتية فيهم المَرَّارُ والحكم
لَيْسَتْ عليهم إذا يغدون أرديه إلا جياد قسىّ النبع واللُّجُمْ

الأميلح : موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد فى سفح جبل اليمامة يقال له « مليح » نزله فى هذا العهد الأخير قسم من مطير رئيسهم ابن سقيّان من بنى عبد الله بن غَطَفان ، وسمنان : قد مضى الكلام عليه فى شواهد مالك بن الريب ، يقال له : سمنان ، والسمينة .

وجبل اليمامة ينقسم ثلاثة أقسام بالاسم : جبل طويق ، وهو يطلق على القطعة الشمالية منه عند أهلها ، وهى تعم جميع اليمامة ، ووسطه يقال له : العارض ، وهذا الاسم يعمه كله ، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبى منه العويرض ، ثلاثة الأسماء هذه تطلق على جبل اليمامة من طرفه الجنوبى إلى طرفه الشمالى ، وهو جبل ملتحم منعقد بعضه ببعض ، طرفه الشمالى يبعد عن طرفه الجنوبى مسافة شهر أو أكثر ، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق : منها وادي العتك الذى فى أعلاه القصب ، وفى هذا الجبل يقع المشقر ، ومنها وادى الكلب وفيه قرى عامرة ونخيل منها بلد الجمعة ، وهي عاصمة قرى سدير ، و يليها بلد حرمة ، و بلد ظلمى و بلد الحائر والحويثر ووشى الذى مر ذكره ، ومنها وادي جلاجل ، ذكروا أنه يسمى وادى المياه ، و يليه بلد التويم ، وفى أعلى تلك الناحية المعشبة ، ومنها وادى سدير ، وهو وادٍ عظيم فيه قرى ونخيل ، أعلاه بلد الروضة ، و بلد الحصون ، و بلد الجنوبية ، و بلد الحوطة ، و بلد العطار ، و بلد العودة ، وهى أسفل ذلك الوادى ، وفى شرقى ذلك الوادى قرى : منها الخطامْ ، وعشيرة ، وتمير فإذا قطعت وادى العتك قاصداً الجنوب أتيتَ إلى وادى بعيثران ، وفى هذا الوادى مدينة ثادق بلد كثيرة النخل والمزارع ، ثم تسير إلى جهة الجنوب ، وتأتي بلد البير والصفرّات جاعلا بلد رغبة على يمينك ، ثم تأتى واديا عظيما يقال له « أبو قتادة » وفى هذا الوادى بلد حريملا ، و بلد القرينة ، و بلد ملهم ، ونخل تلك الناحية من أكرم النخيل وأحسنها ، وفى جهته الجنوبية سدوس ، وفى أسفل ذلك الوادى بلد دقلة ، وغيانة ، ثم تنفذ من تلك الناحية ، وتأتى وادى حنيفة وقد مضى الكلام عليه ، ثم يأتيك وادى الحائر ، ووادى الأوسط ، ووادى نساح ، وهو وادى الخرج ، وسيأتيك الكلام على الخرج فى معلقة عنترة .

فإذا توجهت قاصداً الجهة الجنوبية لقيك وادى ماوان ، وقد مضي الكلام عليه ، ثم يلقاك الواديان العظيمان : برك ، و بريك ، وفى أسفلهما بلد الحوطة ، و بلد الحلوة ، و بلد القويع ، و بلد

العطيان ، وفيهما قرى ومزارع كثيرة ونخيل عظيمة ، وجميع هذه البقعة خالصة لبنى تميم ، وفى أعلى وادى بريك بلد نعام ، و بلد المفيجر ، و بلد الحريق ، وهى لبنى هزان ، ومعهم جماعات من العرب ، و بها نخيل كثيرة ومزارع ، و إذا اتجهت نحو الجنوب لقيك قرى الأفلاج ، وأعلاها فى الجهة الشمالية منها بلد الحر ، وفى شرقيها الشمالى وسيلة ، وتليهما بلد ليلى ، وهى عاصمة تلك الناحية ، ثم بلد السيح وهى بلدة كثيرة النخيل ، و بها عيون جارية تنبع من الأرض ، و يليها بلد العمار ، ثم بلد الخرفة ، ثم بلد الروضة ، ثم بلد سويدان ، ثم بلد البديع ، ثم بلد مروان ، ثم بلد الرزيقية ، وفى أسفل وادى الحر واسط ، والغيل مما يلى واسط جنو با ، وحراضة ، وانسقارة ثم يتجه هذا الجبل جنو با ، ثم يلقاك وادى الهدّار ، ثم يضعف هذا الجبل بين قرى الأفلاج و بين قرى الوادى ، ثم تلقاك أودية كدة ، وبها نخيل وغلاّت كثيرة من نتاج الأثل الذى يسمى الكرمع ، ثم يتجه هذا الجبل إلى جهة الوادى المسمى بوادى الدواسر ، فإذا حاذى الوادى ذلك الجبل العظيم خفى من كثرة الرمال ، و يسميه أهلُ تلك الناحية « المندفن » ثم يتجه إلى جهة مطلع الشمس ، وهو على خفائه ، و بعد الوادى بمسيرة يوم ونصف يوم يظهر رأسه ، ثم يعظم وهو متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الوادى حتى يتصل بجبال نجران ، وجميعُ قرى الوادى للدواسر وهم بطن من العرب أصلهم من اليمن ، ثم تحالفوا وكانوا أخلاطا وأقساما ، و يعرفون بالدواسر . فأما القرى التى تُطل على ذلك الجبل وهى فى غربيه فجميع قرى الزلفى ، وأسافل قرى القصيم ، وقرى الوشم ، وقرى البرة ، وقرى ضَرَمَى ، جميع تلك النواحى ترى ذلك الجبل بأعينها وليس من شرط هذا الكتاب الإطالة ، ولكن لما عرض ذكر اليمامة فى قصيدة عمرو بن كلثوم أوردناها .

* * *

٤ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ ... بِتَاجِ الْمُلْكِ يَحْمِي الْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ ... مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِى طُلُوحٍ ... إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُوعِدِينَا

ذو طلوح : موضع موجود بهذا الاسم إلى هذا اليوم يقال له « الطليحى » يعرفه جميعُ أهل نجد بهذا الاسم ، وهو من منازل الحاج بين العراق ومكة ، يقع شمالى بلدة « قُبَـة » التى سكنها بنو على بطن من بنى حربٍ فى الأيام الأخيرة ، ورئيسهم محسن الفرم ، وهى على مسافة يوم ذو طلوح

أو أقل ، بينه و بين زرود الأكثبة الحُمر التى كان يقال لها فى الزمن القديم « رمال عالج » وفى هذا العهد يقال لها « العروق » وذو طلوح واقع فى ضفتها الشرقية ، وزرود فى ضفتها الغربية ، و بينهما الكثيب ، وقد وفد الأعشى [١] الشاعر على عمرو بن هند اللخمى ، فوافاه بذى طلوح فى تجْواله فى القنص ، فقال قصيدة منها هذا البيت :

كم رأينا مِنْ أُناسٍ هَلَكوا   ورأينا المَلْكَ عمراً بطلح

وقال أبو دُوَاد الإيادى :

تعرف الدار وَرَسْمًا قد مَصَحْ   ومَغَانى الحَىِّ في نعف طلْح؟

وقال جرير بن عطية :

مَتَى كان الخيامُ بذى طلُوحٍ   سُقيتِ الغَيْثَ أيتُها الخِيَامُ

وله شواهد كثيرة قديمة وحديثة ، ولكن بقاءه بهذا الاسم إلى هذا العهد يكفيه شاهداً ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « الطليحى » .

الشامات — الشامات : كثيبان أحْمَرانِ فيهما بياض ، وهما أعظم تلك الأكثبة ، لاتبعدان عن ذى طلوح المتقدم ذكره ، ولكنهما إلى زرود أقرب ؛ فتسمى « شامات زرود » ولاتزال معروفةً بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهى التى عناها عمرو بن كلثوم بقوله :

* إلى الشامات تنفى الموعدينا *

* * *

٥ — وقال عمرو بن كلثوم :

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا   وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِى خَزَازٍ   رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
وَنَحْنُ الْحَابِسُونَ بِذِى أُرَاطٍ   تَسَفُّ الْجِلَّةُ الْخُورُ الدَّرِينَا

خزاز — خزاز : جبل معروف فى عالية نجد الشمالية ، و به يوم من أيام العرب ، وأشار عمرو بن كلثوم إلى هذا اليوم ، لأنه لقبيلته ، وهو أول يوم امتنعت فيه العدنانية من اليمانية وضغطهم ، وهو الجبل الذي ذكره الحارث بن حلزة فى معلقته [٢] حين قال :

فتنوّرت نارَهَا من بعيد   بخزازٍ هيهات منك الصلاء

وقد أصاب شاعر من العرب حين قال :

---

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ٥٤ و ٥٦ .   (٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٤٢٨ — ٤٣١ .

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منعج   فضاق بهم ذَرْعًا خَزَازُ وعاقلُ

أما بطن منعج فهو موضع « دخنة » اليوم التى سكنها بطونٌ من حرب فى أوائل القرن الرابع عشر، وخزاز واقع فى غربيه على مسافة ساعة للماشى على قدميه، وهو من أجبلة المخامر، وعاقل قد مضى الكلام عليه وذكرنا أنه قريب الرس، وأنه يقال له اليوم « العاقلى » وقد أكثر الشعراء من ذكر خَزَاز، وقال النميرى وهو رجل من بنى ظالم يقال له الدهقان :

أنشد الدار بعطفى مَنْعج   وخَزَازِ نِشْدَةَ الباغى المضل
قد مضى حَوْلاَن مذ عهدى بها   واستهلَّتْ نصف حولٍ مقتبل
فَهْىَ خَرْساء إذا كلمتُهَا   ويشوقُ العينَ عرفانُ الطلل

وقال القتال الكلابى :

وسفح كدود الهاجرىِّ بجَعْجَعٍ   تحفّر فى أعقارهن المجارسُ
موائل ما دامت خَزَازِ مكانَهَا   بجبَّانة كانت إليها المجالسُ
تَمَشَّى بها رُبْدُ النعام كأنها   رجال القرى تمشى عليها الطيالس

وقال السفاح التغلبى :

ولَيْلٍ بتُّ أوقدُ فى خَزازٍ   هَدَيْتُ كتائباً متحيراتِ
ضللن من السُّهاد وكُنَّ لولا   سُهادُ القوم أحسب هادياتِ

ويوم خزاز الذي أوقدت النار فيه بين نِزار واليمن، وعلى ربيعة السفاحُ التغلبى، واسمه سلمة بن خالد، وكليبٌ يجمع الجموع من ربيعة، فقال لسلمة : أوقد لى ناراً واحدة فى أعلى خزاز فإن قرب منك العدو فأوقد نارين، فلما قرب العدو أوقد السفاحُ نارين، فاجتمعوا واقتتلوا قتالا شديداً، وانهزمت اليمن، وفى رواية ثانية عن أبى زياد الكلابى أن رئيس جيوش نزار الأحوص ابن جعفر بن كلاب، وأن موقد النارفى خزاز من ربيعة، ولهذا كان شعراؤها يذكرون تلك النار وإيقادها، وخزاز : باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

ذو أراط

وذو أراط : موضع معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم [1] إلى هذا العهد، وهو وادٍ يصب من جبل طويق متجها إلى جهة مطلع الشمس، جاعلا وادى سدير على شماله، وقد مضى

(١) أراط : هو الذي ذكرنا، وهناك واديان عظيمان بعضهما قريب من بعض، الأول : بين وضاخ ونى، والثانى : يقع شرقى جبال حليت المعروفة غربى بلد نى، يقال لهما « الأرطاوى » .

الـكلام عليه فى هذه المعلقة على ذكر اليمامة ، قال راجز من بنى نمير [١] :

أنى لك اليوم بذى أُراط   وهنَّ أمثالُ السرى الأمراط
تنجو ولو من خلل الأمشاط   يَلْحُنَ من ذى لائب شرواط

وقال ظالم بن البراء الفقيمى :

ونحن غَدَاة يوم ذواتِ بَهْدى   لدى الوَتِداتِ إذ غَشِيَتْ تميمُ
ضربنا الخيلَ بالأبطال حتى   تولت وهى شاملُها الـكلومُ
فأشْبَعْنَا ضبـاعَ ذوى أُراط   من القَتْلى وألجئت الغُنوم
قَتَلْنَا يوم ذالـكم ببشر   فـكان كفاء مَقْتَلـكم حـكيم

وهذا الوادى موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ترعاه نعم جميع قري سدير ، وتَعْضِد الـكلأ منه ، وهو كالحى تقيم به آبالهم وأغنامهم ، وليس فى هذا الوادى قرى معمورة ، بل جميع القرى المعمورة محاذية لضفته الشمالية الشرقية ، وتبعد عنه تلك القرى مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات للماشى على قدميه .

وأراط ، ومبايض ، وذو طلوح ، والنباج ، وزرود ، كل موضع من تلك المواضع به يوم من أيام العرب ، وهى باقية بهذه الأسماء من الجاهلية إلى هذا العهد ، ولا يبعد بعضها عن بعض إلا مسافة ثلاثة أيام للراكب المجد ، وأكثر الأيام وقعت بين بني تميم وبكر بن وائل ، وتلك المواضع واقعة فى القطعة الشرقية الشمالية من نجد .

قد انتهينا من المواضع التى ورد ذكرها فى معلقة عمرو بن كلثوم ، وسنبتدىء فى معلقة عنترة ابن شداد العبسى ، ونوضح ما ورد فيها من المواضع .

(١) انظر معجم البلدان ١ / ١٦٨ وفيه أن الذى فى رجز النميرى « أراط » بزنة غراب ، وأن الذى فى شعر الفقيمى « أراطى » بزنة حبارى .

٦
عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ العَبْسِيُّ

عنترة بن شداد العبسى

هو عنترة بن شداد ، وفى رواية ابن عمرو بن شداد ، ويُعد من أغربة العرب ، سُمُّوا أغربة لسوادهم ، كأنهم الغربان ، منهم ثلاثة منسوبون بأمهاتهم عنترة[1] ، وأمه زَبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدى ، وأمه ندبة ، والسُّلَيك بن عمير السعدى ، وأمه السُّلَكة ، وإليهن ينسبون ، هلك عنترة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وعشرين سنة تقريباً .

وهذا مطلع معلقته :

١ — هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ⁂ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

إلى أن قال :

يَادَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِي ⁂ وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

إلى أن قال :

وَتَحُلُّ عَبْلَةُ بِالْجِوَاءِ وأَهْلُنَا ⁂ بِالْحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْمُتَثَلَّمِ

الجواء الجِواء : قد مضى الكلام عليه فى معلقة امرىء القيس .

الحزن الحَزْن : قال الأصمعى فى كتاب جزيرة[2] العرب : الحزون فى جزيرة العرب ثلاثة : حزن بنى يربوع ، وحزن غاضرة من بنى أسد ، وحزن كلب من قُضَاعة ، والذى عناه عنترة : هو حزن بنى يربوع ، وهو اليوم معروف عند عامة أهل نجد ، ولكنهم أبدلوا نونه لاما فقالوا له «الحزل» وجمعه حزول ، وهو واقع فى شرقى الأكثبة المتاخمة لجبلى طى فى جهتها الشرقية ، وهو الذى عناه جرير بقوله فى مديحه لعبد الملك بن مروان :

ساروا إليك من السهى ودونهمُ ⁂ فَيْحَانُ فالحزن فالصمان فالوكف

إلى أن قال :

أعطوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثمانية ⁂ وليس فى فضلهم منّ ولا سرف

وهذا الحزن هو الذى عناه القتّال الكلابى بقوله :

وما رَوْضَة بالحزن قَفْرٌ مجُودة ⁂ يمج الندى ريحانُهَا وصَبيبُهَا

بأطْيَبَ بعد النوم من أم طارق ⁂ ولا طعم عنقود عقار زبيبها

---

(١) لكن إضافة عنترة إلى أمه أقل من إضافة صاحبيه إلى أمهما . وانظر الشعراء (١٣١ أوربه)

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٢٦٩ .

وتلك القطعة الشمالية من نجد تُعَدّ من أخصب البلاد إذا أمطرت ، وكانت العرب تقول : من تربّع الحزن وتَشَتّى الصمان وتقيظ الشرف ، فقد أخصب ، وفى رواية ثانية عن الأصمعى أنه قال : من تشتّى الدهناء وتربّع الصمان واصطاف الحمى ، فقد استكمل المرباع . وقال محمد ابن زياد الأعرابى : سُئلت بنت الخس : أىّ البلاد أحسن مرعى ؟ فقالت : خياشيم الحزن وجواء الصمان ، وبالصمان موضع يقال له الجويات جويّات الهمل ، وهى التى عَنَتْها ، ثم سئلت وقيل لها : ثم ماذا ؟ فقالت : أجَلَى ، وأجلى : هضبة فى عالية نجد جاثمة على ضفة وادى الجرير الجنوبية ، يتركها سالكُ الطريق من مكة إلى الرياض على شماله ، وهى بين عفيف والدفينة ، معروفة بهـذا الاسم إلى هذا العهد ، والحزن معروف بطيب النبات ، ومشهور عند شعراء العرب بطيب الرائحة فى أيام الربيع ، وهو الذى يقول فيه كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا
بأطْيَبَ من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطْبِ نارُهَا

وقال ابن الأعرابى : سرق رجلٌ من العرب بعيراً ، فوُجد السارق فى أرض الحزن ، ووجد البعير عنده ، فقيل له : إنك سارق هذا البعير ، وكان أهل البعير شمالىّ الحزن ، فجحد سرقة البعير ، وكانت أرض الحزن مخصبة ، فقال الأعرابى : إنى لم أسرقه ، ولكن هاجت ريح الجنوب وشمّ بعيركم رائحَةَ نبات الحزن ، فنزع إليها وأتانى ، وحفظته لكم ، وقال الأعرابى فى ذلك :

ومالى ذنب إنْ جَنُوبٌ تنفّست ... بنفحة حزنىٍّ من النبت أخضرا

فأخذوا بعيرهم وتركوه ، وهو مشهور اليوم عند عامة أهل نجد بالحزل كما قلنا ، وبه مياه عادية يقال لواحدها : الحزل ، وجمعها الحزول ، تبعد عن بلد حائل ثلاثة أيام تقريباً ، وهى مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد تقع شرقى الأكثبة الشرقية عن الجبلين أجأ وسلمى .

الصمان : قطعة من الأرض معروفة عند عامة أهل نجد ، جهتُها الجنوبية يشقها الطريقُ السالك بين اليمامة والأحساء ، وشماليُّهَا يشقه الطريقُ السالكُ بين القَصيم والبصرة ، وهذه القطعة الواقعة بين الطريقين هى التى تطلق عليها عند عامة أهل نجد « الصمان » وكانت مفاوز ومَوَامى فى أيام القيظ لا يجوزها حينذاك إلا الإبل التى تحمل الماء ، وفى هذا العهد الزاهر عهدِ جلالة الملك عبد العزيز استنبطت المياه الكثيرة العذبة فى جهتين منها ، بالآلات الحديثة : الأول : ماء فى طريق الأحساء فى روضة « الحنى » وهى فى المنتصف بين الأحساء ومنهل أبى جفان فى جبل العرمة فى شرقيه من جهة الدهناء ، والماء الثانى : فى روضة « الشملول » على طريق الكويت الصمان

مما يلي روضة معقلا ، قال في معجم البلدان على ذكر معقلة[١] : سميت معقلا لأنها تعقل الماء في بطنها كما يعقل الدواء البطن ، وقال في معجم البلدان عن الأزهري : قد رأيتها ، وفيها خبارى كثيرة تُمْسك الماء دهراً طويلا ، وبها جبال رمال متفرقة يقال لها : الشماليل ، واحدها شملول ، وهذا الاسم الذي به موضع الماء اليوم يقال له الشملول ، وهو اسم جاهلي لم يتغير . ومياه الصمان التي في جهته الجنوبية قريبة المنزع كالعوينة وجودة والنجبية ، وهذه المياه على طريق الأحساء الشمالي ، والعوينة على طريق الجبيل ، وأما مياهه الشمالية فهي نحائت عادية بعيدة المنزع من سبع وثلاثين باعا إلى ثلاثين باعا ، وهي : ماءة القرعي ، واللصافة ، واللهابة ، وتلك المياه لها ذكر في أشعار الجاهلية وهي مياه بني تميم . يقع في شرقيها مياه قريبة المنزع : وبرة ، وهي التي ذكرها النابغة ، وسماها « ثبرة » والوفرى ، وقرية ، أما قرية : فسكنت وعُمرت ، عمرها جماعة من مطير رئيسهم الدويش بن شقير ، واللصافة التي مر ذكرها ووبرة هي التي يقول فيها النابغة وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر ذكرها في قسمه :

و بالمُرْقِلاتِ من لَصَافٍ وثبرة يَزُرن إلالاً سيرُهن تدافع

والمنهل الشمالي منها هو الحَفْر حفر أبي موسى الأشعري .

المتثلم — أما المتثلم فإني لا أعلم موضعا بهذا الاسم ، إلا جبلا قد مر ذكره في الكلام على معاقة زهير ، وهو جبل مُتَثَلِّمٌ رأسُه ، يقال له اليوم « جبل أبي ثلوم » ولا يستغرب ذكر الأماكن البعيد بعضها من بعض لأن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال في الجاهلية[٢] :

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصَّمَّان

فالقُرَيَّات من بلاس فداريَّا فسَكَّاء فالقصور الدَّواني

ذكر في هذه الأبيات « معان ، واليرموك ، والصمان ، والقريات ، والسكاء التي يقال لها السكاكا من قرى الجوف ، وبين بعض المواضع وبعضها مسافة شهرين تقريبا ، فلا يبعد أن عنترة ذكر الحزن والصمان والمتثلم[٣] ، وهي يطوف عليها الراكب في أقل من عشرين يوما .

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٩٨ . (٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٨٣ . (٣) ظهر لي بعد التأمل أنه إن لم يكن المتثلم الجبل المذكور فإنه يكون مقرماء ، وهو في الصمان ، يتثلم إذا كثر فيه الماء ، فسمى المتثلم كما سميت الحرما بالحرما لحرم الماء لها إذا كثر .

٢ — وقال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ   مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا   بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلَمِ

عنيزتين : قد مضى الكلام عليها في مواضع كثيرة ، على معلقة امرىءالقيس ، وهما موضع عنيزة اليوم . عنيزتان

أما الغيلم [1] فلا أعلم موضعا بهذا الاسم يقال له الغيلم آخره ميم ، بل أعرف موضعا يقال له « الغيل » آخره لام ، وهو موضع فى اليمامة فى طرفها الجنوبى ، وهو واد عظيم يلحق بقرى الأفلاج ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال ذؤيب بن بيشة [2] : الغيلم

لعمرى لقد أبكت قريم وأوجعوا   بجزعة بطن الغيل من كان باكيا

وقال آخر :

يبرى لها من تحت أرواق الليل   عملس ألزق من حمى الغيل

وقال البحترى الجعدى :

ألا ياليلَ قد برح النهـار   وهاج الليل حزنا والنهـار

كأنك لم تجـاور آل ليـلى   ولم يوقـد لهـا بالغيل نار

والغيل : لبنى جعدة لأنها تسكن تلك الناحية ، قال عثمان بن صعصامة الجعدى وقد مر به حمزة بن عبد الله بن قرة يريد الغيل :

وقد قلت للقرىَ إن كنتَ رائحا   إلى الغيل فاعرض بالسلام على نُعْم

على نُعْمنا لا نُعْمِ قوم سِوَائِنا   هى الهمُّ والأحلام لو يَقَعُ الحـلم

فإن غضِبَ القرىُّ فى أن بعثْتُه   إليها فلا يبرح على أنفه الرَّغْمُ

والغيلم بهـذا اللفظ لم يذكر أنه موضع محدَّد فى كتب اللغة ، ولا فى كتب المعاجم [1] . فأقرب ما يكون لهذه اللفظة التى ذكرها عنترة أنه قصد بها الغيل .

* * *

٣ — وقال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أَوَتْ   حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ

(١) رواه أبو عبيد البكرى « العيلم » بعين مهملة وذكر أنه فى ديار عبس (٢ / ٩٧٧) . وذكره ياقوت (٦ / ٣٢٠) ولم يبين له موقعا

(٢) انظر ياقوت ٦ / ٣١٩ .

يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ
صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ

ذو العشيرة المواضع التى تسمى بذى العشيرة كثيرة : منها موضع فى أسفل وادى سدير فى جهته الشرقية، ومنها روضة العشر ، بين البتراء والصفرى صفرى وشم اليمامة ، ومنها عشيرة فى وادى العقيق يمر بها الخارج من مكة إلى نجد ، وذكروا أن فى الصمان موضعا معروفا يقال له « ذو العشيرة » نسب إلى عُشَرة نابتة فيه . وذكر صاحب المعجم[1] أن فى وادى الرمة موضعا يقال له « ذو العشيرة » يصب من قطن ، وهو فى بلاد بنى عبد الله بن غطَفان وقال شاعرهم[1] :

غَشِيتُ لليلى بالبرود منازلا تقادَمْنَ واستَنَّتْ بهن الأعاصر
كأنْ لَمْ يُدَمِّنْهَا أنيسٌ ولم يكن لها بعد أيام الهِدَمْلَةِ عامر
ولم يعتلج فى حاضر متجاور قفا الغَضْن من ذات العُشَيرة سامر

قال فى معجم البلدان[1] عن أبى عبد الله السكونى : ذات العشيرة من منازل حاج البصرة بين مسقط الرمل و بين الشيحة ، والشيحة : من قُرى الجِواء يقال لها اليومَ « الشيحية » ولا أعرف فى تلك الناحية التى ذكرها صاحب المعجم موضعا يقال له « ذو العشيرة » وفى عقيق المدينة موضع يقال له « ذو العشيرة » وهى التى عناها عروة بن أذينة فى قوله :

ياذا العُشَيرة قد هِجْتَ الغداةَ لنا شوقا وذكَّرتنا أيامك الأولاَ
ما كانَ أحْسَنَ فيك العيشَ مؤتنقا غَضًّا وأطيَبَ فى آصالك الأصُلاَ

والذى ذكره عنترة هو للوضع الذى فى الصَّمَّان ، لأن عنترة يقول :

صَعْلٍ يعود بذى العُشَيْرة بيضَه كالعَبْدِ ذى الفَرْوِ الطويل الأصلم

والنعام لايبيض إلا فى أرض فلاة خالية من الأنيس ، قال فى معجم البلدان : إن ذا العشيرة موضع فى الصمان تنبت فيه عُشَرة ، وهو نوع من النبات ، فسمى بها ذلك الموضع، وأنا لا أعرفه فى هذا العهد ، والمواضع المعروفة بهذا الاسم كثيرة فى نجد والحجاز وتهامة ، ولكن ذا العشيرة الذي فى الصمان قد أكثر الشعراء من ذكره ، قال أبو المكارم الز بيرى :

تَبَصَّر خليلى هل ترى من ظعائن بروض القطا يشغفن كلَّ حزين ؟
جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كلَّه وذات الشمال الخرجَ خَرج هجين

---

(١) انظر معجم البلدان ٦ / ١٨١ .

انظر إلى الشاعر فإنه قرن ذا العشيرة بروض القطا ، وروض القطا ليس بينه و بين الصمان إلا أ كثبة الدهناء ، وعنترة لم يعن إلا الموضع الذى فى الصمان .

ثم إنى أطلْتُ بعد ذلك البحثَ والتحقيقَ والسؤالَ والتدقيقَ فاهتديت إلى ذى العشيرة ، وهو جو عظيم فى الصمان كثير الأشجار والنبات ، يقال له اليوم « جو عشرى » معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم ، و يقع فى غربى اللصافة ، يبعد عنها مسافة يوم .

* * *

٤ — وقال عنترة :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ   زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

الدحرضان : ماءان لبنى تميم : أحدهما : يقال له اليوم حرض ، وهو واقع فى طريق الأحساء للسائر من الخرج ، و يقال له حرض إلى هـذا العهد ، والثانى « وسيع » وهو ماء واقع فى شرقى العرمة مما يلى مطلع الشمس على طريق الأحساء ، وكان بنو تميم فى الجاهلية يسكنون تلك الناحية وفى لغتهم كشكشة بإبدال السين شينا فتسمى ذلك المنهل[1] وشيعا ، فسكنت آل مرة و بطون من يام تلك النواحى فلم تَرِثْ من بنى تميم إلا الـكشكشة بإبدال السين شينا ، فهى تستعملها إلى هذا العهد ، إذا سألتهم فى هذا العهد عن هذا المنهل المذكور قالوا : وشيع ، وهى لغة بنى تميم ، وكان الزبرقان بن بدر التميمى ينزله وينزل « بنبان » المنهلَ المعروفَ بهذا الاسم إلى هذا العهد والذي يبعد عن الرياض مسافة يوم ، قال الحطيئة فى هجائه للزبرقان[2] : الدحرضان

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه   بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بُنْبَانَ يمنع ماءه   وماء وشيع ماء عَطْشَان مرمل

وفى نوادر أبى زياد أن وشيعا ماء لبنى الزبرقان قرب اليمامة ، وهو معروف عنـد عامة أهل نجد إلى هذا العهد يسمى وسيعا ، وهو منهل ترده الأعراب وهو دحرض الثانى ، وقد غَلَّبَ القوم اسم حرض على وشيع فقالوا لهما « الدحرضين » وزادوا دالا فى أولهما ، و باب التغليب بابٌ واسع جداً ، كقولهم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما « العمران » وقولهم للشمس والقمر « القمران » ومن هذا الـكلام يتبين أن « دحرض » هو حرض المنهلُ المعروفُ فى طريق الأحساء تغير عن الاسم الجاهلى تغيرا بسيطا ، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد ، ولهما ذكر فى أشعار الجاهلية ، منها قول عنترة ، وقد قرنهما بالديلم ، والديلم : قريب من الموضعين ، وسيأتى الـكلام عليه ، وقال الأفوه الأودى وهو شاعر جاهلى مشهور :

---

(١) المعروف أن الـكشكشة هى إبدال كاف المخاطبة المؤنثة شينا .   (٢) للمعجم ٨ / ٤٢٤ .

لنا بالدحرضين محل مجد وأحساب مؤثلة طماح

الديلم أما الديلم : فهو بلد عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهى عاصمة الخرج ، ولكن سقط من هذا الاسم حرف الياء ، فصار اسمه « الدلم » وهو بلد عظيم ، كثير المياه ، كثير العيون الجارية ، كثير النخيل والمزارع ، تتجه إليه أكثر السيول وتمر به ، ثم تتجه إلى موضع السهى وادى الخرج ، وهو وادى نساح الذى يسقيه ، وأما الأودية التى تصب فيه ، فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على قول لبيد :

* جن البدىّ رواسيا أقدامها *

وأتممنا القول عليه عند الكلام على معلقة عمرو بن كلثوم فى ذكر اليمامة. وقرى الخرج كثيرة منها السيح ، ونعجان ، والسلمية ، واليمامة ، وزميقة ، والعذار ، وفيه مواضع بعثت فى عهدنا هذا وهى : الهياثم ، وهو بلد لآل عاصم بطن من قحطان يرأسهم ابن حشر ، والضبيعة ، وهذا الاسم جاهلى بقى إلى هذا العهد ، قال فى معجم[1] البلدان : هى قرية باليمامة لبنى قيس بن ثعلبة ، سميت بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم « عجمان الرخم » يرأسهم ابن هديهد . وقال فى معجم البلدان على ذكر الخرج[2] : هو واد فيه قرًى من أرض اليمامة لبنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل ، وهو خير وادٍ باليمامة ، أرضه أرض زرع ونخل ونبات كثير ، إذا كثرت الأمطار فى تلك الناحية أخصبت جوانبها ، قال ذو الرمة فى شطر بيت :

* بنفحةٍ من خُزَامَى الخرجِ هَيَّجها *

وقال جرير :

آلَوْا عَلَيهـا يميناً لا تـكلمنا من غير سُوء ولا من رِيبة حَلَفُوا

ياحبذا الخَرْجُ بين الدام والأدمَى فالرمث من برقة الروحان فالغرف

وفى الخرج موضع يقال له « الغرافة »[3] إلى هذا العهد لا يبعد أن يكون هو المراد بالغرف فى بيتى جرير المذكورين ، وهما من قصيدة استشهدنا ببيت منها على ذكر الحزن وهو قوله :

ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

السهبى التى ذكرها جرير فى بيته تجتمع فيها سيول تلك الناحية ، وذكروا أن امرأة من أهل

(١) انظره ٥ / ٤٢٥ (٢) انظره ٣ / ٤١٧

(٣) وهو موضع غير الموضع الحديث الذى يملكه الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير .

تلك النواحى رأت السيول فى وادى حنيفة تدنو من بيتها ، فكأنها خشيت أن تهدم بيتها ، فقالت تخاطب السيل : دَعْ بيتى ، فإن كان بك شدة فإن السهبى تقابلها وتحتملها ، والسهبى تبعد عن « الدلم » أقل من مسافة يوم ، وتلك الأودية التى تصب فيها ذكر أهلُ المعاجم والأخبار أنها كانت عامرة فى الأزمنة القديمة ، ذكروا عن وادى حنيفة أن الرجل كان لا يزال يحدث الرجل ويتناقل معه الأخبار من غير ارتحال من بلد العيرة إلى حَجْر اليمامة عاصمةِ تلك الناحية ، وذلك من كثرة السكان والقرى ، وأن وادى نساح الذى يصب فى الخرج عامر بالمزارع من أعلاه إلى بلد الخَرْج ، وأن وادى برك الذى يصب فيه عامر من أعلاه إلى بلد الخرج ، ووادى حنيفة إذا سار سيلُه يصبُّ من جهة مغرب الشمس إلى جهة مطلعها ، ووادى برك يصب سيلُه من مطلع القطب اليمانى قاصداً مطلع القطب الشمالى حتى يصُب فى الخرج ، فأما وادى نساح الذى يصب فى الخرج فإنه يأتى من جهة الغرب إلى جهة الشرق حتى يصب فى الخرج ، وهو وادٍ عظيم قد أكثر الشعراء من ذكره ، قال عرقل بن الخطيم[1] :

لعمرك لَلرُّمانُ إلى بثـاء　　لخزم الأشيمين إلى صبـاح

أحبُّ إلىَّ من كنفى نُحَـار　　وما رأت الحواطب من نساح

وحَجْر والمصانع حول حَجْر　　وما هضمت عليه من النفاح

وحجر والمصانع ومنفوحة كلهـا واقعة فى بلاد الرياض والخرج عمره الله فى هذا العهد على يدى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ؛ أوجد فيه الميـاه الغزيرة ، والزروع الكثيرة ، والمبانى الشاهقة الحصينة ، وهناك روضة واقعة بين الخرج والسّهبى يقال لها « روضة البجادية » مَدّ شطراً من مياه تلك الناحية إليها ، وجرت كالنهر التيار ، وطافت بها ، وزُرعت على تلك المياه وغرست فيها النخيلُ ، وهو آخذ الآن — بحول الله ومعونته — فى أن يصير إلى حالة أحسن من حالته الأولى بهمة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وفيه جهات يتنزهون فيها طيبة الهواء ، لأن أرضه خصبة ، ويأتيه جلالة الملك فى بعض الأوقات إذا أراد تغيير الهواء يسكن فى القصور التى عمرت على الطراز الحديث وأحاطت بها الجنان والحدائق .

قالت العرب عند تخطيط الكوفة : إن العرب أهل آبال وأغنام ، ولكن لا يصلح لها مسكن تسكنه إلا ما يصلح لإبلها ، وكذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند تخطيط الكوفة ، فالخرج هو أصلح أرض للإبل .

(١) انظر معجم ياقوت ٨/٢٨٤ .

والديلم الذى ذكره عنترة هو مدينة « الدلم » الواقعة فى وادى الخرج ، وفى بلاد العرب أربعة مواضع يقال لها الخرج : خرج اليمامة ، وهو الذى ذكره ، وخرج هجين موضع بالصمان ، وقد مر ذكره عند الكلام على ذى العشيرة على قول الزبيرى :

جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كله وذات الشمال الخرج خرج هجين

والفرق بين خرج اليمامة وخرج هجين أن خرج اليمامة مفتوحة خاؤه وخرج هجين مضمومة خاؤه ، والخرج الثالث موضع قريب المدينة مما يلى النقيع ، وهو مضموم الخاء كالذى قبله ، وهو مجاور لبلاد بنى سليم ، بينه و بين جبل برام مسافة يوم ، قال كثير :

أأطلال دارٍ من سُعَاد بيلبن وقفتُ بها وَحْشاً كأنْ لَمْ تدمن

إلى تَلَعَاتِ الخرْج غيَّر رسْمَهَا همائم هطال من الدلو مُدجن

وأنت ترى أن كثيرا قد قرن يلبن بالخرج ، وقد قرن يلبن ببرام فى كلمة أخرى ، و برام مشهور أنه بين النقيع و بلاد بنى سليم ، وهذا قول كثير الذى ذُكر فيه يلبن و برام(١) :

وأسألُ سلمى والشباب الذى مضى وفاة ابن ليلى إذ أتاك خبيرها

فلست بناسيه وإن حيل دونه وحال بأحواز الصحاصح مورهـا

و إن نظرت من دونه الأرض وانبرى انكب رياحٍ هبَّ فيها حفيرها

حياتىَ مادامت بشرقِّ يَلْبَن برام وأضحت لم تسر صخورها

وقال أبو قطيفة وقَرَنَ يلبن ببرام :

ليت شعرى ، وأينَ منيَ ليت أعَلَى العهدِ يلبن فبرام

فالخرج الثالث الذى ذكره كثير موضع حجازى ، وأما الخرج الرابع فهو بفتح الخاء والراء ، وهو جبل أسود شرقى منهل سجا ، منقاد إلى الجهة الشمالية حتى يقرب من عفيف ، ويتصـل بالجبال السمر الواقعة على ماءة عفيف ، تسميها عامة أهل نجد الْخَرَجْ ، والجبل الأسود الذى فى طرف الْخَرَجْ الجنوبى يقال له « خرجاء » وبهـــا بئر حديثة يقال لها « خرجاء » وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه المواضع ، قال الحكم الخضرى :(٢)

لو أن الشمّ من ورقاء زالت وجدتُ مودتى بك لا تزُولُ

فقل لحامة الخرجاء سَقْياً لظلك حيث أدركك المَقِيلُ

---

(١) انظر معجم البلدان ٨/٥١٣ وديوان كثير ٢/١٠٧ .

(٢) المعجم ٣/٤١٦

وقال ابن مقبل :

يذكرنى حُبّى حنيف كليهما حمام ترادى فى الركىّ المعورا
ومالىَ لا أبكى الديارَ وأهلَهَا وقد رادها رُوّاد عك وحميرا
وإن بنى الفتيان أصبح سربُهم بخرجاء عبس آمنا أنْ يُنفَّرا

وقد نسب ابن مقبل خرجاء لبنى عبس ، وهى ليست فى بلادهم ، ولكن يحتمل أن ابن مقبل حين قال هذه القصيدة رأى بنى عبس متربعة قريبَ هذا الجبل ، وأما بلاد عبس فهى واقعة في بلاد غَطَفان شمالى أبانين وغربى الجواء وشرقىَّ النقرة ، وقد قال شاعر من العرب :

* ليس لعبس جبل غَيْرُ قطن *

وقد أوردنا هذا الشطر على ذكر قطن ، ويحتمل أن يكون فى بلاد بني عبس موضع غير هذا يقال له « الخرجاء » وأنا لا أعرفه فى هذا العهد .

* * *

٥ — وقال عنترة :

أَبْقِى لَهَا طُولُ السِّفَارِ مُقَرْمَدًا سَنَدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمُتَخَيَّمِ
بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ (١)

الرداع : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد بين هَضَبَات الجثوم وهضبات المكيلى ، وهى هضبات صغار سود يقال لها « الرداع » بها ماءة قليلة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، معروفة فى بلاد بنى عبد الله بن غَطَفان ، وهذا الموضع الذى ذكرنا تحديده يبعد عن الدُّحْرُضَين والديلم ، وذلك مستفاد أيضاً من كلام عنترة لأنه يقول : الرداع

شربت بماء الدحرضين وأصبحت زَوْرَاء تنفر عن حياض الديلم

ثم قال :

* بركت على جَنْب الرداع كأنما *

والمسافة بعيدة بين بعض تلك المناهل و بعضها الآخر ، فأما الأعشى ـ وهو رجل من أهل اليمامة ـ فإنه يقول[٢] :

فإنا قد أقمنا إذ فشلتم وإنا بالرداع لمن أتانا

---

(١) هذه رواية التبريزى ، وذكر أنه يروى « بركت على جنب الرداع »
(٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٤٣ .

من النعم التى كخراج أبلى   تحش الأرض شيا أو هجانا

فيحتمل أن يكون « الرداع » فى كلامه موضعاً باليمامة ، لكنك إذا تبصرت وجدته قد ذكر أبلى فى البيت الثانى ، وأبلى قريب من الرداع الذى ذكرنا أنه فى بلاد بنى عبد الله ابن غَطَفان ، وقال لبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته   وعند الرداع بيت آخر كَوْثَرَ

أشار لبيد بن ربيعة العامرى إلى قبر شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بوادى الرداع ، وقبره هناك ، وهو من سادات بنى عامر ، وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب مات بملحوب ، وفى اليمن مخلاف يقال له « رداع » وهو من المخاليف النافذة من اليمن إلى جهة نجد ، قال الصليحى اليمنى يصف خيلا :

حتى إذا جزنا رداع ألانها   بَلُّ الجلال بماء ركض مرهج

وذكروا أن وادى النمل فى ذلك المخلاف ، وهو الوادى الذى نزل فيه القرآن الكريم (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) والرداع الذى ذكره عنترة هو الرداع الواقع بين الجثوم والمكيلى شمالى وادى الجرير الذى كانت العرب تسميه فى الزمن القديم « الجريب » على بعد يوم ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

والمواضع التى تسمى الرداه ـ بإبدال العين هاء ـ كثيرة فى بلاد العرب لا يحصيها الحصر .

انتهينا من المواضع التى ذكرها عنترة فى معلقته .

٧

الحارِثُ بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ

الحارث بن حلزة اليشكرى

هو الحارث بن حِلِّزة الذى ينتهى نسبه إلى يَشْكُر بن بكر بن وائل ، هلك سنة ٥٢ قبل الهجرة وهذا مطلع قصيدته وهى المعلقة السابعة :

١ — آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ... ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ
فَالمحَيَّاةُ فَالصِّفَاحُ فَأَعْنَا ... قُ فِتَاقٍ فَعَاذِبٌ فَالْوَفَاءُ[1]
فَرِيَاضُ الْقَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّرْ ... بُبِ فَالشُّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءُ
لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْــ ... ـيَوْمَ دَلْهاً ، وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ ؟[2]

برقة شماء

برقة شماء : شماء هضبة حمراء من أخيلة الحمى ، سميت شَمَّاء لطولها ، و برقتها مضافة إليها ، وهى واقعة بين شمر وجبل الأكيثال ، وهذا التحديد هو ما ذكروه عنها ، وأنا لا أعرفها بهذا الاسم فى هذا العهد ، ولكنى أعرف بهذا الاسم فى هذا العهد تَلْعة فى شرق جبل ثهلان يصبُّ سيلُها فى وادى الشعرى يقال لها « تلعة شماء » والذى يظهر من كلامهم أن شماء هضبة لها برقة مضافة إليها ، وفى اللغة إذا كان الجبل طويلا قيل « جبل أشمّ » والهضبة الطويلة يقال لها « شماء » وقد ورد لهذه الهضبة ذكر فى غير معلقة الحارث .

الخلصاء

الخلصاء : موضع بالدهناء قريبُ حُزْوَى ، معروف عند أعراب تلك الناحية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، قال ذو الرمة [3] :

ولم يَبْقَ بالْخَلصاء مما عَنَتْ به ... من الرطب إلا يبسها وهَشِيمُها

وقال أيضا من قصيدة أخرى له :

أَشْبَهْنَ من بَقَر الخلصاء أَعْيُنَهَا ... وهنّ أحسن من صيرانها صُوَرَا

وهى معروفة بكثرة الظباء ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

المحياة

المحياة : هضبة شاهقة إلى السماء شرقى أبان ، جنوبى النبهانية على ضفة وادى الرمة الجنوبية باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يقال لها « محيوة » أبدلت الألف واوا ، وهى معروفة فى قديم

---

(١) يروى « فالحيا فالصفاح » ويروى « فأعلى ذى فتاق »
(٢) يروي « وما يرد البكاء ؟ » وهى بمعنى ما أثبتناه (٣) انظر معجم البلدان ٣/٤٥٥

الزمان وحديثه ، قال الراعي [1] :

ونكّبْنَ زُوراً عن مُحَيّاة بعد ما   بدا الأثل أثل الغينة المتجاور

قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب : قال رُوَيْشِد الأسدى الذى جر المهاجاة بين بنى أسامة — وهم من وَالبة — وعامر بن عبد الله — وهم من بنى عمرو بن قُعَين — قال على لسان الأسامى :

نحن بنو أسام أيسار الشّاء   فينا رفيع وأبو محياه

* وعَسْعَسٌ نعم الفتى تَبَيَّاه *

أى يأتيه لحاجته ينتجعه ، وبأبى محياة هذا سميت محياة ، وهى ماءة لأهل النبهانية ، هذا هو آخر رواية الأصمعى عنها فى كتابه « جزيرة العرب » أما الاسم الذى يعرفه الناس فإنه يطلق على هضبة يقال لها اليوم « محيوة » وفي أصل تلك الهضبة مياه كثيرة لا يبعد أن تجرى على ظاهر الأرض بعثها الذويبى الحَرْبى صاحبُ بلد الشبيكة ، وقد عَزَم على غرس النخيل الكثير فيها والزروع الوافرة لما رأى كثرة مائها .

الصفاح الصِّفاح — فى اللغة يطلق على سفح كل جبل أو كثيب صفحته ، فصفحته : جانبه ، ويطلق لفظ الصفحة على جانب السيف ، والموضع الذى يقال له الصفاح معروف فى حدود الجبال المشرعة على وادى المغمس ، وهى آخرها ، يتركها قاصد مكة على شماله ، قال الفرزدق للحسين ابن على لما لقيه فى توجهه إلى العراق [2] :

لقيتُ الحُسَين بأرض الصفاح   عليه اليلامق والدرق

وقال ابن مُقْبل فى مرثيته لعثمان بن عفان رضى الله عنه حين قتل :

عفا بَطِحَانُ من سليمى فيثرب   فملقى الرحال من مِنًى فالمُحَصَّبُ

فمُسْفَان مر السر كل ثنيـة   بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ

فنعف وَدَاع فالصفاح فمكة   فليس بها إلا دماء ومحرب

ونعف وداع : موضع قريب نعمان ، والصفاح الذى ينطبق عليه هذا الاسم بهذا الوزن هو هذا الموضع ، وفى نجد موضع يقال له الصفاح — بضم الصاد وتشديد الفاء — وأصل الصفاح : نوع من الحجارة العريضة ، قال النابغة : * ويوقد بالصُّفّاح نار الحباحب *

فتاق أعناق فتاق — عنق كل شيء : أعلاه ، وفتق : جبل به ثنية يسلكها القاصد إلى بلد حائل

---

(١) انظر معجم البلدان ٧ / ٤٠١

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٣٦٦ وليس بيت الفرزدق موجوداً فى ديوانه ، وعجزه ليس تام الوزن

من القَصيم ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو الذى عناه الحارث بن حِلِّزة ، ذكر أعناق ذلك الجبل ، وفتاق باق إلى اليوم باسم «فتق» وهو قريب جداً من اسمه القديم، قال الأعشى[١] :

أتانى وغور الُحوش بينى و بينه كرادِسُ من جنبى فتاق فأبلقا

وقال الراعى :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن تحملن من جنبى فتاق فثهمد

وقال زيد الخيل الطائى فى ذكر هذا الموضع ؛ لأنه واقع فى بلاد قومه[٢] :

منعنا بين شَرْقَ إلى المَطَالى بحىّ ٍ ذى مكابرة عَنُود

نزلْنَا بين فتق والخِـلاَفى بحىّ ٍ ذى مُدَاراة شديد

وحَلَّت سِنْبِس طلح الغبـاري وقد رغبت بِنَصْرِ بنى لَبِيدِ

عاذب عاذب : موضع فى الصَّمان ، به مواضع تحتبس الميـاه ، وقد أكثرت الشعراء من ذكره ، وهو قريب من موضع يقال له رهباء وقريب الأواعس ، وجميع هذه المواضع ـ عاذب ، ورهباء ، والأواعس ـ كلها فى الصمان ، قال جرير فى هجائه للفرزدق[٣] :

وما ذات أرواق تصدَّى لجؤذر بحيث تلاقى عاذب فالأواعِسُ

بأحسن منها يوم قالت : ألا ترى لمن حَوْلَنَا فيهم غيور ونافس

ألم تر أن الله أخزى مُجَاشعا إذا ماأفاضت فى الحديث المَجَالِسُ

فما زال معقولا عقال عن الردى وما زال محبوسا عن المجد حابِسُ

وواحد الأواعس : أوعس ، ومؤنثه : وعساء ، وقال ذو الرمة :

أيا ظَبْية الوعسـاء بين جلاجل و بين النَّقَا ، أأنت أم أم سالم ؟

جُلاَجل : بلد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، به نخل وزروع ، ذكرناه على ذكر اليمامة ، ووادى جلاجل : بين وادى سدير ووادى المشقر الذى يصب عند بلد المجمعة .

والنقا : موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهـد ، وهو أكثبة مرتـكمة فى الدهناء يقال لها النقيان .

الوفاء الوفاء : معطوف على عاذب ، ولم أعثر على موضعه بهـذا الاسم ، وصاحب معجم البلدان لم يحدده ، إلا أنه قال[٤] : هو موضع فى شعر الحارث .

---

(١) انظر معجم ياقوت ٣٣٨/٦ (٢) الذى فى معجم ياقوت فى أبيات زيد الخيل « فتك » بالـكاف موضع القاف (٣) المعجم ٦ / ٩٢ (٤) للعجم ٤٢٨/٨

ورهبى التى تقرن بهذه المواضع أكثر شعراء بنى تميم من ذكرها، قال شاعر[1] منهم فى شطر بيت :

* على جُدد رَهْبى أو شخوص خيام *

والجد : يطلق على الجبل الصغير، وقال العجاج فى أرجوزته :

* تُعْطِيه رَهْبَاها إذا ترهّبا *

وقال جرير :

ألا حَيِّ رَهْبى ثم حى المَطَاليا   فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا
فلا عهد إلا أن تَذَكَّرَ أو ترى   ثُمَاماً حوالى منصب الخيم باليا
إلى الله أشكو أن بالغور حاجة   وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا
إذا ما أراد الحى أن يَتَزَيَّلُوا   وحَنَّتْ جمال الحى حنت جماليا
ألا أيها الوادى الذى ضَمَّ سيلَهُ   إلينا هوى ظمياء حُيِّيتَ واديا
نظرت برَهْبى والظعائن باللِّوَى   فطارت برهْبى شعبةٌ من فؤاديا

وقال جواس بن القعطل الحنانى :

برَهْبى إلى روض القذاف إلى المعا   إلى واحف تزورها ومجالها

وقد قرن هذا الشاعر رهبى بالمعا، والمعا معروف بهذا الاسم فى الصمان، وهو دحل يمسك الماء

رياض القطا : قد اختلف أهل الأخبار والمعاجم فى موضعها، وهى الآن الرياض الواقعة فى ضفة الدهناء الغربية، تصبُّ عليها سيولُ العرمة، وشماليها تصب عليه سيول مجزل، وهى تمسك الماء منذ الزمن القديم إلى هذا العهد. وهذه يَرِدُهَا القطا، فسميت « رياض القطا » روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، جميعُ هذه الرياض من رياض القطا، فأما تنهاة فهى اسم لأكثبة منقطعة من الدهناء، فأضيفت هذه الروضة إلى هذه الأكثبة فقيل لها « روضة التنهاة » وهى من منازل بنى تميم، قالت صفية[2] بنت خالد المازنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وهى يومئذ بالبشر، تتشوق إلى أهلها و بلادِ قومها وهى من أشعر النساء :   رياض القطا

نظرت وأعلام من البشر دونها   بنظرة أقْنَى الأنف حُجْن المخالب
سما طرفُه وازداد للبرد حدة   وأمسى يروم الأمر فوق المراكب
لأبصر وَهْنًا نارَ تنهاة أوقدَتْ   بروض القطا والهضْب هضب التناضب

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٤٢   (٢) انظر معجم البلدان ٢ / ٤١٨

ليالينا إذ نحن فى الحَزْن جيرة ... بأفيح حر البقل سَهْل المشارب
ولم يحتمــــل إلا أباحت رماحنا ... حمى كل قوم أحرَزوه وجانب

وهذا من أحسن الدلائل وأجودها لأنها حين قالت :

لأبصر وهنا نار تنهاة أوقدت ... بروض القطا والهضب هضب التناضب

ذكرت أن نار تنهاة أوقدت بروض القطا ، وثمة دليل آخر على صدق هذا التحديد ، وهو قول الأعشى فى معلقته :

حتى تَحَمّل منه الماء تـكلفة ... روضُ القطا فـكثيبُ الغينة السهل

كثيب الغينة السهل هو الذي يسمي اليوم نفيد بنبان ، وهو كثيب الغينة ، لأن الغينة تغير اسمها قليلا فصار « غيانة » وهى معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، مجاورة لهذا الـكثيب ، بها نخل وزروع ، وقد تقدم الـكلام عليها عند ذكر اليمامة على ذكر وادى أبو قتادة .

ورياض القطا هى كما حَدّدنا فى أول هذه العبـارة بين الدهناء والعرمة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، قال [١] الحطيم الحرزى :

وهل أهبطَنّ روضَ القطا غير خائف ... وهل أصْبِحَنّ الدهْرَ وَسْطَ بنى صخر

وقال عمرو بن شاس الأسدى :

غشيت خليلى بين قَوّ وضارج ... فروض القطا رَسْمًا لأم المسيب

وقال الأخطل :

وبالمرسانيـات حلّ وأرزمت ... بروض القطا منه مَطَافِيلُ حُفّل

وقال أعشى بنى تغلب :

عفا لَعْلَع فرياض القطا ... فجنب الأساودْ من زينب

وقال الأخطل :

عفا واسط من أهله فَمَذَانِبُهْ ... فروض القطا صحراؤه فنصائبه

هذه أشعار شعراء مختلفين فى الألفاظ على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وأوطانهم ، فمنهم من ذكر روض القطا فى الصمان ، ومنهم من يصفه بأنه واقع فى طريق الحجاز ، ومنهم من ذكر أنه بطريق الشام ، وللجمع بين هذه الروايات نعتقد أنهم كانوا يسمون كل روضة تمسك الماء فى أى ناحية من النواحى ويردها القطا بهذا الاسم [٢] ، فأما رياض القطا التى وضع لها هذا الاسم فهى

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٣٢١ (٢) وهكذا رأى ياقوت (انظر المعجم ٤/ ٣٢٢)

المشهورة عند عامة العرب وهى : روضة التنهاة ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، وجميع هذه الرياض بين العرمة والدهناء كما قلناه .

قال ياقوت فى معجمه [1] : أنا وجدت فى كتاب أبى جعفر محمد بن إدريس بن أبى حفصة على ذكره مناهل اليمامة قال : إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح ، ثم الخربة ، ثم قارات الحبل ، ثم بطن السلى ، ثم طار ، ثم عيان ، ثم روض القطا ، ثم العرمة ، وهذه كلها من أرض اليمامة .

وقد غلط الرواة فى تقديم رياض القطا على العرمة ، ورياض القطا كما ذكرنا بين الدهناء والعرمة

أودية الشربب

وأودية الشربب ، والشعبتان ، والأبلاء : هذه المواضع الثلاثة كلها متصل بعضها ببعض ، ولا تكون أودية الشربب إلا من أودية الشربَّة ، وهى واقعة بين الشعبتين اللتين ذكرهما الحارث ، ولا أعلم أحداً من العرب ذكر الشربب بهذا الوزن وهذا اللفظ إلا الحارث فى معلقته ، وأرطاة بن سهية حين قال :

أجليت أهل البرك من أوطانهم والحس من شعبى وأهل الشربب

وألجأت الشاعر الضرورة حتى قال « الشربب » وليس هناك موضع مشهور عند العرب إلا الشَّرَبَّة ، وقد مضى الكلام عليها فى أشعار امرىء القيس على قوله :

تَخَطَّفُ خِزَّانُ الشربَّةِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

وهذا البيت من قصيدة مطلعها * ألا عِمْ صباحا أيها الطللُ البالى *

عود إلى ذكر الشربة

والشربة : قد ذكرناها ، واستقصينا الكلام على ذكرها ، ولكن لما عرض لنا هذا البيت أحببت أن أزيد القارىء إيضاحا :

الشربة : أسفلها عريق الدسم الواقع غربى شعبى ، وأعلاها من عدنة إلى أبلى ، أما عدنة المشهورة عند العرب بهذا الاسم فهى اليوم معروفة باسم « بدنة » وجميع هذه الأودية تصب فى وادى الجريب من شماليه ، والأودية التى تصب فى وادى الرمة من جنوبيه هى من أودية الشربة ولا يبعد أن الأودية التى ذكرها الحارث فى تلك الناحية ؛ لأنه قرنها بأبلى والشعبتين .

الشعبتان

أما الشعبتان فمعروفتان بهذا الاسم عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد ، وهما واديان عظيمان تأتى سيولُهما من الجهة الشمالية من جنوبى بلاد طى ، وتَمُرُّ ببلاد بنى أسد ، وتصب فى وادى الرمة ، وهاتان الشعبتان معروفتان لقوم من الأسلم من شمر تملكوهما من العهد القديم إلى هذا العهد

---

(١) انظر المعجم ٤ / ٣٢٢ (٢) انظر المعجم ٥ / ٢٤٨

ولا يزالون يتنقلون فيهما من محل إلى محل ، وتأتيهما السيولُ من قريب سَلْمَى ورمان ثم تتجه حتى تصب في وادي الرمة ، وتلك القبيلة التي تتربع فيهما وتتجول في نواحيهما يقال لهم آل البعير حتى إن فارسهم في المعارك يعتزى[1] إليهما وهو على ظهر جواده ، فيقول : خَيَّال الشعبتين بعيريّ فينتسب لآل بعير قبيلته ، وهم بطن من الأسلم من شمر ، وقبيلة شمر تنقسم إلى أقسام منها قبيلتان اختصتا بالجبلين أجأ وسلمى ؛ فقبيلة الأسلم اختصت بسلمى ، وقبيلة عبدة اختصت بأجأ ، وهاتان القبيلتان أهلُ الجبلين ، والشعبتان معروفتان عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد .

أبلى أُبْلَى : قد وعدنا فيما سبق أنا نذكرها عند الكلام على معلقة الحارث بن حلزة ، وإني أعرفها كما أعرف بلادي ، وهي جبالٌ سود متصل بعضها ببعض ، متاخمة لجبل كشب مما يلي جهته الشمالية ، وهي قريبٌ القرى الواقعة في شرقي الحرة ، وهي : صفينة ، والسويرقية ، وماءة الجريسية واقعة في وسط جبال أبلى ، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وأحببت أن أورد ما ورد فيها قال في معجم البلدان[2] : وقال عرام بن أصبغ السلمي في كتابه : تمضي من المدينة مُصْعِدا إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له عريفطان معا ليس له ماء ولا مرعى ، وحذاؤه جبال يقال لها أبلى ، هذا كلام عرام . وهو صحيح ، ولكن السالك من المدينة إلى مكة يترك أبلى على شماله ، ثم قال: أبلى فيها مياه : منها بئر مَعُونة ، وذو ساعدة ، وذو جماجم أو حماحم ، والوسباء ، وهذه لبني سليم وهي قناة متصلة بعضها ببعض ، قال فيها الشاعر :

ألا ليت شعري هَلْ تغير بعدنا   أروم وآرام فشابة فالْحُضُرُ

(١) هذه عادة عامة عند أهل نجد ، بل عند العرب جميعهم ، كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، وجميع قبائل نجد كل قبيلة لها سمة تعرف بها في القتال ، فعزوة مليكنا وعشيرته في المعارك وغيرها : خيال العوجا وأنا ابن مقرن ، ولولا الإطالة لوضحت سمة كل قبيلة التي تعرف بها ، ولكن أحببت أن أذكر شيئاً من ذلك حتى يتضح للقارىء : من قحطان قبيلة آل روق ، وعزوتهم : مبعد مساريح البكار وأنا ابن روق ، الحنافر : خيال الرحمان وأنا ابن دراج ، آل عاطف عزوتهم : خيال سمحات الوجيه وأنا ابن عاطف ، وسمحات الوجيه في هذه العزوة الإبل ، ومن قبيلة عتيبة المقطة قبيلة محمد بن هندى عزوتهم : خيال الرحمان كريزى ، وقبيلة النفعة ذوى زياد : خيال الحرشا زيود ، والحرشا : اسم ناقة ، والمساعيد : خيال الشرفا مسعودى ، الشرفا : اسم ناقة ، ومن قبيلة الروقة آل محيا من الحناتيش : خيال الحردا ، وأنا أخو غزوا ، غزوا : أخت للمعتزى ، ومن مطير قبيلة الدوشان : خيال الرحمان وأنا ابن مدوش ، والجبلان من قبيلة مطير : خيال صبحي جبلي ، وصبحا : جبل في عالية نجد الجنوبية .

(٢) انظره ١ / ٩٠ وفيه « عريفطان معن » .

وهل تركتَ أبلى سوادَ جبالها   وهل زال بعدى عن قُنَينته الحجر

وعن الزهري أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ أرض بنى سليم ، وهو يومئذ ببئر مَعُونة بجُرْف أبلى ، وأبلى بين الأرحضية وقرّان ، كذا ضبطه أبو نعيم ، هذه رواية صاحب معجم البلدان ، فأما الأسماء الوارد ذكرها فى هذين البيتين : أروم ، وآرام ، وشابة ، والحضر ، وأبلى ، وقنينة الحجر ، فجميعها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد ، وأنا أعرفها ، وهذه رواية أبى عبيد البكرى فى معجم ما استعجم [١] برمتهما : أبلى هى جبال سود على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة على بطن نخل ، وأبلى حذاء وادٍ يقال له عريفطان ، قد حددتُه فى رسم « ظلم » وبأبلى مياه كثيرة : منها بئر معونة ، وذو ساعدة ، وذو جماجم أو ذو حماحم ، هكذا قال السكوني ، وحذاء أبلى فى غربيها قُنَّة يقال لها الشَّورة لبنى خُفَاف من بنى سليم ، وماؤهم آبار يزرع عليها ، ماء عذب ، وأرض واسعة ، وكانت بها عين يقال لها النازية ، بين بنى خُفَاف وبين الأنصار تضارُّوها فسدُّوها بعد أن قتل فى شأنها ناس كثير ، وكانت عينا ثَرَّة ، وطلبها السلطان مرارا بالثمن الجزل فأبوا عليه ، وحذاء أبلى من شرقيها جبلٌ يقال له ذو المَرْقَمة ، وهو معدن بني سليم ، تكون فيه الأروى كثيرا ، وفى أسفله من شرقيه بئر يقال لها الشقيقة ، وتلقاءه عن يمينه من تلقاء القبلة جبل يقال له أُحامر ، وهذه الجبال تضرب إلى الحرة ، وهى تنبت الغَرْبَ والعَضْوَر والثُّمام ، وهناك رِتعار والأخرب : جبلان لا يُنبتان شيئا ، قال الشاعر :

بليت ولا يبلى تِعَارٌ ولا أرى   ببئر نُمَيْل نائياً يتجدد
ولا الأخربُ الدانى كأنَّ قِلالَه   بخاتٍ عليهنَّ الأجلَّةُ هُجَّدُ

وقال كثير :

أحبك ما دامت بنَجْدٍ وشيجةٌ   وما أنبتت أبلى به وتِعار

وقال الشماخ :

فباتت بأبلى ليلةً ثم ليلةً   بحاذَةَ واجتابت نَوًى عن نواهما

(حاذة : باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد) وتجاوز عين النازية فترد مياها يقال لها الهَدَبية ، وهى آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر ، فى بقاع واسعة بين حرّتين ، تكون ثلاث فراسخ عَرْضاً فى طول ماشاء الله أن يكون ، أكثر نباتها الحَمْض ، وهى لبنى خفَاف ، ثم تنتهى إلى السُّوارقيه على ثلاثة أميال من عين النازية ، وهى قرية لبنى سليم فيها مِنْبر ، ويستعذبون الماء من وادٍ يقال

(١) انظره ١ / ٩٨ .

له سُوَارق ، ووادٍ يقال له الأبطن ، ماء عذبا ، ولهم مزارع واسعة ونخل كثير وفواكه جمة من الموز والتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ ، وحَدُّها ينتهى إلى ضَرِية ، وحواليها قُرًى منها قِيًّا ، بينهما ثلاثة فراسخ ، وهى كثيرة الأهل والمزارع والنخيل ، قال الراجز :

ما أطْيَبَ المذق بماء قِيًّا وقد أكلتُ قبلَهُ بَرْنِيًّا

وقرية يقال لها الملحَاء ، سميت بالملحاء بطنٍ من حَيْدَان ، وهى فى بطن وادٍ يقال له قَوْران يصب من الحرة ، فيه ثلاثة آبار عذاب ونخلٌ وشجر ، وحواليها هضابٌ يقال لها هضبات ذى مَجَر قال الشاعر * بذِى مَجَرٍ أسْقِيتُ صَوْب غوادى * وذو مجر : غديرٌ بينهن كبير فى بطن قَوْران ، و بأعلاه ماء يقال له لِيث ، آبار كثيرة عذبة ليس لها مزارع لِغلَظ موضعها وخشونته وفوق ذلك ماء يقال له شَسّ ، آبار كثيرة ، وفوق ذلك بئر يقال لها ذات الغار ، أغزرها ماء وأكثرها ، تسقى بواديهم ، قال ابن قَطَّاب السلمى :

لقد رُعْتُمونى يوم ذى الغار رَوْعَة بأخبار سوء دونهنَّ مَشِيبى
نَعَيْتم فتى قيسِ بن عيلان عَنْوة وفارسَهَا ، تنعُونَه لحبيب

وحذاء هذا الجبل جبل يقال له أقراح ، شامخ ، لا ينبت شيئاً ، كثير النمور والأروى ، ثم تمضى من المَلْحاء فتنتهى إلى جبل يقال له مُعَان ، فى جوفه أحساء ماء : منها حِسْى يقال له الهَدَّار ، يفور بماء كثير ، بحذائه حاميتان سوداوان ، فى جوف إحداهما مياه مِلحة يقال لها الرِّفْدة حواليها نخلات وآجام يستظل بها المار ، شبيهة بالقصور ، وهى لبنى سُلَيم ، و بإزائها شُوَاحط ، وهو مذكور فى موضعه ، انتهى من معجم ما استعجم بحروفه .

وهذه الأسماء التى ورد ذكرها فى رواية أبى عبيد البكرى قد تغير اسم الكثير منها ، و بقيت منها أسماء لم تتغير : منها جبل أُحامِر ، وهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد غربى أبلى ، والسوارقية : معروفة أيضا بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وحاذة : معروفة أيضاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومعدن بنى سليم معروف إلى هذا العهد ، وقد بُعِث فى هذا العهد الحديث ، وتجد فيه اليومَ العمالَ بآلاتهم العظيمة والمهندسين لاستخراج الذهب منه بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود.

فأما ما ذكره أبو عبيد البكري فى قوله « وحدها ينتهى إلى ضَرِية » فهذا خطأ بين ، فإن بينهـا و بين ضرية مسافة خمسة أيام ، جميعُ الشَّرَبة وأوديتها وما وقع من الأودية والجبال والمياه بين وادى الرمة ووادى الجريب حاجزةٌ بين ضرية و بين أبلى ، وأبلى : معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد ، وهى واقعة فى القطعة الشمالية الغربية من عالية نجد ، شرقيُّها فى

الجاهليـة وفى الإسلام لبنى عبد الله بن غَطَفان ، وغربيهـا لبنى سُلَيم ، ويعد معدن بنى سليم قطعةً منها ، والجبالُ المحيطة بها تضاف إليها ، فيقال لها : جبال أبلى ، فأما أبلى نفسُها فهى جبال سودٌ متصل بعضُها ببعض يقطعها السالك فى ساعتين .

* * *

٢ — قال الحارث بن حِلِّزة :

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ النَّـا رَ أَصِيلاً تُلْوِى بِهَا الْعَلْيَاءُ[1]

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى ، هَيْهَاتَ مِنْـكَ الصِّلاءُ[2]

العلياء فى هذا البيت خاصةً : هى أرض مرتفعة من خَزَازي أو من حوله ، وأما خزاز فقد مضى الـكلام عليه فى معلقة عمرو بن كلثوم ، وأوضحنا أن يوم خزاز المشهورَ عند العرب هو أول يوم هزمت فيه بنو عدنان القحطانيين ، وللحارث بن حلزة صاحب هذه المعلقة امتياز على شعراء المعلقات ؛ لأنه لم يحضر يوم خزار من شعراء المعلقات أحد غيره ، وكانت الرآسة فى ذلك اليوم لربيعة على جميع العدنانيين . خزاز

وذكروا أن كليبـا كان فى ذلك اليوم هو الرئيس المطاع ، وهو الذى ألَّبَ بطونَ العرب من ربيعة ومضر ، فلما جاء النصر أذْعَنَتْ له العدنانيون ، فكان هو الرئيس المطاع ؛ فحَمَى بعد ذلك حمى ضرية ، ومنع العرب من دخوله ، فسمى الحمى بعد ما حماه « حمى كليب » فزاد به العُجْب والتـكبر على العرب ، فـكان فى بلاد العرب إذا نزل ماء من السماء فى الحمى أو فى غيره انتجع إليه ، وحماه ، ونزل به ، فلما تجبر صَرَعَه تجبره حتى أورده حمامه ، قتله ابنُ عمه . حمى كليب

وخزاز هو الجبل المعروف قريب بلد دخنة ، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفه به عامة أهل نجد ، وهو يعد من أخيلة الخامر ، وإنما سميت تلك القطعة الخامر لأنهـا جبال متفرقة وآكام ورضم مَنْ دخلها خمر بها ، وهذه لغة عامة أهل نجد يسمون الوادى الملتفَّ بالشجر خماراً ، وإذا دخلت الأرنب فى الشجرة قالوا : أخمرت ، وقال فى القاموس : خَمِر ـ كفرح ـ توارى كأخمر ، وأخمرته الأرض عنى ومنِّى وعلى : وارَتْه ، فسميت الخامر بهذا المعنى ، وهى قطعـة من الأرض يبعد بعضها عن بعض مسافة يوم ونصف يوم ، شماليُّها مما يلى الرمة ، وجنوبيُّها مما يلى وادى نفى ، وهى باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد .

---

(١) هذه رواية التبريزى ، وذكر أنه يروى « أوقدت هند النار أخيراً »

(٢) فى رواية التبريزى « بخزاز » وذكر الأخرى

٣ — وقال الحارث بن حلزة :

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصَيْـــنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ

ذكر الحارث بن حلزة أنه تَنَوَّر تلك النار وهو فى خزاز الذى ذكره ، وهو بين شخصين والعقيق ، فلا تكون النار إلا فى جبال بنى عبد الله بن غَطَفَان الواقعة بين شمالى كشب والعقيق ، والعلياء — على هذا — لا تكون فى خزاز ولا فى نَوَاحيه ، بل تكون فى تلك الناحية التى أوقدت النار في رأسها .

الشخصان أما الشخصان فهضبة أصلُها واحد ولها رأسان ، وكانت تسمى فى الجاهلية بالشخصين ، وهى فى هذا العهد تعرف بالشواخص ، ولا تزال باقية بهذا الاسم ، وهى واقعة فى شمالى كشب الغربى

العقيق العقيق : معروف عند عامة أهل نجد ، يَصُبُّ من جبال الحجاز الشرقية ، ويتجه شمالا جاعلاً جبالَ الحجاز وحِرَاره على شماله حتى يختلط بعقيق المدينة ، وماءة عشيرة المعروفَةُ فى الطريق بين مكة ونجد وماءة الحدثة وماءة تنضبة ، هذه كلها فى بطن وادى العقيق فى أعلاه ، فى بطن ذلك الوادى إذا اتجه شمالا عيون وآبار كثيرة عذبة ، وهى بالقرب من المدينة ، وسيل ذلك الوادى يصب فى وادى الحمض ، ويصبان معا فى البحر ، هذا هو الذى بلغني عن الثقات ، وقد مر ذكره فى كتابنا هذا ، وذكرنا المواضع التى يطلق عليها لفظ العقيق ، وقد أوضحنا ذلك إيضاحا تاما ، قال شاعر مدنى فى عقيق المدينة :

إنى مررت على العقيق وأهلُهُ يشكون من مَطَرِ الربيع نُزُورَا
ما ضركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقُكمْ ممطورا

وجعفر هذا هو جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، رضي الله عنه !

* * *

٤ — وقال الحارث بن حِلِّزَة :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ ؟
لا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ ، إِنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ
فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنْمِيـــنَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ

اختلف أهلُ اللغة فى هذا البيت الأخير ، واختلف الرواة : أما رواية الزوزنى ، فهى « حصون وعزة قعساء » ورواية الخطيب « جدود وعزة قعساء » وأجمع الأكثرون على أن الشناءة هى

العداوة والبغضاء ، وهي لغة صحيحة ذكرها الله جل وعلا فى محكم كتابه بقوله تعالى (لا يجرمنكم شَنَآن قَوْمٍ) فإذا صحت رواية الخطيب فالشناءة هى البغضاء ، وإذا صحت رواية الزوزنى فالشاعر يقصد إقامته على الشّنانة بلدٍ من قرَى الرسِّ جاهلية بها نخيل ومزارع ، فهذا الشاعر الذى قد مضى لموته ألف وأربعمائة وتسعة عشر عاما ولم يتغير لفظه إلا بإبدال الهمزة نونا نعنى أن « الشناءة » هى البلد الذى يسمى اليوم الشنانة ، وهى واقعة على ضفة وادى الرمة الجنوبية قريب الاختلاط ببلد الرس ، لا تبعد عن الرس إلا أقل من مسافة ساعة ونصف .

* * *

٥ – وقال الحارث بن حِلِّزة :

أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو ... هَا إِلَيْنَا تَمْشِى بِهَا الأَمْلاَءُ

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالصَّا ... قِبِ فِيهِ الأَمْوَاتُ وَالأَحْيَاءُ

أَوْ نَقَشْتُمْ فَالنَّقْشُ يَجْشَمُهُ النَّا ... سُ وَفِيهِ الصَّلاَحُ وَالإِبْرَاءُ

مِلْحة : هضبة معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، فى شرقى بيشة ، شهباء كأنها قطعة ملح ، فلذلك سميت ملحة ، وهى التى عناها الشاعر ، وهناك هضبات حُمْر يقال لهـا الأميلاح لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهي واقعة فى شرقى جبل الصاقب الجنوبى ، تبعد عن الصاقب مسافةَ نصف يوم ، والذى يدل على أنه عنى بملحة الهضبَةَ الواقعة فى أسفل بيشة أنه يقول : ملحة

* إن نبشتم ما بين ملحة فالصاقب *

فهذا يدل على أنه يشير إلى المعارك وما قتل فيها من الأبطال ، وما بين ملحة وجبل الصاقب إلا مسافة ست ليالٍ لحاملة الأثقال .

والصاقب : هضبة حمراء شاهقة واقعة فى عالية نجد الجنوبية ، ولايوجد في بلاد العرب هضبة أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة الصاقب ، وهى واقعة فى قطعة مصطحبـة من الأرض كأنها منخفضة يقال لها « جفرة الصاقب » يرعى تلك الجفرة قوم من الأعراب القاطنون فى المياه المجاورة لتلك القطعــة ، وهى ماءة الهمجة ، وماءة الدخول ، الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره ومضى الكلام عليه ، وماءة محضب ، وماءة ورشة ، وهو منهل على طريق رنية ، وهو المنهل الذى يجاوره جبل حوضا الجبلُ المعروف والذى يجرى ذكره فى أشعار العرب وأخبارها ، والصاقب : معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد . الصاقب

* * *

٦ — وقال الحارث بن حلِّزة :

هَلْ عَلِمْتُم أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَارًا لِكلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَكِبْنَا الجِمَالَ مِن سَعَفِ البَحْـ ـرَيْنِ سَيْرًا حَتَّى نَهَاهَا الحِسَاءُ

البحرين — البحرين : هى البلد المعروفة الواقعة فى سواحل البحر الشرقى ، ويدخل تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وهَجَرُ وجميعُ قراه ، كلها يطلق عليها اسم البحرين .

الحساء — فأما الحساء الذي ذَكَره الحارث فهو بكسر الحاء ، وهو غير الحساء الواقع فى نواحى هَجَر ، وهذا الاسم إذا فتح حاؤه يطلق على جميع القرى الواقعة فى بلاد عبد القيس ، لأنه فى نفس البحرين ، وأما الحِسَاء فإنه يطلق على موضعين : أحدهما فى بلاد عبد الله بن غَطَفَان ، يصبُّ سيله فى وادى الرمة ، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم « حسى عليا » هلكت عنده امرأة يقال لها « علياء » فقبرَت على هذا الماء ، وهو الذى يقول فيه زهير :

عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاء فيُمْن فالقَوَادم فالحِسَاء

والثانى : واقع قريبَ المدينة ، وهو الذي يقول فيه عبدُ الله بن رواحة رضى الله عنه يخاطب راحلته :

إذا بَلَّغْتِنِي وحملتِ رحلى مسافة أربع بعد الحِسَاء

* * *

٧ — وقال الحارث بن حِلِّزة :

لَا يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَّهْـ ـلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النَّجَاءُ
لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلاً مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ

الطود والحرة الرجلاء — الطَّوْد : اسم عام لكل جبل شاهق ، والحرة الرجلاء : هى الصَّعْبة المرتقى لا يسلكها خيل ولا إبل ، لا يسلكها[1] إلا الراجل ، فسميت حرة رجلاء ، والحرة : اسم لما غلظ من الحجارة والخشوشن ، وهى تكون سوداء المنظر ، ذكر فى معجم البلدان فى بلاد العرب[2] ثلاثين حرة كلها مضافة ، فأما الحرة الرَّجْلاء التى ذكرها الحارث فهى واقعة بين المدينة والشام ، وهى المختصة بهذا الاسم ، يقال لها الحرة ، قال الأخنس بن شهاب[3] .

وكلب لها خَبْتٌ فرَمْلَة عالج إلى الحرة الرجلاء حين تحارب

وقال الراعى :

(١) انظر معجم البلدان ٤ / ٢٢٧ (٢) انظرها فى ٣ / ٢٥٧ (٣) المعجم ٣ / ٢٥٨

يا أهل مابال هذا الليل فى صَفَر ... يزداد طولا وما يزداد من قصر
فى إثْرِ من قطعت منى قرينتَهُ ... يومَ الحدَالى بأسبابٍ من القدر
كأنما شُقَّ قلبى يوم فارقهم ... قسمين بين أخى نجدٍ ومُنْحَدر
هم الأحبة أبكى اليوم إثرهمُ ... وكنت أطرب نحو الحيرة الشُّطُرِ
فقلت والحَرَّة الرَّجْلاء دونهمُ ... وبطن الجّان لما اعتادنى ذكرى
صَلَّى على عزةَ الرحمنُ وابنتِها ... لَيْلَى وصَلَّى على جاراتها الأُخَرِ
هُنَّ الحرائر لا رَبَّاتُ أحمرةٍ ... سودُ المحَاجر لا يقرأن بالسور (١)

ويحتمل أن الحارث بن حِلِّزة لم يقصد حرة بعينها ، بل قصد موضعا وَعْرا لا يُرْتَقَى لقوله :

لَيْسَ ينجى موائلا من حذار ... رأسُ طودٍ وحَرَّةٌ رجلاء

قصد حرة صعبة المَدْخَل لايدخلها أحد ولو أنه قال « الحرة الرجلاء » لكان ذلك أقربَ إلى أنه يريد الموضع المعين الذى يسمى بهذا الاسم ، فلما ذكرها منكرة ووصفها بما يدل على الوعورة قلنا : لعله يريد مطاق حرة يصعب سلوكها .

* * *

٨ — وقال الحارث بن حِلِّزَة :

كَتَكَاليفِ قَومِنَا إِذْ غَزَا الْمُنْــــذِرُ ، وَهَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ ؟
إِذْ أَحَلَّ الْعَلْيَاءَ قُبَّةَ مَيْسُو ... نَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْعَوْصَاءُ

العلياء : قطعة من الأرض مرتفعة ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وليست بموضع معلوم محدد ، وقولُ الحارث فى هذا البيت كقول زهير بن أبى سُلْمى : العلياء

تَبَصَّر خليلى هل ترى من ظَعَائن ... تَحَمَّلْنَ بالعلياء من فوق جرثم

فالعلياء هى الأرض المرتفعة كما لو قلت : عالية نجد .

وقبة ميسون : هى قبة بنيت لمَيْسون ، وميسون : ابنة لبعض ملوك غسان ، فقتل أباها عمرو قبة ميسون

(١) يروى أكثر الناس « لا ربات أخمرة » بالخاء المعجمة على أنه جمع خمار ، وهو خطأ ، فإن الخمار عند العرب مما يلبسه النساء الحرائر دون غيرهن ، والأحمرة — بالحاء المهملة — جمع حمار ، وهو الدابة المعروفة ، وعليها تعمل الجوارى فى نقل المياه من الآبار إلى الدور ونحو ذلك ، فكأنه قال : هن الحرائر لا الإماء العاملات على الحمر ، ولو أبقيت الخاء على إعجامها لتناقض الكلام ؛ لأنه يصير كأنه قال : هن الحرائر لا الحرائر ؛ إذ كان الخمار لاتلبسه إلا الحرة . وكانوا يكنون عن الحرة بذات الخمار .

ابن هند وسباها و بنى لها عمرو بن هند قبة فى ذلك الموضع فقال الحارث * فأدني ديارها العوصاء *

العوصاء والعوصاء : قطعة فى الحدود الواقعة بين الشام والعراق ، وقد ذكرت العوصاء فى أشعار كثيرة ، قال عمرو بن قيس[1] :

أصابك ليلةَ العوصاء عمداً بسَهم الليل ساعدةُ بن عمرو

ولا أعلم هل هذا الاسم باقٍ إلى هذا العهد أم تغير !

* * *

٩ — وقال الحارث بن حلزة :

فَرَدَدْناهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْـ ـرُجُ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْنِ ثَهْلاَ نَ شِلاَلاً وَدُمِّيَ الأَنْسَاءُ
وَجَبَهْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ ـهَزُ عَنْ جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ

ثهلان أما ثهلان : فجبل أسود ، باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد فى عالية نجد ، وقد مضى الكلام عليه فى قصيدة أمرىء القيس عند الكلام على قوله :

كَقيس الظباء الأعفر انضرجت له عُقاب تدلّتْ من شماريخ ثهلان

الطوى الطَّوِي : يطلق العرب على كل بئر صالحة لفظ الطوى !

* * *

١٠ — وقال الحارث بن حلزة :

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُون فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلاَ زَهْرَاءُ
لَمْ يُحَلُّوا بَنِي رِزَاحٍ بِبَرْقَا ءِ نَطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِ دُعَاءُ

برقاء نطاع برقاء نَطَاع : أما نطاع فهو معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهو من مياه الطف الشرقية ، وهو بلد قديم الذكر بين الدهناء والجبيل ، لم يخل من السكان منذ العهد القديم الجاهلى إلى هذا العهد ، قال فى معجم البلدان[2] على ذكر نطاع عن أبى منصور : إن نطاع على وزن قطام ماءة فى بلاد بنى تميم ، وقد وردتُها ، وشربت إبلُنا من ماء نطاع ، وهى ركية عذبة الماء غزيرته ، وكانت به وقعة بين بنى سعد بن تميم وهُوذَة بن على الحنفى ، أخذت بنو تميم لطائم كسرى التى أجارها هوذة بن على ، الواردة من عند باذام والى كسرى على اليمن ، فكان بعدها يوم الصَّفقة ، وقد أعر به ربيعةُ بن مَقرُوم فى قوله :

(١) معجم البلدان ٢٤١/٦ (٢) معجم البلدان ٢٩٦/٨ .

وأقرب منهلٍ من حيث راحا أثال أو غمـــازة أو نطاعُ
فأوردها ولونُ الليـل داجٍ ومالغبـا وفى الفجر انصـداعُ
فَصَبَّحَ من بنى جِلاَّن صِـلاًّ عطيفته وأسهمه المتـــاعُ
إذا لم تخزن لِبَنِيك لحمـــا غريضاً من هوَادِى الوحشِ جاعوا

وقال أيضا فى المعجم[1] : قال الحفصى : نِطاع ، بكسر النون : واد ونخيلٌ لبنى مالك بن سعد بين البحرين والبصرة .

وأنا أقول : قد أصاب الحفصى فى هذا التحديد ، وهذا التحديد ينطبق على نطاع الذى نعرفه اليوم بهذا الاسم .

* * *

١١ — وقال الحارث بن حِلِّزة :

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَـلاَّقِ لاَ رَأْفَةٌ وَلاَ إِبْقَاءُ
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ مِ الْحِيَارَيْنِ وَالْبَلاءُ بَلاَءُ

الحيار الحياران : لم أجد لهما ذكرا فى أخبار العرب وأشعارهم ، ويظهر لى من كلام الحارث أن به يوما من أيام العرب ، وأعرف موضعا واحدا يقال له الحيار حيار بنى القعقاع صقع من برية قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خُلَيد ، بينه وبين حَلَب يومان ، وقال المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وكنت السيف قائمُهُ إليهم وفى الأعـداء حَدُّك والغِرَارُ
فأمسـت بالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَـاه وأمسى خلف قائمِهِ الحيـار

وأما المواضع التى بالواو بعد الحاء ـ كالحوار ، والحوير ، والحوارة ـ فهى كثيرة فى بلاد العرب

انتهينا من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكرى ، وما ورد فيهـا من ذكر المواضـع فى بلاد العرب وغيرها .

---

(١) انظره أيضاً فى ٢٩٦/٨ .

(٢) انظرها فى المعجم ٣ / ٣٧٥ ، وفى ديوان المتنبى ٢ / ١٠٢ بشرح العكبرى وانظر ثانيهما وحده فى المعجم ٢ / ٩١

٨
الأعشى ميمون بن قيس

الأعشى ميمون بن قيس

هو ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَاحيل ، ينتهى نسبه إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، توفى سنة ٧ للهجرة فى بلده منفوحة .

وللأعشى أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشهورة ، وقد أحببت أن أذكرها فى كتابنا هذا ، لما فيها من مدح الرسول والحث على مكارم الأخلاق الشرعية ، وها هى ذى :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرْمَـدَا   وبتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّـدا
وما ذاك من عِشْق النساء ، وإنمـا   تناسَيْتَ قبل اليوم خلَّةَ مَهْدَدَا
ولـكن أرى الدهر الذى هو خائن   إذا صَلَحَتْ كفاهُ عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقـدتُ وثروةً   فللّه هذا العيشُ كيف تردَّدا
وما زلتُ أبغى المال مذ أنا ناشىء   وليداً وكهلا حين شِبْتُ وأمردا
وأبتذل العيسَ المراقيل تغتلى   مسافةَ ما بين النجير فصرخدا[1]
ألا أيهـذا السائلى أيْنَ يممت   فإن لها فى أهل يثرب موعدا
فإن تسألَنْ عني فيارُبَّ سائل   حَفِيٍّ عن الأعشى به حيث أوردا
أجَدَّتْ برجليها النَّجاء وجاوزت   يداها خفافا لينا غـير أجردا
وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عجرفيَّةٌ   إذا خِلْت حِرْبَاء الظهيرة أصيدا
وأمَّا إذا ما أدلَجَتْ فترى لهـا   رقيبين جَدْيًا ما يغيب وفرقدا
فآليت لا أرثى لها من كَـلاَلة   ولا من حَفًى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم   تُرَاحِى وتَلْقَىْ من فواضلهِ ندى
نبى يرى مالا تَرَوْنَ وذكرُهُ   أغار لَعَمْرِى فى البلاد وأنجدا
له نافِلاَتٌ ما تُغِبُّ ونائل   وليس عطاء اليوم مانعه غدَا
أجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاة محمـدٍ   نبى الإله حيث أوصى وأشهدا

---

(١) يروى « وأبتذل العيس المراقيل تغتدى » والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد الابل ، والمراقيل : جمع مرقال ، وهو السريع السير .

إذا أنت لم ترْحَلْ بزادٍ من التقى ... ولاقَيْتَ بعد الموت من قد تزودا
نَدِمْتَ على أن لا تكونَ كمثله ... وأنَّكَ لم ترْصِدْ لما كان أرْصَدَا
وإياك والميتات لا تقربنَّهَا ... ولا تأخُذَنْ سهما حديداً لتَفْصِدَا
وذا النُّصُبَ المعبود لا تَنْسُكَنَّهُ ... ولا تحمد الشيطان والله فاحْمَدَا
ولا تقربَنَّ جارةً كان سِرُّها ... عليك حراما ؛ فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تَقْطَعَنَّهُ ... لفاقته وأَصْدُقْ وفكَّ المقيدا
وَسَبِّح على حين العَشِيَّاتِ والضحى ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تبتئس من سائل ذى ضَرورة ... ولا تحسبنَّ المالَ للمرء مُخْلِدَا

قال ابنُ هشام : فبلغ خبره قريشاً ، فرصَدُوه على الطريق ، قالوا : هذا صَنَّاجة العرب مامَدَح أحدا إلا رفع من قدره ، فلما ورد عليهم قالوا : أين تريد أبا بَصير ؟ قال : أريد صاحبكم لأسلم ، قالوا : إنه ينهاك عن خِلال ، وكُلُّها بك رافق ! قال : وما هن ؟ قال له أبو سفيان : الزنا ، قال : لقد تركنى وتركته ، وماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيتُه أصبتُ منه عوضا من القمار ، وماذا؟ قال : الربا ، قال : ما دِنْتُ قطُّ ولا ادَّنْتُ ، وماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه ، أرجِعُ إلى صُبابة قد بقيت لى بالمهراس فأشربها ، فقال أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممتَ به ؟ نحن وهو الآن فى هُدْنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتَكَ هذه ، وتنظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت أخذت خَلَفا ، وإن ظهر علينا أتيته ، قال : ما أكره ذلك ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ، والله لئن أتىَ محمداً واتبعه ليُضْرِمن عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها ، وانطلق إلى بلاده ، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله .

هذا من أخبار الأعشى ، وسنبتدىء فى معلقته .

وهذه القصيدة ورد فيها موضعان : النُّجَير ، وصرخد :

أما النُّجَير : فهو قَصر فى اليمن لكندة ، وهو الذى تحصَّن فيه الأشعث بن قيس الكِندى حين حاصره جيشُ أبى بكر رضى الله عنه ! النجير

وصرخد : قرية فى الشام تنسب إليها الخمر الصرخدية . صرخد

والذى بين النجير وصرخد هى جزيرة العرب كلها .

أما معلقته فهذا مطلعها ، وسنأتى على المواضع الواردة فيها .

١ — وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ

إلى أن قال :

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصْوِرَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ
مَارَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا نَشْرُ رَائِحَةٍ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ (١)
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ بَدَا الأُصُلُ

الحزن — الحزن : قد مضى الكلام عليه فى كتابنا هذا ، واستشهدنا عليه بجميع ماورد فيه ، وقد أوردنا عليه بيت جرير وهو الذى ينطبق على هذا الموضع لأنه فى طريق الخارج من اليمامة إلى الشـام ، قال جرير فى عبد الملك بن مروان أو ابنه :

سَارُوا إليك من الشَّهْبِى ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

وهذا أحسن دليل ، وهو يقال له اليوم « الحزل » .

* * *

٢ — وقال الأعشى :

بل هَلْ ترى عارضا قد بِتُّ أرقبهُ كأنَّمَا البَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شُعَلُ

إلى أن قال :

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فى دُرْنَا وَقَدْ ثَمِلُوا شِيمُوا وكَيْفَ يَشِيمُ الشارِبُ الثَّمِلُ
قَالُوا نُمَارٌ فَبَطْنُ الخَالِ جَادَهُمَا فَالعَسْجَدِيَّةُ فَالأَبْلَاءُ فَالرِّجَلُ
فَالسَّفْحُ يَجْرِى فَخِنْزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ حَتَّى تَدَافَعَ مِنه الرَّبْوُ فَالْحَبَلُ
حَتَّى تَحَمَّلَ مِنْه المَاءَ تَكْلِفَةً رَوْضُ القَطا فَكَثِيبُ الغِينَةِ السَّهِلُ
يَسْقِى دِيَاراً لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضاً زُوراً تَجَانَفُ عَنْهَا القَوْدُ والرَّسَلُ

درنا — دُرْنا : ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تُباع فيها الخمور فى الجاهلية ، وكثرت الأقوال فى هذا الموضع ، ويُثبت أنها فى اليمامة كلام الأعشى عنها ، ومنه هذا البيت ، ومنه قوله :

حَلَّ أَهْلِى مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُو لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيَةً بِالسِّخَالِ

---

(١) فى رواية التبريزى « يضاحك الشمس منها كوكب شرق » وكوكب كل شىء : معظمه ، والمراد به هنا الزهر ، وشرق : أى ريان ممتلىء .

السِّخال : هضبات فى شمالى كشب باقيـة بهذا الاسم إلى هذا العهد ، وهضبات فى طرف المضب الجنوبى . السخال

ومنها قوله وهو من أقوي الدلائل على أنها باليمامة ، وهو يخاطب فيه عبد القيس القاطنين فى هجر ونواحيه(١) :

فإن تَمْنَعُوا منا المشقر والصَّفا فإنا وَجَدْنا الخط جما نَخِيلُها

وإن لنا دُرْنا فـكلَّ عشيَّةٍ يحط إلينا خَمْرُها وخَمِيلها

وثَمَّـة موضع آخر يقال له دُرْنَا ، وهو أول قرية من قُرَى العراق مما يلى الحِيرة كانت تُباع فيها الخمور أيضا ، قال عميرة بن طارق اليربوعى(١) .

ألا أبلغَا أبا حمـار رسالةً وخَبِّرْه أنِّى عنـكما غير غافل

رسالةَ من لو طَاوعوه لأصبحوا كَمَاة تَشَاوَى بين دُرْنَا وبابل

فهذا يدل على أن هناك قرية يقال لها درنا فى جهة العراق ، لأنه قرَنها ببابل ، وقال مالك بن نُوَيرة اليربوعى(٢) :

فما شُـكرُ مَنْ أدَّى إليكم نساءكم من القوم قد يَمَّمْنَ دُرْنَا وبارقا

وقد قرن مالك بن نويرة فى بيته درنا وبارقا ، وبارق معلوم بهذا الاسم أنه فى نواحى العراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الـكوفة ، وقد أكثر الشعراء فى ذكر بارق ، قال الأسود بن يَعْفر(٣) :

أهْل الخَوَرْنَقَ والسَّدِير وبارق والقَصْر ذى الشُّرُفَات من سِنْدَادِ

وقال المتنبى(٣) :

تذكَّرْتُ مابين العُذَيْبِ وبارق مَجَرَّ عَوَالينا ومَجْرَى السوابق

وهذه الشواهد واردة فى بارق العراق ، وهناك موضع آخر يقال له بارق فى تهـامة ، بين البحر والسراة شرق القنفذة ، وهو الذى يقول فيه فِراس بن غنم المنتهي نسبُهُ إلى كنانه بن خزيمة(٣) :

أقمنا على قيس عَشِيَّةَ بارقٍ ببيضٍ حديثات الصقَّال بواتك

ضَرَبناهمُ حتى تَوَلوا وخليت منازلُ حِيزَتْ يوم ذاك لمـالك

فأما درنا فقد ذكرنا أنها فى اليمامة ، وفى العراق ، وأوردنا الشواهد الواردة فى ذكر الموضعين

(١ و٢) انظر معجم البلدان ٤ / ٥٥ (٣) انظر معجم البلدان ٢ / ٣٢ و ٣٣

وأنا لا أعرفها اليوم فى اليمامة بهذا الاسم ، قال فى معجم البلدان عن الحفصى ، ورواياته عن مواضع اليمامة هى أصح الروايات ، لأنه من أهلها : درنا نُخَيلات لبنى قيس بن ثعلبة ، بها قبر الأعشى ، وذكر الهمدانى أن أثافِتَ التى فى اليمن كان يقال لها فى الجاهلية درنا ، وقد ذكر فى أثافِتَ ، ومنه قول آخر :

أئن طَحَنَتْ دُرْنية لعيالها تَطَبْطَبَ ثَدْيَاهَا فطار طَحِينها

نمار
نمار : وادٍ يشقُّ جبلَ العارض يأتى سيله من جهة الغرب ، ويصب فى وادى حنيفة ، وهو من أودية العارض المشهورة فى طرف حَجْر اليمامة ، وله ذكر كثير فى أشعار العرب ، والمواضع المشهورة بهذا الاسم كثيرة : منها ما هو فى بلاد هذيل ، قال البُرَيْقُ الهذلى يخاطب تأبَّطَ شرا[1] :

رميتُ بثابتٍ من ذى نُمَار وأردف صاحِبَيْنِ له سِوَاه[2]

وفى هذا الجبل الواقع فى بلاد هُذَيل قُتل تأبط شرا ، فقالت أمه ترثيه :

فتى فَهمٍ جميعًا غادروه مُقيما بالحُرَيضة من نُمَار

ومن روايات معجم البلدان[3] عن الحفصى قال : نمار وادٍ لبنى جُشَم بن الحارث ، و بنمار عارضٌ يقال له المكرعة ، وأنشد :

وما ملك بأغزَر منك سَيْبًا ولا وادٍ بأنزَهَ من نمارِ
حللت به فأشرق جانباه وعاد الليلُ فيه كالنَّهارِ

ونمار مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يصب على بلد الرياض ، يشق جبلَ العارض من غربيه إلى شرقيه حتى يصب فى وادى حنيفة .

الخال
الخال : جبل على ماءة الدفينة فى جنوبيها الغربى ، إذا كنت على ماء الدفينة فهو غربى مطلع سهيل أو يطلع عليه سهيل ، وهو معروف منذ العهد القديم إلى هذا العهد ، قال الشاعر :

أهاجكَ بالخالِ الحمولُ الدوافعُ فأنت لمهواها من الأرض نازع

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد تعرفه عامة أهل نجد ، والسالك من مكةَ إلى الرياض إذا نظر وهو فى وادى الدفينة على يمينه رآه قريبا منه .

المسجدية
المسجدية : قالوا إنه سوق يكون فيه المَسْجد ، قال في معجم البلدان عن الحفصى[4] : المسجدية التى عناها الأعشى بقوله هى ماء لبنى سعد ، وأنا أظن أن الذى عناه الأعشى جبالٌ

(١) انظر معجم البلدان ٨ / ٣١٥ (٢) ثابت : اسم تأبط شراً ، وتأبط شرا : لقبه
(٣) انظره ٨ / ٣١٦ (٤) انظر معجم البلدان ٦ / ١٧٢

بكشب يقال لها اليوم المسلجية ، واحدها عسلج ، وكان واحدها فى الجاهلية يسمى عسجدا ، قال رزاح بن ربيعة العذرى :

فلما مررن على عَسْجَـد وأسهلن من مستناخ سبيلا

ومما يدل على أن المسلجيات التى فى كشب هى العسجدية التى ذكرها الأعشى أنك تجده قرنها بالخال وجبال الأبلاء ، والعسلجيات اليوم واقعة بينهما ، قال شاعر حديث يقال له مخلد القثامى من قصيدة له نبطية :

لى صاحب فى سد هاك المراقيب عسلج وضلع هدان وأكباد وأنياب

الأبلاء : قد مضى الكلام عليها وذكرنا ما يتعلق بها فى معلقة الحارث بن حلزة عند قوله :

فرياض القطَا فأودية الشر بب فالشعبتان فالأبلاء

الرجل — أما الرجل : فهى كثيرة فى بلاد العرب ، وأشهرها رجلتا وادى الرمة : إحداهما تصب فى شماليه ، والأخرى تصب فى جنوبيه قريب أبانين ، ورجلتا وادى الرشا : إحداهما تصب من الأسودة مما يلي كويكب ، ويقال لتلك الرجلة رجلة كويكب ، والأخرى تصب مما يلى جبل أبى دخن الذى يقطعه طريقُ مكة إلى الرياض قسمين ، وهو جبل أسود متصل به جبيلات سود متصل بعضها ببعض ليست بالكثيرة ، ويقال لتلك الرجلة رجلة أبى دخن ، ووادى الرمادية يعد رجلتين ؛ لأن أعلاه ينقسم قسمين ، والرجل كثيرة فى بلاد العرب ، قال المثقب العبدى :

مررن على شراف فذات رجل ونكبن الذرانح باليمين

وشراف : موضع فى شرقى نجد ، يعنى بهذه الرجلة إحدي رجلتى وادى الرشا .

السفح — السفح : موضع يذكر فى مواضع اليمامة ، وهو فى الأصل : اسم عام لسفح كل جبل يسفح معه الماء ، وأما السفح الذى فى اليمامة فيقال له « سفح أكلب » وقد ذكر في أخبار طسم وجديس ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد .

برقة خنزير — خنزير وبرقته : خنزير جبل معروف متاخم لماءة الصخة[1] المعروفة فى عالية نجد ، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد ، يعرفه جميعُ أهل نجد ، منظره بين الحمرة والسواد ليس بالرفيع يقع جنوبى ماءة الصخة ، على مسافة أقل من نصف يوم ، وبلغنى أن باليمامة موضعا يقال له

(١) عند هذه الماءة كثيب مرتكم يقال له الحنان ، وقد سألت البوادى والحضر عن هذا الاسم فقالوا : إن له حنيناً كحنين الإبل ليلا ونهاراً ، فقلت : ما السبب ؟ قالوا : إنه رمال يتهايل ، لا يمسك بعضه بعضاً ، ويكون له أصوات ، فسمى الحنان ، ولهذا الكثيب ذكر فى معجم البلدان ما أحببت أن أورده لأنه ذكر عنه شيئا لا يتصوره العقل .

«أنف خنزير[1]» واقع بين خشم العان والـلى فيه أبارق ، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

الحبل — والحبل هي الأكثبة ، كل كثيب يقال له الحبل عند عامة العرب .

روض القطا — روض القطا : قد أطلنا الـكلام عليه فى معلقة الحارث ، واستشهدنا بهذا البيت ، وذكرنا رياض القطا ، وأن منها روضة التنهاة ، وروضة خريم ، وروضة نورة ، واستدللنا بدلائل واضحة على تلك المواضع : منها ما ورد فى قصيدة صفية بنت خالد المازنية حين قالت :

لأبصر وَهْناً نار تنهـاة أوقدت … بروض القطا والهضب هضب التناضب

وليس ثمة دليل أوضح من هذا .

كثيب الغينة — كثيب الغينة : هو نفيد بنبان ، والغينـة هى بلد غيانة الواقعة فى أسفل وادى أبى قتادة ، والـكثيب غالباً يطلق على كل ما تراكم وارتفع من الرمال ، ولا يختص فيكون موضعاً بعينه ، وثمة موضع يقال له « كثاب » فى أعلى نجد ، قال الحصين بن عمرو الأحمسى :

ألا هل أتى أهل العراق وبيشة … ومَنْ حل أكناف الـكثاب وتنضبا

بأنا كفينا يوم سارت بجمعها … سليم إلينا ثم من قد تغيّبا

* * *

٣ — وقال الأعشى :

كلاَّ زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ … إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنْوِ ضَاحِيَةً … جَنْبَيْ قُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلُ

قَالُوا الطِّعَانُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا … أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

الحنو — الحنو : به يومان من أيام العرب ، وهذا اللفظ يطلق على موضعين : أحدهما حنو قراقر ، والآخر حنو ذى قار . والحنو الذى يفتخر به الأعشى ويذكره فى قصائده حنو ذى قار ، وهو يوم عظيم هزم فيه العربُ الفرس ، وهو لربيعة خاصة من دون العرب ، وكانت الرياسة فى ذلك اليوم لبنى شيبان ، وفى هذا اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا أول يوم انتصرت فيه العربُ على العجم ، وبى نصروا » قال الأعشى فى ذلك اليوم فى قصيدة له[2] :

فِدًى لبنى ذُهْلِ بن شَيبان ناقتى … وراكِبُهَا يوم اللقاء ، وقَلَّتِ

كَفَوْا إذ أتى الهامرز تَخْفِقُ فوقه … كظل العقاب إذ هوت وتدلَّتِ

أذاقوهمُ كأسا من الموت مُرَّةً … وقد بذخت فرسانهم وأذلَّتِ

(١) قال الهمدانى فى كتابه «صفة جزيرة العرب» : إن باليمامة جبلا يقال له خنزير يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال ، وفى طرفه الشمالى ماء يقال له «هيت» وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد .

(٢) انظر معجم البلدان ٣ / ٣٥٢ وفيه أن حنو قراقر وحنو ذى قار واحد .

فصبَّحهم بالحنوِ حنوِ قراقر وذى قارها منها الجنود فعلَّتِ
على كل محبوك السَّرَاة كأنه عُقَاب سرت من مرقب إذ تدلتِ
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم شآبيبُ موتٍ أسبلت فاستهلَّتِ
تناهَت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم فوارسُ من شَيْبان غُلْبٌ فولَّتِ

وذو قار موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد بين العراق وحدود الشام التى تلى العراق .

انتهت معلقة الأعشى ، وألفاظها عذبة ، ومعانيها واضحة ، وهو من أشعر أهل زمانه .

قال صاحب الأغانى : أخبرنى أبو حسن الأسدى قال : حدثنا على بن سليمان النوفلى ، قال : أتيت اليمامة فمررت بمنفوحة التى يقول فيها الأعشى : * بسفح منفوحة فالحاجر * فقلت : هذه قرية الأعشى ؟ قالوا : نعم ، قلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك ، وأشاروا إليه ، قلت : وأين قبره ؟ قالوا : بفناء بيته .

والشطر المذكور من قصيدته التى أولها :

شاقتك من قيلة أوطانُهَا بالشَّط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد فقاع منفوحة فالحائر

وجميع هذه الأمكنة التى ذكرها فى هذين البيتين باقية .

منفوحة — أما منفوحة فهى باقيـة إلى هذا اليوم بهذا الاسم ، قال فى معجم البلدان : على شط اليمامة قرية فى حَجْر اليمامة قبلتها بين الوتر والعرض قد اكتنفها حَجْر اليمامة ، ويظهر لى من هذا التحديد أن هذه القرية لا تبعد عن موضع الشمسية اليوم ، وشط الوتر : باليمامة ، كان ينزله عبيد ابن ثعلبة ، وهو حصن عتيق من بناء جديس تحصن فيه عبيد بن ثعلبة حين خط حَجْرا .

الشط — وقال أيضـا عن الحفصى : شط فيروز فيه نخيل ومحارث لبنى المنبر باليمامة ، والمواضع المسماة بشط كثيرة فى بلاد العرب وغيرها ، ولا أعلم أهذا الاسم باقٍ فى اليمامة أم تغير .

الوتر — والوتر : وادٍ من أودية اليمـامة يصب فى وادى حنيفة ، يأتى سيله من جهة القطب الشمالى ، وهو معروف عند أهل الرياض اليوم باسم أبى رفيع ، أو وادى البطحاء ، أحد الواديين هو الوتر ، قال الحفصى فى رواياته عن اليمامة : ووتر نخيلات من نواحى اليمامة ، وأنشد :

يذودها عن زُغَرِيٍّ بِوَتَر صفائح الهند وفتيان غير

والمواضع التي تسمى بهذا الاسم كثيرة جداً ، منها ماهو مثنى ، ومنها ماهو على فعيل كقتيل وجريح ؛ فالوتران ـ بالتثنية ـ موضع فى بلاد هُذَيل ، قال أبو جندب[1] الهذلى :

---

(١) انظر شواهد هذا والذي بعده فى معجم البلدان ٨ / ٣٩٨

فلا والله أَقْرَبُ بطن ضيم   ولا الوتَرَين ما نَطَقَ الحَمَامُ
رأيتهما إذا خلصا أكبًّا   على البيْتِ المجاور والحرام

وقال أبو بثينة الباهلى :

جلبناهُمْ على الوَتَرَيْنِ شدا   على أستاههم وشَلٌّ غزير

قصده فى هذا البيت أنهم بالوا على أنفسهم ، والوتير : ماءة لخزاعة فى أسفل مكة ، قال عمرو ابن سالم الخزاعى يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ربِّ إنِّى ناشدٌ محمدَا   حلفَ أبيه وأبينا الأتلدَا
فانصر هَدَاكَ الله نصرا أعْتَدَا   إن قريشا أخلفُوكَ الموعدا
ونَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكدا   وزَعَموا أنْ لست أدعو أحدا
وهم أذلُّ وأقلُّ عددا   هم بَيَّتونا بالوَتِير هجدا
* وقتلونا ركَّعًا وسجدا *

وكان رسول الله صلى الله علية وسلم لما صالح قريشا عام الحُديبية أدخل خُزَاعة فى حِلْفه ، ودخلت كنانة فى حلف قريش ، فبغت كنانة على خُزَاعة ، وساعدتها قريش ، وكان ذلك سبب نقض الصلح وفتح مكة ، وكانت الوقعة بين كنانة وخزاعة سنة سبع من الهجرة ، فقال بُدَيل بن عبد مناة :

تعاقد قوم يفخرون ولم تدعِ   لهم سيدا يندوهم غير نافلِ
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهمُ   تجيزُ الوتير خائفا غير آيل

وقال أبو سَهْم الهذلى :

ولم يدعوا بين عرض الوتير   وبين المناقب إلا الذئابا

وقالوا فى تفسيره : الوتير ما بين عرفة إلى أدام ، وأدام : موضع معروف بتهامة اليوم ، وقال أهبان بن لَغَط بن عُرْوة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدىِّ بن الدئل ، من كنانة :

ألا أبلغ لديك بنى قُرَيْم   مُغَلغلة يَجىء بها الخبيرُ
فَرُدُّوه الموالى ثم حُلوا   مرابعَكم إذا مُطر الوَتيرُ

مارد والحائر — وأما مارد فلم ذكر فى أشعار الأعشى ، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم فى هذا العهد ، وأما الحائر فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد بين منفوحة و بلد الخَرْج ، عامر فيه نخيل وسكان ، يمر به السالك من الخرج إلى ضَرمَى . والحاجر الذى ذكر في هذه الأبيات فى اليمامة ، ولست أعرفه بهذا الاسم اليوم   انتهينا من معلقة الأعشى ميمون بن قيس .

تم الجزء الأول ، ويبدأ الجزء الثانى بالكلام على المواضع التى فى شعر النابغة الذبيانى